

# غبار الأموات

رواية

محمود الجعدي



محمود الجعدي

رواية

# غبار الأموات

  
للنشر والتوزيع



دار سما للنشر والتوزيع  
جمهورية مصر العربية  
١٥ ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة  
تليفون: ٢٤٥١٧٣٠٠ + ٢٠٢ - ٠١٢٧١٩١٩١٠٠  
email: samanasher@yahoo.com  
Web-site: publishing@sama-publishing.com

#### التوزيع

#### المجموعة الدولية للنشر والتوزيع

٨٠ ش طومان باي - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية  
تلفاكس: ٢٤٥١٨٠٦٨ + ٢٠٢ - ٠١٠٩٩٩٨٢٤٠  
yahoocom@email:aldawleah\_group\

#### التنفيذ الفني



للاستشارات وخدمات النشر  
ali@daraj-eg.com

#### غبار الأموات

محمود الجعيدي

الطبعة الأولى: يناير  
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية  
دار الكتب المصرية

محمود الجعيدي

غبار الأموات

الجعيدي ، محمود - القاهرة: سما للنشر والتوزيع، ٢٠١٨

٣٤٤ ص: ١٩,٥×١٣,٧ سم - (غبار الأموات)

٩٧٨-٩٧٧-٧٨١-١٧٢-٩ تدمك

أ. العنوان

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٢٦٩

٩٧٨-٩٧٧-٧٨١-١٧٢-٩ تدمك

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار «سما» للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء  
من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية  
أو بالتصوير  
أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

غبار  
الأموات  
محمود الجعدي



# I

## الزمان: الوقت الحاضر.

داخل مدينة ميتة أهلها عبارة أشباح.. أشباح تسير، أشباح تأكل،  
أشباح تنام.

كان هو يفترس كل شيء.. الأطفال، النساء، الشيوخ، وحتى  
المرضى والضعفاء.

تلقت حول نفسي وأنا أشعر بثقل هائل فوق صدري ويكتم  
أنفاسي.. كنت ملقى على الأرض وسط شارع مظلم خالي تماماً من  
أعمدة الإنارة..

نهضت بصعوبة وأنا أتحسس آثار ضربة قوية على رأسي.. لا أذكر  
شيئاً ولا أعلم كيف جئت إلى هنا.. أشعر أن سحابة سوداء تطفو داخل  
عقلي.. مزيج متقطع بالأبيض والأسود لذكريات لا أستطيع أن أتبين  
منها شيئاً.

## غبار اللؤلؤ

سرت للأمام وأنا أتلفت حول نفسي.. الشارع الذي أسير فيه كان يبدو ممتدًا بلا نهاية..

كل المحلات والمنازل مغلقة أو مهجورة على نحو غير طبيعي..  
العربات مركونة خالية من الناس..

كان هناك صفير حاد يأتي من مكان بعيد ويتردد صداه بلا انقطاع.  
فجأة سمعت صوت ركض محموم، قبل أن تمر من أمامي فتاة مذعورة الملامح..

كان يبدو عليها أنها فوجئت بي.. صرخت في وجهي ثم حاولت أن تجري.. لحقتها بسرعة وقبضت على ذراعها باستماتة.. لكممني بقبضتها لكمة قوية سحقت أنفي وسببت لي ألمًا لا يطاق.. تفاديت لكمة ثانية منها ثم صفعتها فسقطت على الأرض..

حاولت أن تنهض غير عابئة بالدماء التي نزلت من أنفها..  
كبلت حركتها وأنا أحاول أن أفهم منها أي شيء..  
صرخت بخوف:

- اهرب بسرعة.. جاي ورايا.

هتفت:

- مين.. مين هو؟

فتحت فمها لتتلق.. توقفت الكلمات على طرف لسانها.. انتفضت  
مرعوبة ملتاعة وأشارت إلى ما وراء ظهري..  
التفت بسرعة..

ثوان وشاهدت أمامي أشع كائن في الكون وهو يخرج كقطعة  
جحيم مستعرة من وسط الظلام.. كان مخلوقاً ضخماً عبارة عن كومة  
من المخالب المرعبة والأسنان البشعة، وله قرنان مثل قرون الشياطين.  
- الوحش.

نظقت بها الفتاة حين تركتها من يدي بينما تراجعت خطوتين إلى  
الوراء..

تابعت المخلوق وهو يقترب من الفتاة ببطء وقد انهارت تماماً  
وراحت تبكي..

للحظة توقعت أنه ستركها لكنه انقض عليها ثم انتزع رأسها من  
جسدها بقسوة هائلة وألقاه تحت قدمي وهو يطلق خواراً مخيفاً..  
نظرت للرأس بمزيج من الرعب والصدمة.. تحركت عيناها  
نحوي..

ركلتها بعيداً عني في حركة لا إرادية، وعدت أرفع بصري باتجاه  
المخلوق..

فوجئت به وقد ألصق وجهه بوجهي وهو يلهث كالخنزير..  
كانت أنفاسه لزجة..  
كريهة.

لحظة.. وقفز فوقي..  
لحظة أخرى.. ثم أظلم كل ما حولي.

\*\*\*



## الزمان:

## قبل أعوام كثيرة.

كان الليل في بدايته حين حلق غراب أسود كبير فوق منازل تلك القرية الصغيرة ذات الأسقف المنخفضة، والتي تقع على الطرف الشرقي من بحيرة ناصر..

ضرب الغراب بجناحية الهواء عدة ضربات سريعة، قبل أن يحط فوق أحد الأسطح المائلة، ثم يتقاذف بسرعة على القطع الخشبية حتى وصل إلى واحدة من نوافذ المنزل وتوقف على حافتها..

الغريب أن زجاج تلك النافذة كان يمتص ظلام الليل ويقتله..

داخل هذا المنزل دوت صرخة مرعبة؛ حطمت كل السكون وجعلت الغراب يجفل في مكانه ويطير هارباً وهو يطلق نعيماً حاداً ثم يختفي في السماء..

عاد الصمت يخيم من جديد.. مجرد سكون وظلام يغلف كل شيء، وأي شيء..

لحظة ثم ضرب البرق رداء الليل الأسود فمزقه إلى أجزاء وقطع متناثرة..

على الناحية الأخرى من القرية وفي منزل متواضع؛ أجفل الصبي  
(جلال) داخل فراشه الصغير حين وصل إلى سمعه صوت هزيم  
الرعد..

اختلس النظر من تحت طرف غطاءه، وتابع والده الشيخ (مصباح)  
الذي كان يوليه ظهره ومنهمك في دق عزيمة روحانية فوق قطعة قماش  
بيضاء صغيرة تضرجت أطرافها بالدماء الجافة.

حاول (جلال) أن ينام.. المعتاد أن يضع رأسه على الوسادة فيغرق  
سريعاً في النوم.. لكن اليوم لا.. لدية هاجس غريب.. إحساس، ربما..  
فكر أن ينهض ليجلس بجوار والده.. يعلم أنه لن يمانع لكنه يخشى أن  
يقرب منه حين يعمل..

أحياناً كان يلمح ظلالاً رمادية تدور في الهواء ثم تختفي بعدما  
تشكل على هيئة كيانات بشرية..

حدث والده ذات يوم بهذا الشأن، فابتسم له وأخبره أن تلك الظلال  
هي عمار المكان، نوع من الأرواح الطيبة التي تحرسهم..

سأله (جلال) هل يكون من بينها روح والدته؟.. صمت ولم يجبه..  
هل كان حزيناً أم خائفاً.. حقاً هو لم يفهم والده جيداً في تلك الليلة.  
عاد (جلال) يحاول النوم..

## غبار الأسوار

أغلق عينيه بشدة.. يتمنى لو تنتهي تلك الليلة سريعاً.. كان ينتظر غداً.. وغداً نهار جديد ومعه سيرى (عيشة).. صديقه الوحيدة ذات الضفيرة الطويلة.

تقلب في الفراش عدة مرات ومرات.. كان هناك تيار بارد يداعب أصابع قدمه لا يعلم من أين يدخل.. كان مزعجاً.. حاول أن يضع الغطاء تحت قدميه.. توقف التيار البارد وشعر ببعض الدفء..

سمع صوت طرقات قوية فوق باب المنزل ونداءً مسعوراً جعله يرتعش:

- شيخ مصباح.. شيخ مصباح.  
أخرج رأسه من تحت الغطاء قليلاً.. تابع بعين خائفة والده الذي نهض من مكانه بثقل بعدما أخفى الحجاب داخل أحد أدراج (الكمودينو) العتيق.  
- حاضر.

قالها الشيخ (مصباح) وهو يسرع الخطى باتجاه الباب قبل أن يحاول بصعوبة تحريك مزلاج الباب الذي علق في مستقره.  
- بسرعة يا شيخ وحياة ابنك.

جاءه الصوت من الناحية الأخرى متوتراً بالتزامن مع نجاحه في تحريك المزلاج وفتح الباب..

بالنسبة لـ (جلال) كان الصوت مألوفاً جداً لكن ذاكرته لم تسعفه في تحديد صاحبة لذا شخص ببصرة قليلاً في فضول..

رأى رجلاً ضخماً أسود اللون يرتدي جلباباً بنياً طويلاً يلامس الأرض، وله ذقن طويل يتخلله بعض الشعر الأبيض، وعينان جاحظتان كبيرتان تشبه عين البوم..

كان يدعى (رزق).. والد زميلة (بدير) في المدرسة الابتدائية.. (جلال) كان يكره مجيئه.. دائماً يأتيهم في أوقات متأخرة.. ودائماً هناك مشكلة.. ودائماً هناك توتر وقلق.

اندفع (رزق) في حديثٍ سريع ومضطرب وملح، مع الشيخ (مصباح)..

بدأ الارتباك في عين الشيخ.. عبس بحاجبيه قليلاً وراح يفكر.. تمنى (جلال) لو دخل رأسه وعلم ما يدور فيه.. شاهد والده وهو يحاول المماطلة والممانعة بينما راح (رزق) يصرخ وهو يلوح بيده بين الحين والآخر في لهجةٍ أقرب للتهديد.. بصوتٍ مستكين مستسلم أشار الشيخ (مصباح) إلى (رزق) بأن ينتظره في الخارج..

جمع (رزق) جلبابه وخرج..

توجه الشيخ (مصباح) إلى (جلال):

- عارف إنك لسة صاحي.

## غبار الامور

قالها بهدوء فكشف (جلال) كامل الغطاء عن وجهه وأسنانه  
تصطك ببعضها..

ابتسم الشيخ (مصباح) ثم جلس بجواره وأخبره بأنه مضطر للخروج  
لأمر هام..

لم يكن (جلال) ليمنع.. لكنه كان خائفاً.. حقيقي خائف..  
تشبث بوالده وطلب أن يأخذه معه.. يخبره أن الظلال تخيفه..  
- متخافش يا جلال.

حاول الشيخ (مصباح) أن يطمئنه لكن كل كلامه ومحاولاته ذهبت  
أدراج الرياح..

وأخيراً وبعد كثير من التوسل والبكاء؛ وافق على اصطحاب  
(جلال)..

ألبس (جلال) الكثير من الملابس حتى كادت أن تخنقه ثم وضع  
عليه (كوفية) صوف ثقيلة وطلب منه ألا يخلعها..

تناول الشيخ (مصباح) حقيبة جلدية سوداء كان يضعها فوق دولاب  
خشبي صغير ولها مقبض من الألمنيوم..

فتح الحقيبة لدقيقة ليتأكد من محتوياتها ودون أن يشعر؛ اختلس  
(جلال) النظر إلى داخلها.. كان يوجد بها الكثير من المواد المعبأة  
في أكياس صغيرة وكتاب صغير بلا غلاف أوراقه صفراء، بالإضافة  
لكرباج ملفوف مصنوع من جلد الأفعى.

خارج المنزل كان (رزق) في انتظارهما وهو يدور حول نفسه من القلق والتوتر، ثم توقف حين رأهما يخرجان..

أغلق الشيخ (مصباح) باب منزله ثم وضع عليه قفلاً ضخماً.. تحرك الثلاثة بسرعة بين أزقة وشوارع القرية التي تغرق في النوم والظلام..

بين الحين والآخر كان الشيخ (مصباح) يحكم ربط (الكوفية) حول رأس (جلال)..

خرجوا من القرية حتى وصلوا إلى الترعة العمومية التي تفصل بين شطري القرية الشمالي والجنوبي..

على حافة الترعة؛ كانت توجد العديد من السلالم الحجرية التي بناها الأهالي لاستخدامها في النزول للترعة بهدف غسل الأواني.. كانت توجد أيضاً (معدية) خشبية كبيرة تم ربط مقدمتها بجنزير في جذع شجرة تأكلت أوراقها..

تقدم (رزق) نحو (المعدية) وأشار للشيخ (مصباح) و(جلال) أن يحدوان حدوه..

أخرج (رزق) مفتاحاً نحاسياً كبيراً، وفتح قفل الجنزير، وانتظر حتى ركب (جلال) والشيخ (مصباح)، ثم دفع (المعدية) بيديه دفعة قوية، وقفز فوق مقدمتها بحركة رشيقة لا تناسب حجمه..

## غبار الأسوار

قاد (رزق) (المعدية) داخل الظلام والضباب بخبرةٍ شديدة اكتسبها من خلال سنوات عمله عليها، والتي تجاوزت الربع قرن حتى رسوا على الطرف الآخر من الشاطئ..

قام (رزق) بربط (المعدية) بالجنزير الضخم على جذع شجرةٍ آخر، ثم أشار لهما بأن يتبعاه..

شعر (جلال) برجفة في جسده، فضمه والده إلى صدره في حنان.. أسرع الخطى خلف (رزق) حتى وصلوا إلى شارعٍ واسعٍ عريضٍ تحيطه الأشجار الباسقة.. في نهاية الشارع كان يوجد منزل كبير مبني من الطوب الأحمر، وله باحة صغيرة لها باب خشبي قصير..

وقف (رزق) أمام الباب ومد يده وجذب المزلاج من الداخل، فأصدر (تكة) خافته..

مروا الثلاثة من الباب، ثم إلى الباحة تتابعهم نظرات كلب أسود؛ مربوط بحبل غليظ في عمود حديدي..

وصلوا إلى باب المنزل في نفس الوقت الذي تعالي فيه عواء الكلب بإصرار وكأنما أفاق فجأة..

قرع (رزق) جرس الباب وانتظر..

فتح لهم الباب رجل قصير القامة، يرتدي جلباباً أبيضاً، ويضع عصا جلدية على عينيه اليسرى، فبدأ أشبه بواحد من قراصنة البحار.. ابتسم ابتسامة شاحبة حين قال:

- أتأخرت كثير يا رزق.

قال (رزق) وهو يتجاوزته للدخل:

- الدنيا ليل والمسافة بعيدة ..

بتر كلامه حين دوت صرخة مرعبة هزت المكان وخلعت القلوب..

تشبث (جلال) بوالده في جزع بينما التفت (رزق) للشيخ (مصباح)

وأردف:

- قولتلك إن الموضوع خطير.

هز الشيخ (مصباح) رأسه، ثم قال موجهًا كلامه للرجل:

- بنتك؟

أوماً الرجل برأسه في آسى..

التفت الشيخ (مصباح) لـ (جلال) وأشار له بأن يذهب ليجلس

على مقعد موجود في نهاية الصلاة..

استجاب (جلال) بسرعة، وجلس في صمت وهو يعقد ساقيه، ثم

تابع والده وهو يدخل مع (رزق) والرجل إلى حجرة جانبية لها باب

بني كبير؛ كتب فوقه المعوذتين بخط يدوي مهزوز..

دار ببصره في الأرجاء على مهل.. كانت الصلاة واسعة وشبه خالية

من الأثاث، اللهم إلا زوجًا من المقاعد المصنوعة من البوص بالإضافة

إلى الذي يجلس عليه..



## غبار اللؤلؤ

لم يكن يشعر بالارتياح فوق المقعد المتصلب، فحاول أن يصفر قليلاً محاولاً تسليته نفسه..

صدى صوت صافرته تكرر عدة مرات بطريقة مرعبة..

بعد ثلاث أو خمس دقائق؛ توقف عن الصفير قبل أن ينهض من مكانه..

سار ببطء نحو باب الغرفة الجانبية.. كان هناك بصيص من الضوء الأحمر يخرج من تحت الباب..

نظر إلى الباب الخشبي.. لاحظ مجموعة من الأرقام والحروف المختلطة بطريقة غريبة.. كانت تشبه الطلاسم التي اعتاد والده أن يخطها فوق الأحجية والأعمال.

لسبب ما اهتز الباب.. اهتز اهتزازة قوية ضربت صدره وقلبه.. تراجع للوراء قليلاً..

نظر كثيراً للباب نظرة المصارع إلى خصمه..

تقدم إلى الأمام بحذر.. كتم أنفاسه.. ألصق عينه اليمنى في ثقب مفتاح الباب.. أرسل بصره للدخل.. ثم ارتجف من الرعب.

\*\*\*

شهقت وأنا أستيقظ مفزوعاً..

ارتعدت في الفراش وأنا أتذكر أحداث الكابوس والوحش والفتاة  
مقطوعة الرأس ..

حاولت إكمال نومي لكنني عجزت .. نظرت في الساعة .. كان الفجر  
قد أوشك على الانبلاج ..

نهضت من فوق السرير بروية، ثم توجهت إلى الحمام ..  
وضعت رأسي أسفل صنوبر الماء تاركًا السائل البارد يطفئ  
السخونة التي أشعر بها في تلايب عقلي ..

أغمضت عيني وعدت أسترجع الكابوس .. أمرر لقطاته بسرعة  
وأكررها، ثم أوقفها مثل شريط فيديو.

- إيهاب ..!

صوت زوجتي (إيمان) يأتي من ورائي نائمًا لكن به دهشة .. عادت  
تستكمل وهي تعقد يديها فوق صدرها:

- صاحي بدري ليه كذا؟

التفت ناحيتها بينما قطرات الماء تتقاطر من رأسي، ثم تتجمع أسفل  
قدمي .. قلت:

- ميعادي النهاردة مع الميكانيكي عشان استلم العربية، وعاوز  
أوصل له قبل زحمة الطريق

سألتنني:

- مفكرتش في موضوع أخوك (صلاح).

## غبار الذاكرة

كان (صلاح) هو أخي التوأم، وقد تفاقمت المشاكل بيننا ووصلت إلى القطيعة، وقاعات المحاكم ومكاتب المحامين؛ بعد وفاة أمي واستيلائه على الإرث..

(إيمان) كانت تطلب مني أن أقوم بزيارته ومحاولة التفاهم معه وديًا لعل الخصومة بيننا تنتهي..

قلت:

- خلي الموضوع ده لقدام شوية.

استدارت وهي تغمغم:

- براحتك.. هروح أكمل نومي.. متنساش تركب (هبة) باص المدرسة.

لم أعقب على كلامها.. أفكر لو لكمتها الآن من ظهرها؛ هل ستموت أم ستنهض وتبادلني اللكمة؟

وضعت (براد) الشاي فوق الموقد، ثم ارتديت ملابسني باستعجال..

أسمع صوت حركة (هبة) في الشقة.. كانت (هبة) في الصف الأول الثانوي..

ألقيت عليها صباحًا مقتضبًا، ثم صببت الشاي وتوجهت للشرفة..

أضجعت على أحد المقاعد المريحة، ووضعت قدمي على حافة الشرفة..

كنت أسكن في منطقة شعبية حيث صخب السيارات وضجيج  
الباعة الجائلين لا ينتهي..

تابعت حركة المارة بلا اكتراث؛ محاولاً الاستمتاع بأفضل أوقات  
اليوم بالنسبة لي..

حين انتهيت من شرب الشاي؛ كانت (هبة) قد فرغت من إعداد  
حقيبتها وأدواتها..

ألمح (أتوبيس) المدرسة وهو يتوقف أمام مدخل عمارتنا..  
ناديت على (هبة) لأخبرها، ثم خرجنا بعد أن ألقىت نظرة أخيرة  
على (إيمان) التي غطت في نوم عميق، وعلا شخيرها نتيجة احتقان  
جيوبها الأنفية..

كان المصعد معطلاً كما هو منذ ثلاثة أشهر، وكل سكان العمارة  
يرفضون المساهمة في إصلاحه..

استخدمنا السلالم.. ١٢٩ سلمه.. عددها كثيراً حتى صار الأمر  
روتينياً بالنسبة لي.. لو كانت مساحة كل سلمة نصف متر، فهذا يعني  
أنني أهبط ٦٤ متراً ونصف يومياً..

ودعت (هبة) على باب (الأتوبيس) ولم أسمع ردها كالعادة..  
مشيت قليلاً حتى وصلت إلى محطة المترو.. أمام البوابة طلب  
مني أمين شرطة أن أضع حقيتي في جهاز كشف المعادن.. في الواقع

## غبار الأسفلت

لم أكن أحمل أي حقيبة.. لكن أمين الشرطة ظل يكررها بألية وبنظرة زائغة..

قطعت تذكرة ثم حشرت نفسي داخل أول عربة المترو..  
المكيف كان لا يعمل.. هذا أمر طبيعي.. أعتقد أنهم يغلقونه في الصيف، ويفتحونه في الشتاء لكي يزيدوا من إحساسنا بالمعاناة..  
أخرجت منديلاً، وبدأت أمسح العرق من فوق جبيني ووجهي..  
أمامي فتاة تنظر إلى إبط شاب وهو يمسك بمقبض الأمان.. أتخيل الآن كمية الروائح العفنة التي تصل إليها..  
أجريت اتصالاً بـ (الأسطى فراج) الميكانيكي وأخبرته أنني في الطريق لاستلام سيارتي..

أخبرني أنها جاهزة وأنه في انتظاري..  
كنت أقوم بعملية إصلاح شاملة للسيارة.. صحيح أنها استنفدت جزءاً كبيراً من مدخراتي، لكن الأمر يستحق.. بالنسبة لي كانت السيارة ذراعاً يميني.. صباحاً كنت أذهب بها إلى العمل في المدرسة حيث أقضي وقتي في اللعب على الهاتف المحمول أو التحدث قليلاً مع بقية الرفاق البوساء..

كان عملي الإداري في المدرسة هو أكثر الأعمال مللاً، لكنه على الأقل يوفر لي دخلاً معقولاً في نهاية الشهر؛ يحميني من شظف العيش..

في المساء كنت أركب السيارة وأحولها إلى ما يشبه (الليموزين) الشعبي.. كنت أقوم بعمل المشاوير لزبائن المنطقة والأصدقاء والمعارف.. زفاف أفراح، زيارة إلى طبيب في وقت متأخر، شراء مستلزمات من مكان بعيد، وأشياء أخرى من هذا القبيل.

وصل المترو إلى محطتي المنشودة فهبطت منه في نفس الوقت الذي لمحت فيه الفتاة التي كانت تشمئز من الشاب وهي تتحدث معه وتقهقه. تعجبت واندهرت.

سرت على قدمي حتى وصلت إلى منطقة الحرفيين..

كان (الأسطى فراج) يجلس على كرسي معدني أمام ورشته، ويتناول إفطاره وهو يتجشأ بين الحين والآخر ثم يبصق على الأرض.. أشار لي بأن أشاركه الطعام لكنني شكرته وتوجهت مباشرة للسيارة أدور حولها في اشتياق حقيقي..

لونها الأزرق يلمع كأروع ما يكون، ورائحة الطلاء الحديث تفوح منها بدفء..

فتحت بابها فأصدر (تكة) معدنية رقيقة.. ركبتي السيارة ثم تحسست المقود المكسو بطبقة جلدية سوداء خشنة..

اتسعت ابتسامته (الأسطى فراج) ونهض باتجاهي وهو ما زال يلوك الطعام.. ناولني المفتاح:

- جربها كدا.

## غبار الأسفلت

أدرت المفتاح ببطء.. طن المحرك بضعف ثم ارتعش قليلاً قبل أن يهدر بقوة..

أشرت له بعلامة النصر..

حركت المقود ثم توجهت لمنطقة مهجورة حتى أتمكن من اختبار السيارة..

جربت الفرامل والسرعة وثبات العربة فوق (المطبات).. كانت السيارة بالفعل مثل الجديدة.. لقد استحقت كل قرش دفعته..  
اتصلت بـ (الأسطى فراج) وأخبرته أن كل شيء يبدو جيداً حتى الآن..

اتفقت معه أن أمر عليه بعد يومين ليعيد ربط بعض المسامير وضبط المحرك..

سرحت في شوارع المدينة كما اعتدت.. كنت أقرب من الواقفين على جانب الطريق وأنادي عليهم بصوت عالٍ:  
- تاكسي.

مشكلة أن تركب عربة مكتوب عليها (ملاكي) وتحيلها إلى أجرة هي أنك مضطر للصياح دائماً، بالإضافة إلى الهروب من رجال المرور. فكرت ذات مرة أن أضرم سيارتي إلى أحد شركات التوصيل الحديثة، لكنهم رفضوا بحجة أن موديل سيارتي قديم.. اللعنة عليكم وعلى شركتكم.

لحسن الحظ كان الرزق واسعاً هذا اليوم.. وحين انتصف النهار  
كنت قد جمعت مبلغاً كبيراً..

قررت أن الوقت قد حان لأعود للمنزل كي أستريح..  
درت بالسيارة ناحية الطريق الدائري.. كان الطريق شبه خالي من  
السيارات.. شعرت بالرغبة في الانطلاق.. ضغطت دواسة البنزين  
حتى لامست قدمي الأرضية.. السيارة تنطلق مثل سهم ناري..  
فجأة ارتعش المقود في يدي حين سمعت صوت (طرقعة) مكتومة،  
ولمحت في المرآة الجانبية شيئاً ينفصل من السيارة..  
ضغطت (المكابح) بقسوة..

توقف كل شيء للحظة.. الزمن.. السيارة.. الطريق..  
ثم تحرك كل شيء مرة أخرى، ولكن بسرعة هائلة هذه المرة..  
السيارة تدور في الهواء عدة دورات مرعبة.. رأسي يصطدم  
بالمقود.. شظايا الزجاج تخرق وجهي..

أحسست بشيءٍ ما يسحق ساقي..  
تلاشى العالم وأظلم وأضاء ثم اختفى..  
عادت الرؤية من جديد..  
أجد نفسي مسحوقاً بين المقعد و(تابلوه) السيارة التي استقرت  
على سقفها..

كانت الدماء تغرقني من كل اتجاه..



## غبار اللؤلؤ

الألم رهيب ويخنق روحي ..  
لمحت بعض السيارات تتوقف بالقرب مني ..  
حاولت أن أمد يدي وأفتح باب السيارة لأخرج لكنني لم أقدر ..  
شعرت بشيءٍ ما يخرج من معدتي ويتجمع في حلقي .. بصقته  
بسرعة فإذا به كتلة دماء سوداء ..  
شممت رائحة بنزين السيارة .. قطرة منه سقطت داخل عيني ،  
فومضت للحظة ، وأحسست بألم حارق ..  
سمعت صراخ امرأة مذعورة ، وبكاء طفلة صغيرة ممتزجاً بصوت  
(سارينة) عربة إسعاف راحت تقترب ..  
شاهدت ناراً صغيرة تندلع فجأة بالقرب مني ثم تكبر وتتجه نحوي  
في لهفة ..  
تركت نفسي تحت رحمة القدر ، وأغمضت عيني ثم سرت باتجاه  
الظلام ..  
والموت .

\*\*\*

تجمد (جلال) في مكانه وهو يتابع ما يحدث من خلال ثقب  
الباب ..

كان والده و(رزق) والرجل يقفون على هيئة مثلث ، وعلى الأرض  
مباشرة وتحت أقدامهم كانت توجد طفلة متصلة الجسد على نحوٍ

غير طبيعي.. كانت عيناها سوداوين بينما رغوة بيضاء تخرج من فمها  
ممتزجة بحشرة مخيفة.

أخرج الشيخ (مصباح) كتاباً من حقيبته، وبدأ يقرأ منه فوق رأس  
الطفلة..

فجأة ارتعشت كل أضواء المنزل..

بدأت الفتاة تتحرك من على الأرض وتزحف على ظهرها..

استمر الشيخ (مصباح) في القراءة..

هبّت ريح قوية كريهة..

- شيطان ملعون.

قالها (رزق) وهو يحمي وجهه ويتراجع للوراء.. صاح الشيخ

(مصباح) بجزع:

- خليك مكانك.

وأمام كل العيون المذعورة؛ بدأت الطفلة تتسلق الحائط بسرعة

كبيرة وبطريقة تتحدى قواعد الطبيعة..

في ثوانٍ وصلت للسقف والتصقت به.. راح جسدها يهتز بقوة كمن

ضربته شحنة كهرباء مفاجئة وتصرخ صراخاً مرعباً.

- يا رحمن يا رحيم.

رددتها (رزق) وهو يرتعش.

التفت والد الطفلة إلى الشيخ (مصباح) وقال بتوسل:

## غبار الاموات

- الحقها يا شيخ.

ابتلع الشيخ (مصباح) ريقه.. وضع الكتاب في حقيبته ثم أخرج منها كيسًا يحوي شيئًا يشبه التراب أو البخور المطحون.. تناول حفنة منه ونفخ فيه، وألقاه في الهواء باتجاه الطفلة فتجمدت..

وتوقف صراخها..

وللحظات ران صمت رهيب..

ثم دوت ضحكة خبيثة حطمت هذا الصمت.. لا أحد يعلم مصدرها..

لكنها كانت بشعة..

صرخ والد الطفلة، ثم أمسك بتلابيب الشيخ (مصباح) وحاول أن يفتك به:

- انت عملت إيه في بنتي؟

كان جسد الشيخ (مصباح) ضعيفاً.. اهتز وارتعش بين قبضة الرجل الذي أوشك أن يحطمه..

تدخل (رزق) بجسده وبذراعه، وحاول أن يباعد بينهما..

ترقرقت الدموع في عين (جلال) وهو يتابع الموقف.. صرخ ثم اقتحم الغرفة:

- أبويا.

كان لدخوله وقع الصدمة..

التقت الأعين كلها بـ (جلال) الذي توقف في منتصف الغرفة..  
ثم عادت الضحكة الجافة الخبيثة..  
وأطفئت كل الأنوار.  
ظلام..  
كان الظلام رهيباً وغير عادي..  
برودة شعر بها (جلال) تحيط بصدره وتطبق على أنفاسه..  
سار ببطء وهو يرتعش..  
مد يده أمام صدره مثل الأعمى..  
سمع صوت (رزق) وهو يصيح بأنه اصطدم بشيء ما..  
سمع آهة قوية مكتومة صادرة من والده..  
- أبويا.  
نادى بهلع..  
لا رد..  
لا مجيب..  
بدأت عيناه تعتادان على الظلام قليلاً..  
كان صدره يعلو ويهبط مثل كرة مطاطية..  
رأى يداً طويلة تخرج من وسط الظلام ثم تقبض على عنق والد  
الطفلة..

## غبار اللؤلؤ

والد الطفلة يصرخ وهو يحاول أن يقاوم أو يدافع عن نفسه.. اليد  
تسحبه إلى أسفل الفراش؛ أعقبه صوت تقطيع وطحن عظام.  
بكى (جلال)..

لمح والده وهو مكوم في أحد الأركان..

هرع باتجاهه مثل المجنون..

قبل أن يصل إليه؛ فوجي بشيء يسقط أمامه.. حين دقق النظر فيه؛

صرخ.. كان النصف العلوي لوالد الفتاة ممزقاً تماماً..

تهاوى (جلال) على الأرض من فرط هول المنظر..

عاد صراخ الفتاة مرة أخرى..

زحفت من جديد على ظهرها، وهبطت حتى وصلت إلى (جلال)..

حدجته بعينين بيضاوين مائعتين..

أخرجت لسانها.. لسان مشقوق نصفين مثل الزواحف..

قالت بصوتٍ ناعمٍ مخيف:

- جلال.

نظر (جلال) في عينيها، ف شعر أن كل ما حوله ينقبض ثم ينبسط على

نحو متسارع..

فجأة طارت الفتاة من أمامه، وارتطمت بالحائط نتيجة ركلة قوية من

(رزق) الذي استجمع شجاعته أخيراً..

حمل (رزق) (جلال) بين يديه وهرع خارج الغرفة..

صاح (جلال) وهو يمد يده باتجاه والده باكياً:

- لا.. لا..

- فات الأوان يا جلال.

قالها (رزق) وهو يمسك (لمبة جاز) قديمة ثم يطيح بها في منتصف  
الغرفة..

النيران تزحف على الجدران والأرضية مثل ثعبان نهم..  
مئات الصرخات تطاردهم بلا هوادة..  
في الخارج؛ توقف (رزق) وهو يحمل (جلال) الذي لم يتوقف عن  
البكاء..

المنزل تتصاعد منه ألسنة اللهب حتى تكاد أن تلامس السحب..

وسط النيران كانت الصرخات لا تزال مستمرة..

وضع (جلال) يديه على أذنيه..

ظل أسود مخيف تجسد من بين النيران مثل الشيطان..

شحب وجه (رزق)..

زاغ بصره..

انسحب الظل الأسود تحت الأرض وابتلعت النيران بغته..

انتهت الليلة..

لكنها لم تكن نهاية الحكاية..

كانت البداية..

البداية فقط.

\*\*\*



فتحت عيني..

كنت على سرير ضخم وتحيط بي الكثير من الأجهزة الطبية  
والشاشات التي تتراقص فوقها إشارات القلب والمخ..

رأيت طبيباً أسمر البشرة يقف في ركن الغرفة، ويتحدث مع ممرضة  
بيضاء بشأني..

تضحك الممرضة ضحكة خليعة قبل أن ينقض الطبيب على  
صدرها وينهل منه..

أصوات التأوهات تصيبي بالغثيان، بينما يتمرغان على الأرض،  
فيختلط اللحم الأبيض بالأسمر وتتحطم كل السدود..

حاولت أن أصرخ فيهما.. الصرخة لم تتجاوز حلقي..  
حركت نفسي قليلاً..

وصلت إلى حافة السرير..

اتسعت عين الممرضة وهي أسفل الطبيب حين رأته .. رفعت يدها  
باتجاهي وصاحت فيه بصوتٍ مبحوح:  
- استنى.

أثارت كلمتها الطبيب الذي لم يشعر بي، فقضم شفيتها ودفع نفسه  
بين ساقها بلا هوادة.

سقطت على الأرض..

صرخت..

فتحت عيني..

كانت كل عظمة وخلية في جسدي تن من الألم ومن هذا الحلم..  
كنت مسجى فوق سرير طبي، وحولي الكثير من الأجهزة والمعدات  
الغريبة الشكل..

صوت جهاز ضربات القلب بجواري رتيب ومرعب.. أنظر للخط  
المتموج على شاشته الخضراء، وأتذكر كثيراً من الأفلام التي تنتهي  
فيها حياة البطل بجوار هذا الجهاز..

حاولت أن أرفع ذراعي.. شعرت بألم هائل.. أسقطتها من جديد..  
التفت تجاه النافذة الوحيدة بالغرفة.. كانت مغلقة.. لم أميز هل  
الوقت ليل أم نهار..

بدأت أستجمع شتات نفسي قليلاً.. أحاول أن أفكر..



## غبار الأموات

نظرت لشاشة جهاز ضربات القلب.. لمحت على زجاجة الشفاف  
انعكاس لصورتي.. أبدو في حالةٍ رثةٍ وصعبة..  
بعد قليل سمعت أصواتاً في الممر، ثم دخلت ممرضة قصيرة القامة،  
كئيبة الوجه، تبدو كأنها رسول ملاك الموت.. رمتني بابتسامة باردة ثم  
تأكدت من عمل بعض الأجهزة ووضعت لي محلولا وغادرت دون أن  
تنبس بحرفٍ واحد..

أرخت رأسي فوق الوسادة وأغمضت عيني رغماً عني..  
أشعر أن جسدي أثقل مما كان.. ربما كان هذا بسبب كل تلك  
الضمادات التي تملأ جسدي..  
نصف ساعة ثم عادت الممرضة وبرفتها طيبة، متجهمة الوجه،  
طويلة القامة، وتعد شعرها على شكل ذيل حصان..  
- أنا الدكتورة منى.

قالتها بلهجةٍ عملية، ثم أخذت تفحصني باهتمامٍ شديد، وطلبت  
مني أن أطمئن..

لمحت الممرضة وهي تكسر (أمبول شفاف) وتسحب محتوياته  
بواسطة حقنة كبيرة ثم تحقنه داخل كيس المحلول المعلق بذراعي..  
نبض رأسي بالألم وشعرت بزيادة في ضربات قلبي..  
لاحظت الدكتورة (منى) تقلصات وجهي، فطلبت من الممرضة أن  
تخفف من سرعة وصول المحلول لي.

حاولت التكلم.. خرج صوتي ضعيفاً واهناً:

- طمئيني على حالتي يا دكتورة.

تجيب بالصمت..

كررت السؤال مرة أخرى، وأنا أتابع خلجات وجهها باهتمام..

رمقتني للحظة أحسست أنها دهرًا..

قطبت وجهها ثم تكلمت بسرعة.. أخبرتني شيئاً ما.. توهمت

للحظة أنني أسمعها فعلاً.. كذبت أذني.. قلت:

- مش سامع كويس.

نظرت لي نظرة مشفقة.. تصلبت عضلات وجهها ثم قالت ببطء:

- الحادثة أدت لكسر في عمودك الفقري.. انت كنت في غرفة

العمليات لمدة ١٠ ساعات متواصلة.. الدكاترة عملوا معاك إنجاز بكل

المقاييس عشان تقدر تعيش.. لكن حصل لك تلف كبير في أعصاب

القدمين، ومش هتقدر تمشي تاني.

\*\*\*

خيم الصمت أمام منزل الشيخ (مصباح)..

صمت لم يكن يقطعه غير تلاوة قرآن تخرج من راديو (ترانزستور)

ضحك..

و جلال..

## غبار الأسوار

كان (جلال) يجلس على كرسي خشبي يطرق برأسه أرضاً وحوله  
جلس بعض الذين أتوا لتعزيتته..

عبارات المواساة تمر على أذنيه دون أن تحدث أدنى تأثير..  
بعض نظرات الشفقة ومصمصاة الشفايف كانت تغيظه كثيراً..  
كان ينتظر أن ينتهي كل ذلك..

وينتهي هذا الكابوس..

ويظهر والده..

لكن لم يحدث..

وحين غابت الشمس ورحل آخر شخص من المعزين؛ تلفت حول  
نفسه في حسرة..

فضاء رهيب..

بدا له كل شيء فارغاً وواسعاً..

ظل لمدة في مكانه قبل أن ينهض ويجمع الكراسي القليلة ويدخلها  
إلى المنزل.. حمل الراديو وأعادته إلى موضعه فوق سقف (النملية).

تناول سلماً خشبياً ثم استخدمه للصعود إلى سطح المنزل..

كان فوق السطح عشة دجاج وبرج حمام خشبي خالي من أي  
حمامة..

تسلق (جلال) البرج بسرعة وتعود.. جلس فوق قمته ينظر إلى  
مشارف القرية..

من أعلى كانت ضئيلة جدًا..  
صغيرة جدًا..

أخبره والده ذات يوم أن أهل (سحاحير) هم أحفاد سحرة (فرعون)  
الذين أتى بهم يوم الزينة حين تحدى (موسى) عليه السلام..  
توهم أنه يمكن أن يسحقها بيده..  
وحيد هو فيها مثل قارب ضائع وسط محيط..  
- جلال.. جلال.

قطع تفكيره؛ نداء (رزق) الذي صعد السطح وهو يلهث:  
- انزل.

لم يرد (جلال).. اكتفى بالنزول ببطء  
- على مهلك.

قالها (رزق) وهو يعاونه على النزول، ثم مد يده في جيب جلابه  
وأخرج لفافة ورقية بها شيء طري تفوح منه رائحة السمن البلدي..  
ناولها لـ (جلال) وهو يقول:

- فطيرة سخنة بالسمن البلدي.. عملاها لك (أم بدير).

أمسكها (جلال) دون أن يأكل منها..

تنهد (رزق) ووضع يده على كتفه بحنان أبوي:

- أنا عارف صعوبة إنك تفقد والدك.. عارف كمان إن مفيش كلمة  
مممكن تواسيك.

## غبار الأسوار

هز (جلال) رأسه.. أكمل (رزق):

- بس يا بني الموت علينا حق ومصير.. كلنا هنموت.. موتنا  
النهاردة، موتنا بكرة، النتيجة واحدة.

قال (جلال) بحزن وبلهجة لا تناسب طفولته:

- الفراق صعب.

- عارف يا جلال.. بص انت هتيجي تعيش معايا.. أنا حاسس اني  
السبب في اللي حصل للشيخ مصباح.. يمكن لو مكتتش خدته كان  
عاش.

رفع (جلال) وجهه إلى (رزق) وتغيرت تعابيره ولم ينطق..  
أكمل (رزق):

- هتيجي معايا وهتكون في منزلة ابني (بدير).. ولو تحب ممكن  
تشتغل معايا في المعدية.

ثم سحب (جلال) من يده دون أن ينتظر رده ونزل به.  
ألقى (جلال) نظرة أخيرة على السطح وعلى برج الحمام..  
ملأت الدموع عينيه لكنه لم يستطع أن يذرفها أبدًا.

\*\*\*

يمر الوقت..

تمر الأيام..

استقرت حالتي بنسبة كبيرة، وتم نقلي من وحدة العناية المركزة إلى  
عنبر العظام..

مازلت أذكر حين دخلت هذا العنبر أول مرة، ظننت أنني في لقطة  
من أفلام الكوارث أو أفلام الرعب.

كان في العنبر حوالي عشرون سريرًا؛ فوقهم كل أنواع الحالات  
التي يمكن أن تخطر على بال بشر.

كان هناك أيضًا بعض المرضى الذين يسرون في ردهة العنبر  
بهدف تحريك عظامهم قليلًا.. كانوا يتحركون ببطء شديد مثل كائنات  
الزومبي.

كان سريري يقع في نهاية العنبر بالقرب من نافذة صغيرة تطل على  
حديقة المستشفى التي ماتت نباتاتها بسبب الإهمال.. بالتأكيد هذا  
الأمر كان يدعوني إلى الخوف والشك في أنني سأظل على قيد الحياة  
في هذا المكان.

فكرت كثيرًا أن الموت حل جيد بالنسبة لي.. ربما لو استجمعت  
قوتي واستطعت أن أتجاوز النافذة سأحلق عندها في الهواء..

للأسف كان العنبر في الدور الثالث.. مسافة مرتفعة لكنها ليست  
كافية لقتلي.. على العكس ربما ستؤذيني بدنيًا أكثر.

كان فوق السرير المجاور لي شيخ مريض تجاوز الخمسين من  
العمر.. وجاء بسبب كسر مضاعف في ساقه.. كان أبيض البشرة،

## فبار اللؤلؤ

مستدير الوجه، ذو أسنان كاملة العدد.. فيما بعد اكتشفت أنها تركيبة أسنان صناعية.

علمت أن اسمه (فؤاد) كان صائغاً وله محل مشغولات ذهبية وفضية في دمياط قبل أن ينتقل للعيش في القاهرة..

حين سألته عن سبب انتقاله؛ أخبرني أن ابنته الوحيدة تزوجت من شاب قاهري وانتقل للعيش معها..

أخبرني أيضاً أنه لم يستطع العيش بعيداً عنها لذا قام باستئجار شقة بالقرب منها..

خلال فترة مكوثه في العنبر؛ كانت زوجته تأتيه بصفة شبه يومية.. كانت تحضر له الطعام والعصائر والحلويات.. كانت سيدة صغيرة الحجم، هزيلة الجسد، ولكنها تحوي طيبة كبيرة..

الغريب أن بنت (فؤاد) وزوجها لم يأتيا ولو مرة واحدة..

حاولت أن أسال (فؤاد) عن السبب لكنه أشاح بوجهه ورفض الإجابة..

أعتقد أن هذا هو جحود الأبناء على الآباء ليس إلا.

في مواجهتي أيضاً؛ كان يوجد عجوز هزيل الجسد غائب طوال الوقت عن الوعي.. اعتقدت في البداية أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة لكن بعد مرور يوم وآخر؛ أدركت أنه ما زال متشبثاً بالحياة.. لا أعلم لماذا..

لو كنت أستطيع أن أسديه النصيحة لأخبرته أن يغادرها في أقرب عربية لنقل الموتى.

كرهت كثيراً صوت تأوهاتة أثناء الليل.. كانت خافتة لكنها مؤلمة..  
بمرور الوقت تعودت عليها وصرت أنام على وقعها..

ذات ليلة افتقدت تلك الأصوات..

في الصباح كان العجوز جثة هامدة..

جاء الطبيب وفحصه بكثيرٍ من الروتينية والملل، ثم دون وقت الوفاة وانصرف..

تم نقل الجثمان فوق محفة معدنية متهالكة وبعد أن غطوها بملاءة بيضاء..

خمس دقائق ثم جاءت ممرضة نظفت مكانه وهي تسب وتلعن كل شيء وأي شيء..

خمس دقائق أخرى وكان يحتل السرير شاب جاء بكسرٍ في ذراعه نتيجة اصطدامه بـ (توكتوك) حين كان يقود دراجته النارية.

علمت منه أن اسمه (عبده) وشهرته (عبده توصيل)..

كان (عبده) يعمل بخدمة توصيل الطعام لدى أحد مطاعم الكباب والكفتة، والتي تستخدم لحم الحمير والكلاب..

أخبرني (عبده) أنه قام بنفسه بجلب لحم الحمير إلى صاحب المطعم أكثر من مرة.



## غبار الذاكرة

كانت ميزة هذا ال (عبده) أنه مرّح أكثر من اللازم، ومقبل على الحياة أكثر من اللازم أيضًا..

بمرور الوقت اعتبرته مهرج العنبر، واستمتعت كثيرًا ببنكاته البذيئة وحكاياته التي لا تنتهي مع الفتيات..

استمتعت أيضًا بمتابعته وهو يحاول التحرش بممرضات العنبر.. للأمانة بعض الممرضات استمتعن بالموضوع، وتركن له بعض المساحة والحرية في التصرف..

تمنيت ألا يغادر العنبر مطلقًا.. للأسف غادر بعد أسبوع حين استقرت صحته، لكنه ترك لي عنوانه ورقم هاتفه في حالة إذا ما احتجت له..

بعدهما غادر (عبده) مكثت في العنبر شهرين أجريت خلالهما سبع عمليات جراحية.. في كل مرة كانت الدكتورة المتجهمه (منى) تخبرني بأي هراء سيعبثون به داخل جسدي..

كانت العمليات تستنفذ طاقتي وأعصابي وكذلك مدخراتي..

طلبت من (إيمان) أن تبيع السيارة أو ما تبقى منها..

بعد أيام أتت (إيمان) ومعها (فوزي) المحامي..

كان (فوزي) صديقي الحميم إبان فترة الجامعة، ثم باعدت بيننا

الظروف والأيام وصار كل منا يصارع تلك الحياة البائسة..

كان قصير القامة، بدين إلى حد ما، ملامحه طفولية، ويعيش بمفرده في شقة إيجار قديم تركها له والده الذي مات في حادثة قطار الصعيد الشهيرة..

كنت أحياناً أستعين بخدماته القانونية.. لم يكن محامياً جيداً يمكن أن ينقذك من ورطة ما، لكنه كان يستطيع إنجاز القضايا والأشياء البسيطة..

في النهاية استطاع (فوزي) إنهاء الموضوع وتم بيع السيارة لواحدة من الشركات التي تشتري سيارات الحوادث..

كان المبلغ زهيداً لكنني كنت أريد أن أستخدمه في إجراء جراحة جديدة..

كنت أريد أن أمشي مرة أخرى وأخرج من هذا المكان.  
للأسف كان كل شيء يختفي أو يموت في هذا العنبر.. البشر.. الليل.. النهار..  
وأيضاً الأمنيات.

\*\*\*

استقبلت زوجة (رزق) (أم بدير)، (جلال) بترحاب حقيقي نابع من القلب..

كانت (أم بدير) امرأة ريفية ضخمة البنيان، اكتظ جسدها بالشحوم.. كانت ثقيلة الحركة وتعاني من أمراض عدة من بينها السكر والضغط.

## غبار الأسوار

بمجرد أن دخل (جلال) منزل (رزق) شعر بأمان غريب، ودفء..  
كان المنزل بسيطاً متواضع الأثاث، مثل معظم منازل القرية..  
مبني من الطوب الأحمر، وله سقف مصنوع من البوص والخشب  
السويدي..

كان مكون من حجرتين؛ إحداهما كبيرة، والأخرى صغيرة، وصالة  
يتوسطها شجرة ضخمة تمثل العمود الأساسي للسقف.  
كان (رزق) ينام مع زوجته في الحجرة الكبيرة، بينما نام الصبيان في  
الحجرة الصغيرة..

انقضت الليلة الأولى لـ (جلال) كدهر من الزمن.. تقلب كثيراً  
وكثيراً في الفراش.. وبعد أسبوع اعتاد على المكان..  
وعلى الحياة..

كان (رزق) يوقظ (جلال) و(بدير) مبكراً، ثم يأخذهما للزاوية  
الملاصقة للبيت حيث يصلون الفجر في جماعة، قبل أن يتوجهوا سويّاً  
للعمل معه في (المعدية)..

كانوا يقطعون الطريق الممتد من المنزل إلى (المعدية) والبالغ  
حوالي ٢ كيلو؛ سيراً على الأقدام كل صباح..  
بالرغم من أن (رزق) رجل عجوز لكنه كان قوي كالحصان، وكان  
قادر على أن يسبقهم الخطى بكل سهولة..

كان الثلاثة يصلون لـ (المعدية) حين يبدأ نور الصباح في إضاءة الأرجاء، وحين يخرج عمال الترحيلات واليومية إلى مشاغلهم.. كان العمل لا ينتهي في (المعدية) إلا قرب منتصف الليل.. بمرور الوقت صار (جلال) بارع في الرسو (بالمعدية) والانتقال بها بين شطري الترعة.. بمرور الوقت أيضًا؛ توقف (رزق) عن الذهاب وتركه هو و(بدير) يديران العمل.

بالنسبة لـ (جلال) كانت الأيام تمر عليه متشابهة.. الأمس مثل اليوم مثل الغد.. لا جديد.. مجرد أيام تمر وتمضي؛ تأقلم خلالها (جلال) على حياته الجديدة.. تبقت فقط غصة صغيرة في قلبه تذكره بين الحين والآخر بوالده، وما جرى من أحداثٍ مؤسفة في الماضي، لكن أكثر ما كان يزعجه خلال تلك الفترة ذلك الحلم الغريب.. حلم رأى فيه والده الشيخ (مصباح) ملفوفًا في كفنٍ أبيض ممزق، وقد سالت الدماء من عينيه، وهو يبكي قائلاً بصوتٍ أجش:  
- جلال.. سبتهم يدفنونني ليه؟.. أنا كنت لسه عايش.

\*\*\*

خرجت من المستشفى مشلول الساقين، مكسور الروح.. أحسست برعدة خوف حين دخلت المنزل فوق مقعد متحرك تدفعه (هبة)..

## غبار الأسوار

تابعت (إيمان) وهي تلقي نفسها على أقرب مقعد في مزيج من الإرهاق والضيق.. ما حدث في الشهور المنصرمة جعلها تستنفذ طاقتها في التحمل.. كنت مقدرًا تمامًا لما تمر أو تشعر به.. لكننا في اختبارٍ صعبٍ وعلينا أن نتجاوزه سويًا..

شعرت أن رائحة المنزل مختلفة.. ألوانه تغيرت.. كان يبدو على غير ما تركته أو أتذكره.. كان أكثر جمالًا وأطيب رائحة.. على الأقل حين أموت هنا لن أكون حزينًا.. فقط كنت حزينًا على (هبة).. أرى الانكسار والحزن والألم في عينيها..

دقيقتان ثم نهضت (إيمان) وغابت داخل المطبخ لبرهة من الوقت.. التفت إلى (هبة) وحاولت أن أبتسم:

- متقلّيش.. كل حاجة هتبقى تمام.

بادلتني الابتسامة:

- أكيد يا أبو هبة.

تجادبت معها أطراف الحديث قليلًا.. سألتها عن أحوال المدرسة والامتحانات.. كانت كل إجاباتها مقتضبة.. في النهاية جاءت (إيمان) تحمل (صينية) عليها طعام بسيط وقدمته.. تجمع ثلاثتنا حول الطعام وأكلنا..

كان الوجوم والصمت يخيم على المكان.. حاولت أن أكسر كل ذلك بإخبارهم عن (عبده) ولحم الحمير، لكنني فشلت.

بعدهما انتهينا؛ دخلت (هبة) إلى غرفتها لتنام ثم بقيت مع (إيمان) قليلاً.. سألتها:

- لسه معاكي فلوس؟

حركت رأسها بأسف:

- مبقاش في البيت غير ١٠٠ جنيه.

- هلاقي حل.

قالت بتردد:

- ماتروح لأخوك صلاح، ممكن يساعدك.

نظرت لها غاضباً.. جززت على أسناني وأنا أضغط على كل حرف

أقوله:

- صلاح لا.

اعترضت:

- لأليه.. ده أخوك.

صحت:

- قلت لأ.

ثم طلبت منها أن تتوقف عن الحديث في هذا الشأن وأن تدخلني

إلى غرفة النوم..

نفذت طلبي على مضض.. دفعت الكرسي المتحرك، فعلق في

السجاد.. قالت:

## غبار الأمل

- بكره هشيل كل السجاد عشان تعرف تتحرك بالكروسي بحرية.  
- مفيش داعي.. أنا هتأقلم.  
فوق الفراش؛ تابعت (إيمان) وهي تجلس على كروسي التسريحة  
ترتدي فستان نوم شفاف، وتعطر عنقها وصدرها بعطر فواح جميل.  
نظرت لها بشغفٍ قديم..  
أطفأت هي الأنوار، ثم انسلت إلى جوارى على الفراش وأولتني ظهرها..  
لمست خصلة من شعرها وتحسست ظهرها.  
- نام.  
قالتها بغنج دون أن تلتفت نحوي.. قبلتها خلف أذنيها وأنا أقول:  
- لا.  
التفتت نحوي والشبق يثور داخل عينيها الخضراوين..  
قبلتها مرة أخرى..  
جذبت غطاء السرير واختفينَا أسفل منه..  
دقائق مرت..  
دقائق أخرى ثم طوحت (إيمان) بالغطاء من فوقنا بضيق، ونهضت  
من جوارى وهي تسب وتلعن الدنيا والآخرة.  
كان التوتر والعرق يغمران وجهي..  
وكذلك الفشل.

\*\*\*

## ٣

.....  
بعد عام تقريبًا؛ توفت (أم بدير)..  
كان الأمر محزنًا..

انطفأت من المنزل شمعته الوحيدة.. صار منزل (رزق) مظلمًا  
طوال الوقت..

وفي يوم جاء (رزق) بشمعة جديدة.. تزوج من شابة تصغره بعشر  
سنوات.. أضاءت قلبه وأظلمت قلب (بدير) و(جلال).

\*\*\*



## ٤

استمر فشلي مع (إيمان)..  
جربت كل أنواع المنشطات والأدوية.. زرت أكثر من طبيب  
وطبيبة، ودجال ودجالة..  
لا فائدة..

بمرور الأيام تناسيت الموضوع، ولم أعد أجرب أو حتى أحاول..  
(إيمان) بدورها أصابها التعب.. ظلت تكتم مشاعرها وتخفيها..  
كانت تحاول القول أن ذلك غير ذات أهمية بالنسبة لها.. لكنني أعلم  
أنه عكس ذلك..

وفي يوم انفجرت.. كنت أتوقع هذا.. لكن ليس بمثل تلك السرعة  
أو العنف..

كان الأمر أشبه بقنبلة تنفجر في مكان ضيق جداً..  
تطايرت بيننا الكلمات الجارحة بلا هوادة أو رحمة.  
(إيمان) طلبت الطلاق..

بعد أيام بسيطة قمت بتطليقها..  
بعد انقضاء شهور العدة؛ تزوجت من صديقي (فوزي).

## ب

- .....
- روح هات لينا الغدا.  
قالها (بدير) لـ (جلال) وهو يرسوب (المعدية) على البر، وبدأ  
الركاب في النزول منها..
- (جلال) و(بدير) كبرا الآن وصارا شابين يافعين قويين، لهما ملامح  
صلبة وجلد مشدود، غير أن (جلال) كان أكثر طولاً وضخامة.  
ابتسم (جلال) ومسح عرق جبينه بكم قميصه وقال:  
- النهارده الدور عليك يا أبو عمو.  
ربط (بدير) المعدية، في جذع الشجرة:  
- النهارده سوق الأربعاء يا ابن الشيخ مصباح، والحلويات كثير.  
وأشار إلى فتاة قادمة تختال وهي تحمل كيساً ضخماً، ثم غمز  
بعينه..
- ضحك (جلال) وفرد جسده على مقدمة (المعدية) باسترخاء:  
- لا يا أبو عمو.. أنا متمسك بسياسة الدور.

## غبار الأسوار

تناول (بدير) إسفنجة صغيرة يستخدمانها في تجفيف (المعدية) من الماء، وطوحها في وجه (جلال) هو يضحك:

- هرميك في الميه.

أحنى (جلال) وجهه قليلاً وتفادى الإسفنجة، لكن قبل أن يعتدل؛ فوجئ بـ (بدير) ينقض عليه ويحمله من خصره في الهواء.

غمغم (جلال):

- يا ابن الراجل الطيب.

صاح (بدير):

- قلت لك هرميك.

ثم دفع (جلال) من فوق (المعدية) باتجاه الماء..

تشبث (جلال) بطرف قميص (بدير) وهو يهتف:

- هاخذك معايا.. علي وعلى أعدائي.

- شمشون الجبار يا خويا.

وسقط الاثنان سوياً في الماء محدثين ضجة وموجة صغيرة..

بصق (جلال) الماء من فمه حين خرج من تحت الماء.. استقبلته

ضحكة جميلة مثل لحن ناعم.

- عيشة.

قالها بلهفة، وهو ينظر إلى فتاة بيضاء البشرة، جميلة الملامح، ولها شعر كستنائي طويل تخرج ضفائره من تحت (إيشارب) قصير أزرق اللون.. قالت بصوتٍ يمتلئ عذوبة:  
- مساء الخير يا جلال.

خرج (بدير) من تحت الماء في تلك اللحظة.. تبادل النظر بينهما.. (عيشة) و(جلال) صامتان وكلاهما يملأ عينيه من ملامح الآخر.. قال (بدير) وهو يصعد (المعدية) ويقلد نبرة (جلال) في الكلام:  
- عيشة.

حدجه (جلال) بنظرةٍ معاتبة، ثم خرج من الماء وسلم على (عيشة) وهو يقول بإحراج:

- مفيش.. كنا بنهزر.

ثم التفت لـ (بدير) وأردف:

- هروح اجيب الغدا.

تمتم (بدير) بسخرية:

- تجيب الغدا ولا توصل عيشة.. عليا انا الكلام ده يا ابن الشيخ مصباح.

\*\*\*

الليل..

لا ينتهي..

## غبار الذاكرة

وكذلك الألم..

والحزن..

زخات المطر فوق زجاج نافذة غرفتي كانت تصنع لحن ذكرياتٍ  
قديم؛ جعل الدموع تترقق في عيني..

كانت قد مرت بضع سنوات منذ أن انفصلت عن (إيمان).. آخر  
شيء أعلمه عنها أنها سافرت مع (فوزي) إلى واحدة من دول الخليج  
ثم انقطعت أخبارهما..

تقلبت قليلاً في الفراش..

حانت التفاتني إلى ساعة الحائط القديمة وعقاربها المذهبة..

تابعت حركة عقرب الثواني وهو يدور بلا كلل أو ملل..

تبدو الساعة كثيبة ومريضة مثلي..

فكرت ربما تكون ملت من بقائها في هذا الركن..

فكرت أيضاً لو كانت لتتكلم ماذا كانت لتقول..

ربما لو نبتت لها قدمان ولسان صغير في الأسفل لأصبحت قريبة

الشبه من رسومات الأطفال المضحكة..

تذكرت أنه لا يوجد لدي سبب واضح لاحتفاظي بمثل تلك

الساعة..

اجتاحني ذكريات السنوات الماضية.. كانت شديدة القسوة.. أنا

حبس الكرسي المتحرك والفراش..

نظرت مرة أخرى للساعة..

ربما لو حطمتها الآن لشكرتني أجزاءها..

يستمر عقرب الساعة في الدوران..

والدوران..

والدوران..

يا إلهي.. لماذا لا تتوقف؟..

استعنت بيدي ورفعت جسدي فوق الفراش.. أمسكت زجاجة الدواء التي بجواري.. تنفست بعمق عدة مرات.. صوبت جيداً.. طوحت بالزجاجة في اتجاه الساعة.. تنطلق الزجاجة وتدور في الهواء عدة دورات.. أتابعها وهي تطير ببطءٍ مثل لقطة من فيلم.. توشك على الاصطدام بمنتصف الساعة.. قبل أن تصل تنحرف بضع سنتيمترات قليلة جداً.. تصطدم بالحائط.. تتحطم.. تتناثر شظايا الزجاج والدواء في الهواء.. بعض قطرات من الدواء تعانق طرف الساعة السفلي.. تترك فوقه بقعة صغيرة أشبه بقبلة شفاه رفيعة..

ثم أتى النهار..

تمنيت ألا يأتي..

سمعت صوت خطوات (هبة) تعبث داخل أرجاء الشقة.. هي الآن طالبة في الفرقة الثانية بوحدة من الكليات النظرية ذات المجموع المنخفض الذي يناسب تفكيرها..

## غبار اللؤلؤ

للأسف كانت هناك حلقة مفقودة بيني وبينها.. أحياناً أشعر أن كلينا يتحدث بلغة لا يفهمها الآخر، أو أن أحدهما أصم والآخر أكمم.. حاولت أكثر من مرة أن أكسر الحاجز الذي بيني وبينها لكنني فشلت وبكل جدارة..

ناديت عليها لتعاونني على الجلوس فوق الكرسي المتحرك.. بعد أن ساعدتني؛ ذهبت هي للمطبخ لإعداد الإفطار.. دخلت الحمام وغسلت وجهي ثم خرجت.

- مش بتاكلي ليه؟

سألت (هبة) باهتمام، ونحن نجلس على مائدة الطعام.. لم ترد..

كررت سؤالي هذه المرة لكن بصوت أكثر قوة وحدة.. انتبهت لي فقالت مرتبكة:

- مفيش.. مش جعانة.. هدخل أوضتي ألبس عشان الكلية.

وحاولت أن تنهض لكنني استوقفتها بحزم:

- هبة.

نظرت لي فيما يشبه الحنق..

قلت وأنا أشير على الطعام:

- كملي فطارك.

عادت تجلس بغضب، ثم صبت لنفسها كوب ماء ونهلت منه حتى  
منتصفه..

قربت منها كوب اللبن:

- على الأقل اشربي كوباية اللبن دي.. جسمك محتاج للغذا.

تناولت مني اللبن ورشفت منه رشفة صغيرة وتوقفت..

تذكرت شيئاً فسألتها:

- نتيجة امتحانات الترم الأول ظهرت ولا لسه؟

قطبت وجهها:

- آه.. ظهرت يا أبو هبة.. وقلت لك قبل كدا.

تذكرت الآن..

بالفعل أخبرتني.. لكن ماذا قالت بالضبط.. أنا لا أذكر.. يومها لم

أكن منتبهاً لها جيداً.. كنت مشغولاً بقراءة موضوع حول طبيب ألماني

يقوم بإجراء جراحات حديثة، ربما تمكنني من السير مجدداً..

لم أشأ أن أسألها؛ كيف أبليت مادامت قد أخبرتني مسبقاً.. لكن

يبدو أنها أدركت أنني لا أتذكر فقالت:

- نجحت.

اتسعت ابتسامتي:

- يبقى لازم نحتفل.

قالت بحذر:



## غبار الأمل

- بجد؟

صحت بحماس:

- بجد طبعًا..

ثم ترددت:

- ولا انتي عاوزة هدية؟

وحركت يدي دلالة أن الأمر سيان بالنسبة لي وأردفت:

- أو براحتك.. اللي انتي تحبيه.

فكرت في كلامي للحظات ثم قالت:

- لو موبايل جديد يبقى خير وبركة.

- اعتبريه في إيدك.

ولم أكد أنني جمعتي حتى رن هاتفي.. وضعت السماعة على طرف

أذني.. سمعت آخر خبر يمكن أن أتوقعه..

أخي (صلاح) مات.

\*\*\*

ارتسمت على وجه (جلال) ابتسامة طفل صغير، وهو يسير بجوار

(عيشة) على الطريق الزراعي تحت أشعة الشمس والظلال.. كانت

الحقول الخضراء على يمينهما والترعة العمومية للقريّة على يسارهما..

سألها:

- أخبارك؟

- تمام.. وانت؟

- تمام برضه.

ثم سكت قليلاً وراقب بعض المارة الذين نظروا لهما بريبة، قبل أن يقول:

- عاوزة تقولي حاجة.. حد مضايقتك؟

قالت بعد فترة من الصمت القصير:

- أمي..

نظر لها متعجباً.. عادت تكمل:

- مبقتش عاوزاني أخرج من البيت.

سألها:

- ليه؟

هزت رأسها:

- مش عارفة.

حاول أن يخمن:

- أنا السبب.

أسرعت تقول:

- لا.. طبعاً لأ.. سيبك من الموضوع ده.

ثم حاورته بعد ذلك قليلاً.. خرج منها الكلام متلعثماً كثير الارتباك..

## غبار الأسوار

(جلال) كان يدرك أن هناك سببًا تخفيه جعلها لا تأتي ناحية (المعدية) منذ ما يقرب من الشهرين، وهي التي اعتادت أن تأتي يوميًا.. صحيح أنه كان يتتبع أخبارها من بعيد لكن هذا لا ينفي شعوره بالقلق.. كانت (عيشة) وحيدة والديها.. والدها كان عاملاً بسيطاً من عمال اليومية؛ انحنى ظهره من كثرة استعمال الفأس وحش البرسيم. أمها كانت امرأة بسيطة لا تخرج من المنزل، مصابة بأمراض عديدة من بينها؛ السكر الذي أدى إلى بتر ثلاثة من أصابع قدمها اليسرى.. كانوا يسكنون في منطقة قريبة من منزل (جلال) القديم حيث بداية معرفته بـ (عيشة) من خلال اللعب في الحارة..

كانت (عيشة) تجيد الغناء وصوتها جميل مثل كروان الصباح.. حين لاحظ عليها (جلال) الضيق من كثرة أسئلته؛ طلب منها أن تغني له أغنية البحر لنجاة.. ابتسمت:

- مبتزهقش منها.

رد عليها بأخر مقطع من الأغنية:

- وانت يا حبيبي.. انت كل الحياة.

وضعت يدها على أذنيها وهي تضحك:

- اسكت.. صوتك نشاز.

ثم أخذت نفساً عميقاً وبدأت تغني.

«أنا بعشق البحر.. زيك يا حبيبي حنون، وساعات زيك مجنون،  
ومهاجر ومسافر، وساعات زيك حيران، وساعات زيك زعلان  
وساعات مليان بالصمت، أنا بعشق البحر..»

أنا بعشق السماء.. علشان زيك مسامحة مزروعة نجوم وفرحة،  
وحببة وغريبة، وعشان زيك بعيدة، وساعات زيك قريبة، بعيون  
منعمة، أنا بعشق السماء..

أنا بعشق الطريق.. لأنه فيه لقانا، وفرحنا وشقانا، أصحابنا شبابنا،  
وفيه ضحكة دموعنا، وفيه بكيت شموعنا، وضاع فيه الصديق، أنا  
بعشق الطريق..

أنا بعشق البحر، وبعشق السماء، وبعشق الطريق لأنهم حياة، وانت  
يا حبيبي.. انت كل الحياة."

تمنى عندها لو استمرت تغني إلى ما لا نهاية.  
على مشارف نهاية الأغنية؛ كانا قد اقتربا من منزلها..  
ودعها بابتسامة ثم أسرع الخطى لمنزل (رزق) وهو يصفر لحن  
الأغنية..

شرد بعقله قليلاً حتى وصل.. دفع باب المنزل الخشبي ودخل..  
فجأة سمع قهقهة (رزق) وضحك زوجته الجديدة (سعاد) يأتي من  
وراء جدران غرفتهما..

توقف في الصلاة وارتبك..

## غبار اللؤلؤ

أراد أن ينادي على (رزق)..

سمع صوت حركة.. تراجع خطوة للوراء وكاد أن يخرج..  
ظهرت (سعاد) وهي ترتدي قميص نوم أبيض يخرج منه لحمها  
الأبيض الطري.. كان رأسها عارياً وشعرها مفروداً ومنسدلاً كالحرير..  
ارتبكت (سعاد) حين رأت (جلال).. ضربت الحمرة والخجل  
وجهها.. تسمرت في مكانها للحظات وتوقف المشهد تماماً، ثم ندت  
منها شهقة مكتومة، وجرت بسرعة عائدة إلى غرفتها..

سمعها (جلال) تصرخ في (رزق).. كانت أول مرة يراها في ثوب  
المرأة.. خلخلت مشاعره لبرهة من الوقت.. لا بد أنها أيضاً شعرت  
بذلك.. رأى ذلك في عينيها..

دخل إلى غرفته.. أغلق على نفسه الباب وجلس على سريره يراقب  
السقف.. سمع حواراً صاخباً يدور بين (رزق) و(سعاد).. تردد اسمه  
كثيراً..

ساد صمت..

دقائق وتلاشى الصمت واختفى.. عاد صراخ (سعاد) أكثر حدة  
وغضباً..

ثم ساد صمت آخر جديد..

طويل..

جاءه (رزق) وهو يمشي على استحياء.. كان يرتدي عباءة منزل  
بنية اللون، وقد انحنى ظهره للأمام قليلاً وظهرت سنوات عمره التي  
تجاوزت الستين فوق لحيته المسترسلة والتي غزا فيها البياض السواد..  
كان وجه (رزق) يحمل ألف كلمة وكلمة.. ألف حرج وحرج..  
ألف عذر وعذر..

وقبل أن ينطق؛ قال (جلال):

- كنت عاوز أكلمك في موضوع.

رد (رزق) بأبوة:

- إيه هو يا جلال؟

أجلسه (جلال) بجواره وأجاب:

- كنت بفكر من مدة أرجع البيت القديم.. وبيتهيألي إن ده الوقت

المناسب.

اعترض (رزق):

- لكن..

قاطعته (جلال):

- حقيقي أنا مقدرش أوفيك حقك على كل اللي قدمته لي.

- بدير هيزعل قوي.. لا.. لا يا جلال.. انت مش هتمشي من هنا.

سمع الاثنان صوت نحنة، ثم ظهرت (سعاد) على عتبة الباب

تنظر شزرًا..

## غبار اللؤلؤ

- رماها (رزق) بنظرةٍ غاضبةٍ ونهرها بعنف، فهرولت مسرعة إلى  
غرفتها وهي تتمتم بكلام غير مفهوم..  
وضع (رزق) يده على كتف (جلال) وقال:  
- صحيح انا شيخ كبير لكن لسه كلمتي مسموعة في البيت.  
ربت (جلال) على يد (رزق):  
- كلمتك سيف على رقبتى.. لكن اعذرني المرة دي.  
هتف (رزق):  
- لو كان الموضوع بخصوص سعاد، أنا هبني دور كمان.. في كل  
الأحوال كنت ناوي اعمل كدا.  
ابتسم (جلال) ابتسامة شاحبة:  
- وفر فلوسك يا عم رزق.. بدير هيحتاجها عشان يتجوز.  
- وانت.. مش عاوز تتجوز؟  
- لسه الطريق قدامي طويل قبل ما أفكر في الموضوع ده.  
- عيشة مش هتستنى كل ده.  
هز (جلال) رأسه:  
- يبقى كل واحد واخذ نصيبه.  
ثم التفت للحائط وإلى صورة بالأبيض والأسود تجمععه مع (بدير)  
وقال بأسى:  
- همشي دلوقتي.. متنساش تودي الغدا لبدير.

\*\*\*

لم تتنابني أي مشاعر حين بلغني خبر موت (صلاح)..  
بالرغم من أننا توأم إلا أن فترة القطيعة التي حدثت بيننا بسبب  
استيلائه على فيلا والدتي؛ حطمت وسحقت كل الأشياء بيننا..  
فكرت ألا أذهب إلى الجنازة لكن اعتقدت بأنه على نحوٍ أو آخر لا  
بد أن أذهب..

اتصلت بـ (عبده توصيل) والذي ترك محل الكباب واشترى  
(تاكسي) أبيض اللون جعله يغرق في الديون السوداء..  
جاءني (عبده) بعد قرابة النصف ساعة؛ كنت خلالها قد انتهيت من  
ارتداء ملابسني وتجهيز الكرسي المتحرك..

(هبة) أصرت على أن تأتي.. لم أجادلها كثيراً.. نزلنا سوياً حيث  
وجدنا (عبده) يطحن (سندوتش) فول وطعمية، ويستمتع لمهرجان  
شعبي حديث.. قالت (هبة) بحنق:  
- اظفي البتاع ده.. عمي مات.  
- حاضر.

قالها (عبده) وهو يغلق الكاسيت بسرعة، ثم عاونني على الركوب،  
بعدها قام بتطبيق الكرسي المتحرك ووضعها في الحقيبة الخلفية  
للتاكسي..

انطلقنا بعد حوار قصير، واكتفينا بعده بالصمت المطبق..  
استغرقت رحلتنا معظم النهار حتى وصلنا إلى الفيلا التي تربت بها  
وقضيت فيها مراهقتي وشبابي..



## غبار الأسوار

كانت الفيلا واسعة مكونه من دورين ولها حديقة كبيرة تحيط بها..  
أمام باب الفيلا كان يقف بعض جيران وأصدقاء (صلاح) الذين  
مزقوني بنظراتهم..

خرجت (هبة) من السيارة ووضعت منديلاً أسوداً فوق شعرها،  
بينما أسرع (عبده) يفرد الكرسي المتحرك ويجلسني عليه..  
طلبت منه أن ينتظر في السيارة بينما تولت (هبة) دفعي..  
سلمت على بعض الموجودين ثم دخلت..

كان صوت القرآن الكريم يطغى على كل الأنحاء..  
أشار لي أحد الأشخاص على غرفة الغسل.. حينئذ أصابني الحزن  
على (صلاح)..

مررت أمام صورة معلقة كانت تجمعني بـ (صلاح) إبان فترة  
الجامعة.. كان يقف في الصورة وهو يضحك بملء شذقيه..  
شعرت بغصة في حلقي..

تذكرت أنه كان يكره دائماً الوحدة والظلام.. تخيلته حين ينزل  
القبر.. نزلت دمعة من عيني رغماً عني..

طلبت من (هبة) أن تنتظري مع الآخرين ثم قمت بدفع نفسي حتى  
دخلت الغرفة..

كانت هناك رائحة عبقة هي مزيج من البخور وروائح أخرى لا  
أعلمها..

نظر لي المغسل بعينين فاحصتين؛ بدا عليهما الاحمرار..

عرفته بي وأنني شقيق الميت.. صافحني بيدٍ مبتلة بماء الغسل ثم عاد يكمل عمله..

تابعته من بعيد وهو يقلب الجثة على جنبها ثم يصب الماء ويلفها في القماش الأبيض..

حاولت الاقتراب من (صلاح) والنظر إليه.. صرير عجلات الكرسي واحتكاكها بالبلاط كان مزعجًا وأنا أحركها.. مددت يدي استعدادًا لكشف وجهه.

- بلاش..

قالها لي المغسل بحدة.. كانت جملته أشبه بضربة سوط..

واستطرد بلهجة تحذيرية:

- مش هيعجبك اللي هتشوفه.

ابتلعت ريقِي بصعوبة.. نظرت في عينيه الضيقتين.. قلت بإصرار:

- أنا مستعد.

ثم أزحت قماش الكفن ببطء، وكشفت عن وجه (صلاح).

رأيت..

احترقت..

ثم صرخت.

\*\*\*

حاول (بدير) أن يثني (جلال) عن قراره لكن هذا الأخير كان مصرًّا

وبشدة..

## غبار الأسوار

ترك ذلك الأمر حزنًا عميقًا لدى (بدير).. كان (جلال) بمثابة أخ له،  
وربما أكثر إذا كان هناك أكثر من رابط الأخوة..  
لم ييأس (بدير) وحاول بكل الطرق.. وفي النهاية لجأ إلى (عيشة)  
وطلب منها أن تذهب لـ (جلال) لعلها تنجح فيما فشل هو فيه..  
ترددت (عيشة)..

كانت تعلم أن مجرد حديثها مع (جلال) سوف يصنع له مشكلات  
هي في غنى عنها خاصة في تلك الفترة..  
كانت هناك بعض الألسنة التي تحدثت عنهما في الآونة الأخيرة..  
وهي بنت.. ورأس مال البنت سمعتها.. لا شيء يمكن أن يعوضها عن  
السمعة أو الشرف.

(عيشة) مثل جميع بنات القرية؛ تربت على حكاية (بهية) وما جرى  
لها بسبب كلام الناس..  
كانت (بهية) صبية جميلة لها شعر لامع وساقان يفيضان نضارة  
وجسد شهوي.. كانت ترتدي التنورات الضيقة بعكس معظم بنات  
القرية..

والدها كان مدرسًا أزهريًا ويسافر إلى المركز كل يوم للعمل في  
المعهد الديني، ويقال أنه كان أكثر رجال القرية تفتحًا وتعليمًا..  
ذات يوم كانت (بهية) تمر بين الغيطان حين رآها ابن الحاج حسين  
(مرزوق)..

كانت عيدان القصب العالية والمكان الخالي حافل (مرزوق)  
لكي يحاول اغتصاب (بهية) ..

دفعها بين العيدان وجثم فوقها مستغلاً ثقله وقوته ..  
حاول أن يمزق ملابسها وهو يلهث مثل ذئب جائع ..  
(بهية) كانت من القوة والإصرار بمكان .. أغمدت إصبعها في عينه  
اليسرى ففقتها ..

صرخ (مرزوق) ..

وهربت هي ..

تجمع الأهالي .. تم عقد جلسة عرفيه وحكم فيها على الحاج  
(حسين) أن يدفع لأبي (بهية) بقرتين ..

تمر الأيام ويحاول (مرزوق) الثأر لعينه التي انطفأت إلى الأبد ..  
يخبر الجميع أنه بالفعل واقع (بهية) ..

تبدأ الإشاعة صغيرة مثل عود كبريت مشتعل ثم تتأجج تدريجياً  
حتى تتحول إلى نار رهيبه وقودها الألسن الحاقدة ..

والد (بهية) ينقاد لكلام الناس ويقرر أن يغسل عاره بيده ..

ثم ذات ليلة قاسية يحمل الفأس ويقطع به رأس ابنته ..

يحمل رأسها ويسير به في الشوارع صارخاً أنه قد غسل عاره بيده ..  
بعدها اختفى من القرية .. البعض يقول أنه انتحر .. البعض يقول أنه

هرب للجبل ..

النهاية ..

## غبار الاموال

لقد اختفى فحسب.. وماتت المسكينة.  
الآن (عيشة) تخشى مصير (بهية).. لا شيء آمن في هذه القرية.  
فكرت كثيرًا..  
أخيرًا بعد صراع مع نفسها؛ تقرر أن تذهب لـ (جلال)..  
تنتظر حتى انتصاف الليل، ثم تضع شالاً أسوداً على رأسها، وتسقط  
منه جزء حتى تخفي به وجهها..  
تسلل من المنزل والناس نيام.. أصوات أنفاس من في المنزل تبدو  
منتظمة رتيبة..  
تخترق الحقول بخطى مسرعة..  
لم يكن هناك هواء لكن الجو كان يحمل لفحة من البرد..  
تلمح فلاحاً نائماً تحت شجرة وبجواره راديو يخرج منه صوت أم  
كلثوم وهي تصدح بـ (سيرة الحب)..  
تتوتر..  
تسرع الخطى أكثر فأكثر..  
تصل إلى (المعدية)..  
تلمح (جلال) وهو يجلس على مقدمة (المعدية) وبجواره كوب  
شاي نصف ممتلئ يأخذ منه رشفة بين الحين والآخر وينظر إلى الفراغ  
بلا هدف..  
استشعر (جلال) باقتراب شخص منه.. التفت وهو يظن أنه أحد  
طوارق الليل..

يصاب بالدهشة حين يرى (عيشة).. يحاول أن يخفي ذلك وراء ابتسامة.. يقول:

- عيشة.. خير؟

- خير يا ابن الشيخ مصباح.

كانت مسألة أن يتحدث معها فوق (المعدية) أمرًا صعبًا.. هو رأى ذلك في عينيها.. هو يعلم..

قام بربط (المعدية) في جذع شجرة من خلال جنزير وقفل، ووضع مفتاحه في جيب بنطاله الخلفي..

سحب (عيشة) من يدها وسارا قليلاً حتى تواريا وراء شجرة كبيرة.. كان الظلام والصمت يحيطا بهما من كل جانب.. لو أراد بها (جلال) السوء لفعل..

لوهلة كلاهما شعر بمعنى أن يجتمعا سوياً في مكانٍ خالٍ دون رقيب أو حسيب.. كل الأفكار الشيطانية تناقلت ودارت داخل عقليهما.. تنفس (جلال) بقوة ثم أجلس (عيشة) على الأرض وهو يقول:  
- اتكلمي.

قالت:

- أنا عرفت انك سبت بيت عم رزق.

التقى حاجبا (جلال) بضع لحظات وتطلع إليها في صمت قبل أن يقول:  
- كانت مسألة وقت.. وفضلت النهاردة مش كمان شوية.

التقطت نفساً عميقاً وقالت:

## غبار الأسوار

- بدير زعلان قوي.. على الأقل كنت استنيت سنه كمان أو مهدت للموضوع.

عبس (جلال) في وجه القمر:

- بدير هو أكثر حاجة مزعلاني.. أنا أصلاً مش قادر أحط عيني في عينه.

هتفت:

- طيب ارجع.. إيه المانع؟

حاولت إن تقنعه بالعودة بشتى الطرق.. كان الحوار يدور بينهما مثل مباراة بين لاعبي كرة تنس.. كلاهما يدافع ويهاجم بقوة. سألتها (جلال):

- تفتكري إني هكون مستريح لو رجعت؟

أسرعت تقول:

- أكيد.

ابتسم:

- غلطانة..

ثم أشار للماء واستطرد:

- شايفه الميه هاديه وصافيه ازاي من هنا.. لكن جواها فيه سمك وطين ودود وبلهارسيا.. لو رميت حجر صغير هيعكرها بسهولة.. منزل عم رزق هو الميه دي وأنا الحجر. من بعيد..

وخلال حديثهما كان هناك شيء ضخم ينزل إلى الماء ويغوص فيه..

في هذا الوقت من الليل؛ كان من المستحيل تبين ماهيته.. لكن من الممكن أن ندرك أنه شيء مربع يمتلك عينين كبيرتين وأسنان طويلة تشبه المنشار.

تتكسر صفحة الماء بين الحين والآخر، بينما راح هذا الشيء يعوم تحت الماء لدقائق، ثم يصعد للسطح، ويتسلل بخبثٍ وبطء من خلف (جلال) و(عيشة)..

حدثت خشخشة للحشائش الموجودة على جانب الترعة..  
استدار (جلال) نحو الصوت..  
اتسعت عينا (عيشة) من الفزع وتوقفت الصرخة في منتصف حلقها..

انقض هذا الشيء عليهما بسرعة رهيبة..  
وانطلقت صرخة مرعبة..  
مرعبة جداً.

\*\*\*



# ٦

.....

عدت أغطي وجه (صلاح) في رعب..  
ارتفعت نبضات قلبي وأحسست أن جسمي يحترق من الداخل إلى  
الخارج..

كان وجه (صلاح) أسودًا ومشوهًا على نحو بشع جدًّا.. عيناه  
غائرتان إلى الداخل وقد اسودتا تمامًا.. أسنانه برزت خارج فمه مثل  
فم مصاص دماء.. أجزاء من أنفه تآكلت وظهرت أجزاء عظام وجنتيه..  
التفت للمغسل وبذلت جهدًا هائلًا كي أقول:

- إيه اللي عمل فيه كدا؟

هز المغسل كتفه وأعاد ربط الكفن وهو يقول في إرهاب:

- مش عارف.. مالنا إحنا ومال الأموات يا أستاذ.. خلاص هو

مات.. أراح واستراح.

أخذت أنظر إلى الجثمان وأنا أراجع للوراء حتى خرجت من

الغرفة..

هرعت (هبة) باتجاهي.. شحوب وجهي جعلها تسألني:

- انت كويس؟.. اللي يشوفك يقول انك شوفت عفريت.  
- أنا شفت اللي أسوأ من العفريت.  
ثم طلبت منها أن تعود بي للسيارة..  
دفعتنى (هبة) بهدوء بين الموجودين الذين راحوا يهمسون فيما  
بينهم وأعينهم تجلدني بالأسئلة..  
حين وصلت للسيارة؛ كان (عبده) يجلس على مقدمتها ويدخن  
سيجارة أوشكت على الموت..  
طلبت منه أن يذهب بنا للمدفن حتى نستبق التابوت.. قال:  
- ممكن نستنى ونمشي وراء الميت.  
وجدت نفسي أصبح به:  
- اسمع اللي قلت لك عليه.  
نظر لي (عبده) طويلاً.. تضايق من أسلوبى.. أخذ نفساً عميقاً كتم  
به غضبه ثم قال:  
- طيب.  
أدار محرك السيارة وانطلق..  
طوال الطريق لم ينبس أي من ثلاثنا ببنت شفة حتى وصلنا..  
دخلنا المقابر وكانت الشمس حاضرة في كبد السماء..  
انتظرنا أمام المقبرة وتابعت (التربي) وهو يفتح بابها..  
بعد قليل ظهر التابوت يحمله أربعة شباب ومن خلفهم عدد لا بأس  
به من المشيعين..

## غبار الأسوار

تحرك (التربي) بسرعة وعاونه البعض في إنزال الجثمان إلى القبر..  
تكفل أحد الرجال ممن يحملون ذقناً طويلة سوداء.. في إلقاء  
موعظة أيقظت بعض الطيور التي كانت تعشش فوق أشجار المقابر..  
تململت كثيراً..

بين الحين والآخر كنت أمسح العرق بالمنديل وأنا أتفرس في كل  
الوجوه الموجودة..

بعد مدة خرج (التربي) وبدأ في غلق باب المقبرة بمزيجٍ من الجبس  
والإسمنت الأبيض..

أشرت لـ (عبده) أن يخرجني..

على باب المقابر؛ وقفت برفقة بعض الأقارب نتلقى العزاء من المشيعين..  
حين انتهينا ركبت السيارة وأنا أتنفس الصعداء وألوم نفسي على المجيء..  
قبل أن ينطلق (عبده) أقبل علينا رجل عجوز رأسه غارق بين كتفيه،  
يرتدي بدلة رمادية اللون، قديمة الطراز لكنها أنيقة، ثم مديده من خلال  
النافذة يصافحني بحرارة، وهو يعرفني بنفسه:

- بيومي.

وابتسم ابتسامة يهودية صفراء.

\*\*\*

ما من كلمات يمكن أن توصف مقدار الفزع الذي شعرا به (جلال) و (عيشة) وهما يشاهدان هذا الشيء وهو يقترب منهما ويصدر منه حوار غريب..

في البداية لم يمكنهما تمييز شكله جيداً.. بدأ أشبه بظلال قاتمة راحت تهتز قبلما تتشكل على هيئة مخلوق قصير القامة يغطي الشعر كل جسده وله أذرع طويلة تلامس الأرض وتنتهي بمخالب طويلة سوداء اللون.

توقف المخلوق على مسافة غير بعيدة منهما وكأنه يتحين الفرصة للانقضاض عليهما.

وضع (جلال) جسده أمام (عيشة) لكي يحميها.. المخلوق أصدر حواره المخيف وراح يتلوى.. انقضض فجأة على (جلال).. لم يتراجع (جلال)، وبدوره قفز باتجاه المخلوق في شجاعة..

ضرب المخلوق بمخالبه صدر (جلال) فمزق جزءاً من لحمه.. شعر (جلال) بأن شاحنة مسرعة اصطدمت ب صدره من فرط قوة الضربة..

أطاحت الضربة بـ (جلال) بعيداً على مسافة عشرة أمتار من (عيشة)..

حاول (جلال) النهوض.. شعر بدوار هائل وعمة تحيط به.. كان يوشك أن يفقد الوعي.. مديده على صدره ولمس الدماء المنهمرة من

## غبار الأسرار

جرحه.. كانت دافئة ولها رائحة نفاذة.. رفع وجهه باتجاه (عيشة)..  
رأى المخلوق وهو يطبق على رأسها ويميله إلى الخلف ويستعد لكي  
يقضم حنجرتها..

خرجت صرخة عاجزة من (عيشة)..

لم يكن أمام (جلال) أي خيار.. تمالك نفسه وقفز على ظهر  
المخلوق وأحاط عنقه بيده..

أفلت المخلوق (عيشة) وراح يحاول أن يلقي (جلال) من فوق  
ظهره..

نهش ذراع (جلال) بأسنانه ورفع عاليًا..

صرخ (جلال) قبل أن يجد نفسه يطير في الهواء مرة أخرى ثم يسقط  
على ظهره فوق الأرض.. حاول الوقوف.. أصابه الوهن بينما اقترب  
منه المخلوق وقد أدرك أنه تمكن منه..

زحف (جلال) على ظهره وهو ينظر باتجاه المخلوق بفرع..

من بعيد كانت ما زالت (عيشة) متجمدة.. وعيها وروحها ذهباً إلى  
مكان آخر بعيد..

أطلق المخلوق خوارًا مخيفًا آخر ثم كشر عن أنيابه وانقض على  
(جلال)..

بحث (جلال) عن شيء يدافع به عن نفسه.. أخرج مفتاح (المعدية)  
من جيبه.. قبل أن يقضم المخلوق عنقه أغمد المفتاح في عنقه.. قفز

المخلوق للوراء وهو يطلق صرخة مرعبة.. كان المفتاح ما زال في عنقه بينما سائل أسود لزج يسيل منها..  
أطلق المخلوق مرة أخرى صرخة عالية ثم قفز داخل الماء واختفى..  
أرعى (جلال) جسده على الأرض في حين هرعت (عيشة) باتجاهه وهي تهتف باسمه.. حاول أن ينطق..  
شعر بالخدر يكتسح كيانه..  
للحظة تذكر حياته السابقة بحزن، ثم أغمض عينيه ببطء على بكاء وحسرة (عيشة).

\*\*\*

صافحت المدعو (بيومي) بحذر وأنا أنظر لوجهه المستطيل وأنفه المعقوف.. قلت بعصبية:  
- أهلاً.  
رد بأدب جم:  
- شد حيلك.  
- تعيش.  
ثم وجدت أن الأمر لا يعدو عن كونه مواساة أو تعزية منه لذا أردفت وأنا أشير لـ (عبده) أن ينطلق:  
- شكراً يا بيومي.  
استوقفني (بيومي) وقال بلهفة:

## غبار الاموال

- المرحوم أخوك كان موصيني بوصية.  
فكرت أن (صلاح) كان يدين له بدينٍ ما.. بالتأكيد لن أدفع قرشاً  
واحداً.. قلت في حزم:  
- ماليش دعوة بديونه.  
ابتسم بخبث:  
- لا.. لا.. هو مش عليه ليا ديون.  
ثم هز رأسه واستطرد وهو يرسم بيده شكلاً ما في الهواء:  
- بس مراية.  
نظرت له بعدم فهم.. عاد يكمل:  
- في الحقيقة كنت اتفقت معاه أشترى منه مراية، لكن سهم القدر  
نقد بقى وسبقني إليه.. وبما إنها هتكون من نصيبك فأنا ناوي أشترىها  
منك.  
قلت في حنق:  
- مش وقته.  
تشبث (بيومي) بيدي حتى لا أغلق زجاج نافذة السيارة، وأخرج  
رزمة نقود من فئة المائتي جنيه، وقال بسرعة:  
- عشرين ألف جنيه تمن المراية.  
نظرت للأوراق النقدية.. لمحت (عبده) وهو يلتفت ويضرب عينيه  
فيها.. (هبة) تحركت وكادت أن تمد يدها لتأخذها.. قلت وأنا أتشبث  
بالنقود:

- مالها المراية دي.. أثرية؟

ابتسم:

- آه.. حاجة زي كدا.

غمغمت:

- اتفقنا.

اتسعت ابتسامته:

- هعدي عليك بعد أسبوع عشان استلمها منك.

زفرت:

- تمام.. هستناك.

ثم انطلقنا بالسيارة دون تريث وأنا أشعر بغبطة كبيرة..

بالرغم من ذلك كان لدي إحساس خفي يقول لي أن هناك شيئاً ما..  
خطأ.

\*\*\*

وضعت يد قوية خشنة الغطاء فوق (جلال) ثم التفت صاحبها إلى

(عيشة) قائلاً بحزم:

- متقلقيش.. هيكون كويس.

قالت (عيشة) وهي تمسح الدموع من تحت عينيها:

- يا رب يا عم رزق.



## غبار الأسوار

بجوار رأس (جلال) جلس (بدير) وهو صامت جامد الملامح مثل صنم من أصنام الجاهلية، ويستعيد ما جرى في الساعات القليلة الماضية.. كانت (عيشة) قد أيقظتهما عند منتصف الليل وهي مذعورة وقد تلطخت يداها وملابسها بالدماء التي لم تجف بعد.. أخبرتهما بحكاية يستحيل تصديقها.. لم يفهما معظم كلامها.. في النهاية خلصا إلى أن (جلال) مرمي بالقرب من (المعدية) وهو مجروح بشدة.. كانت تلك المعلومة الأخيرة كافية لـ (بدير) كي ينطلق هو و(رزق) إلى حيث سقط (جلال).. قاما بحمل (جلال) إلى منزلهما ثم نظفا جراحه جيداً بالماء الدافئ والمطهر وأخيراً قاما بتضميد إصابته.

من بعيد وقفت (سعاد) تتابع ما يجري، وهي تحرك شفيتها بامتعاض وتنظر بين الفينة والفينة إلى (عيشة) من أسفل إلى أسفل.  
- هروح أنا دلوقتي.

قالتها (عيشة) وهي تتحرك باتجاه باب الخروج.. استوقفها (رزق):  
- استني بدير يجي يوصلك.. الوقت متأخر جداً.  
غمغمت:

- لا.. مش هينفع خالص.  
عقد (رزق) حاجبيه، وقال لها بصوتٍ خافت:  
- أمك عارفه انك مع جلال؟  
هزت رأسها نفيًا في قوة وهي ترد:  
- لا.

نقل (رزق) بصره من (جلال) إلى (عيشة) وهو يفكر بسرعة.. قال:  
- طيب.. هخلي بدير يتابعك من بعيد بس.  
شكرته (عيشة) ووضعت شالها فوق وجهها ثم غادرت..  
سار خلفها (بدير) بعدما ترك بينه وبينها مسافة كافية..  
كان القمر غائبًا، وكان الظلام يبتلع كل شيء داخل جوفه..  
بين الحين والآخر كانت (عيشة) تتلفت حول نفسها بخوف..  
وجود (بدير) خلفها كان يعطيها بعض الشعور بالأمان..  
كانت لا تعلم ما الذي ينتظرها داخل منزلها.. تخشى أن يكون أحد  
والديها قد استيقظ واكتشف غيابها.. ستكون مصيبة ما بعدها مصيبة..  
وصلت للمنزل وأشارت لـ (بدير) بأن يرجع..  
انتظر هو قليلاً حتى اطمئن أنها دخلت إلى منزلها، ثم أسرع الخطى عائداً..  
سارت (عيشة) بخطواتٍ حثيثة داخل المنزل وهي تتجنب أن تصدر  
أي صوت..  
فتحت باب غرفتها وأغلقتة خلفها وهي تتنفس الصعداء قبل أن  
تضيء النور..  
سمعت صوت شد أجزاء معدنية.. وأمامها مباشرة رأت والدتها  
تجلس على فراشها، وفي يدها (فرد خرطوش) ناري، وتصوبه ناحيتها  
في إصرار..  
وغضب.

\*\*\*

## V

كلفت (عبده) بأن يبحث لي عن محامي ثقة لكي ينهي لي إجراءات إعلان الوراثة..

أوصلني (عبده) إلى محامي يسكن معه في نفس العمارة..  
كان المحامي يدعى (سامي).. كان حليق الوجه، صغير السن  
لدرجة أنني ظننت أنه ما زال يدرس في كلية الحقوق..  
كان مكتبه صغيراً مثله، فارغ من الزبائن ومن القضايا..  
حاولت أن أقنع نفسي به..

كان استقباله لنا استقبالاً حاراً.. اعتقدت لبرهة من الوقت أنه ينوي  
التقاط صورة (سلفي) تجمعنا للذكرى..  
في البداية قام (عبده) بتقديمي:  
- الأستاذ إيهاب.. صاحبي وحبيبي.

وشرح أسباب قدومي لـ (سامي) الذي راحت ابتسامته تتسع  
تدرجياً حتى أوشكت أن تشطر وجهه إلى شطرين..

أخرج (سامي) علبة سجائر مصرية الصنع، شعبية الطراز، وقدم واحدة لي، فأخبرته أنني لا أدخن، ثم قدم واحدة لـ (عبده) الذي أمسكها بين أصابعه دون أن يشعلها..

أشعل (سامي) سيجارته ونفث دخانها في الفراغ المقابل لي، قبل أن يقول بثقة متصنعا الحنكة والخبرة:  
- اطمن خالص يا أستاذ إيهاب.

ثم أخبرني أن الإجراءات بسيطة، وخلال أيام قليلة سوف يستطيع إنهاءها تمهيداً لحصولي على التركة..

اتفقت معه على الأتعاب، وطلبت منه أن يحصي كل أموال وعقارات (صلاح)، وألا يترك مليمًا واحدًا.. هي أموالي أنا ومن حقي. طلب مني بعض الأوراق اللازمة والتي كنت توقعت أن يطلبها فقدمتها له..

في اليوم التالي؛ ذهبت معه للشهر العقاري وقمت بعمل توكيل قانوني له وودعته بكل حماس..

انتظرت بعد ذلك لمدة يومين، وفي اليوم الثالث وتحديداً قرب مغيب الشمس؛ اتصل بي وأخبرني أنه في طريقه إلي..

تخيلت أنه سيدخل علي محملاً بحقيبة أو جوال من النقود.

طلبت من (هبة) أن تعد لنا الشاي وتتركه في الصالة..

## غبار الأموال

(هبة) نفذت المطلوب منها، ثم دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها لتكمل عبثها بالهاتف الحديث الذي كنت قد اشتريته لها آنفاً..  
مرت نصف ساعة بدت كالدهر بالنسبة لي، بعدها دق جرس الباب،  
فأسرعت أفتحه لأجد أمامي (سامي) والذي أخبرني.. (لا شيء)..  
نعم.. هذا كل ما أخبرني به (سامي) وتركه لي (صلاح).. (لا شيء)..  
كدت أن أجن..

أين الأموال؟.. أين العقارات؟.. (صلاح) كان يعيش في بدخ..  
على الأقل (الفيلة) تساوي ثروة عظيمة.. أين ذهب كل ذلك؟  
أخبرني (سامي) أن (صلاح) كان قد أوصى بكل ما يملك لبعض  
المؤسسات الخيرية، وأنه تأكد بنفسه من كل الأوراق والإثباتات  
القانونية..

كان لا بد أن أتوقع ذلك.. كان لا بد. شخص مثل (صلاح) وبعد  
كل ما جرى بيننا مستحيل أن يورثني شيئاً.. مستحيل.  
فجأة لم أجد أمامي (سامي).. اختفى.. أظن أنني طردته دون أن  
أشعر..

وقتها مر بذهني موضوع (بيومي) والمرأة الأثرية.. كنت قد تناسيته  
تماماً..

ميعادي معه قد اقترب..  
كيف أتصرف..

دخلت غرفتي بسرعة، وأحصيت المتبقي من نقوده.. اكتشفت أنني  
أنفقت جزءاً كبيراً منها.. تقريباً معظمها.

تذكرت ساطوراً صغيراً كنت أحتفظ به من أجل الدفاع عن النفس  
وأحتفظ به تحت (مرتبة) السرير.. رفعت (المرتبة) وسحبته.. كان  
بطول ذراع طفل صغير، ونصله يلمع مثل وميض البرق..  
أدرت (الساطور) قليلاً في يدي وضربت به الهواء عدة ضربات..  
أعتقد أنني سوف أستخدمه.. قريباً.

\*\*\*

- اصحى.

رنت تلك الكلمة في أذنيّ (جلال) بصوت (عيشة).. فتح عينيه  
بصعوبة..

شعر أن جفونه تزن أطناناً من الحديد.. لم يجد (عيشة)..  
ندت منه آهة مكتومة وهو يتلفت حول نفسه محاولاً استجماع  
شئاته نفسه..

انتبه له (بدير) الذي كان يستلقي على السرير الموازي له، فهب من  
مكانه مسرعاً واقترب منه قائلاً بفرح:

- ألف سلامة عليك يا ابن الشيخ مصباح.

قال (جلال) بوهن وهو يحاول رفع رأسه:

- فين عيشة.. حصل لها حاجة؟

## غبار المولود

- ربت (بدير) على كتف (جلال):  
- هي بخير.. متقلقش عليها خالص.  
تحسس (جلال) الضمادة التي تحيط بصدره وقال:  
- بقالي كام يوم مغمى عليا؟  
أجاب (بدير):  
- حوالي أسبوع.  
سأل (جلال) في اهتمام:  
- عم رزق؟  
- راح مع سعاد يشتري لها توب قماش للمولد.  
تلقت (جلال) حول نفسه باحثًا عن شيء، ثم قال حين لم يجده:  
- أنا عطشان.  
هتف (بدير):  
- ثواني.  
ثم خرج من الغرفة بسرعة، وعاد يحمل كوب ماء ممتلئًا حتى حافته  
وتساقط قطراته على الأرض..  
تناوله (جلال) وشرب منه كمن لم يشرب منذ مائة عام.. حين انتهى  
منه؛ حمد الرب على نعمته، وشكر (بدير) الذي سأله برفق:  
- احكي ليا.. إيه اللي حصل بالضبط؟  
هز (جلال) رأسه وتنهد في عمق:

- اللي حصل كأنه حلم أو كابوس.  
ثم اعتدل في مرقدته وأخذ نفساً عميقاً وراح يقص على (بدير) كل ما حدث..

قطب (بدير) جبينه بعدما انتهى (جلال) ثم قال:  
- عيشة حكّت لي نفس الكلام لكن..  
وصمت دون أن ينهي عبارته قبل أن ينهض ويسير قليلاً في الغرفة وهو يستطرد:

- لكن مسمعتش قبل كدا عن مخلوق بالمواصفات دي غير في  
حواديت زمان بتاعت أمنا الغولة.

لوح (جلال) بيده وهتف:  
- سيبك من ده دلوقتي.. المهم عندي عيشة.. عاوز اعرف أخبارها.  
عاد (بدير) يجلس بجواره:  
- هي بخير.. متقلقش.

رمقه (جلال) بنظرة صامته حملت كل الشك:  
- أبو عمو.. انت مخبي عني حاجة؟  
أجاب (بدير) بالصمت.  
عاد (جلال) يردد:

- بدير.. قوللي.. حلفتك بأغلى حاجة عندك.



## غبار الأسوار

أطرق (بدير) برأسه مفكرًا ثم أخبر (جلال) أن (عيشة) وأهلها قد تركوا القرية منذ يومين، ولا أحد يعرف أين اختفوا، لكن بعض الإشاعات ترجح أنهم ذهبوا لأقارب لهم يعيشون في الوجه البحري تجاه دمياط أو المنصورة.

تساءل (جلال) في قلق:

- ممكن يكونوا عرفوا إنها كانت معايا؟

أجاب (بدير):

- احتمال كبير.. طبعًا مفيش حد يقدر يجزم بالموضوع ده، لكن وصلني أن الجيران صحوا على صوت ضرب عيشة، وإنهم أنقذوها من بين أيدي أمها قبل ما تقتلها.

احتقن وجه (جلال) بشدة وهو يقول:

- أتمنى إن ميكونش أصابها مكروه.

هز (بدير) رأسه:

- هي بنتهم الوحيدة وبيتهيا لي إنهم فضلوا يبعدوا عن المشاكل

وعن...

ثم بتر (بدير) جملته ولم يكملها.. صاح (جلال) بحدة:

- كمل.. وعني.. مضبوط.. ده اللي انت تقصده؟

قال (بدير) مدافعًا:

- يا ابن الشيخ مصباح إحنا عايشين في قرية بيحصل لها هوس مع أي كلمة تمس الشرف.. احمد ربنا إن الموضوع انتهى على قد كدا.  
جز (جلال) على أسنانه ولم يعقب..  
انتهى الحوار عند هذا الحد..

مرت أيام حتى استطاع (جلال) استعادة نشاطه وصحته، ثم غادر منزل (رزق) وسط إلحاح شديد من (بدير) بأن يظل عندهم لكن بلا فائدة..  
أول شيء فعله (جلال) بعدما خرج؛ هو ذهابه إلى منزل (عيشة)، فوجده مغلق الأبواب والنوافذ وتفوح منه رائحة الخراب..  
شعر بوحشةٍ شديدة في قلبه..  
وروحه..

تغيرت أحواله بعد ذلك..  
تغيرت تمامًا..  
بدأ في الروحنة والتدين وارتياح المساجد، والمواظبة على الصلاة،  
وزيارة الأضرحة والأولياء الصالحين..  
ارتدى جلبابًا أبيضًا قصيرًا ذا أكمام واسعة، وأطال لحيته حتى  
كادت أن تلامس الأرض..  
بمرور الوقت أصبح الناس يطلقون عليه لقب الشيخ..  
(الشيخ جلال).

\*\*\*



كان الوقت غسقاً حين سمعت رنين جرس الباب، ثم صوت  
(بيومي) يأتي وراءه مسعوراً:  
- أستاذ إيهاب.  
حاولت أن أرسم على وجهي أفضل ابتسامة ترحيب ممكنة، وأنا  
أستقبل (بيومي):  
- يا مرحب.  
- أتمنى أكون مجتث في وقت غير مناسب.  
قالها (بيومي) ثم دخل وألقى نفسه على أقرب مقعد..  
قلت وأنا أعتدل في مواجهته:  
- أهلاً بيك في أي وقت.  
ناديت على (هبة) أن تصنع لنا الشاي.. قال بعدم اكتراث:  
- مفيش داعي للتعب.  
هتفت:

- لا تعب ولا حاجة.  
دقائق، ثم جاءت (هبة) ووضعت أمامنا (صينية) الشاي وانصرفت  
بسرعة..

ناولت (بيومي) كوبه:

- اتفضل.

- شكرًا.

ثم رشف منه رشفة صغيرة ووضعه جانبًا ونظر لي ولم يتحدث..  
قال بعد قليل:

- هه.. وبعدين؟

تصنعت عدم الفهم:

- وبعدين ايه؟!؟

همس في انفعال:

- المراية.. فين هي؟

أجبت بهدوء:

- مش معايا.

ران الصمت لبرهة قبل أن ترسم ابتسامة شاحبة على وجهه.. قال:

- أكيد انت بتهزر.. اسمح لي أقول إن هزارك رخم.

قلت ببرود:

- لا.. مش بهزر.. أنا بتكلم جد.

## غبار اللؤلؤ

حدق في وجهي:

- يبقى انت كداب.. أنا عارف إن صلاح بعتهالك قبل ما يموت.  
هتفت:

- أقسم لك إنه مفيش حاجة وصلتني من صلاح، ده حتى تركته  
مخدتش منها قرش واحد واتبرع بيها و...  
وضع يده على فمي ليمنعني من الاستطراد، ثم نهض من مكانه  
صائحًا:

- انت فاكرني عبيط.

تحسست (الساطور) الذي أخفيه، وأعددت نفسي أن أغمده في  
معدته أو أشج به رأسه إذا ما تجرأ وهاجمني.. قلت بصدق:

- مفيش عندي سبب عشان أخدعك.

تفحصني للحظات.. قال بعصبية:

- يمكن عاوزني أزود الفلوس.

ثم عاد إلى مكانه وأردف:

- الفلوس مش مشكلة بالنسبة لي.. إيه رأيك بعشرين ألف كمان..

يعني كدا يبقوا ٤٠.

قلت وأنا أضغط على كل حرف أقوله:

- المراية مش معايا.. في حاجة في كلامي مش مفهومه؟

صاح:

- هي فين طيب؟

هتفت:

- مش عارف.. مش عارف.

ثم انتبعت لشيء.. قلت:

- إيه هو السر اللي وراها ومخليك هتموت عليها؟

قال غاضبًا:

- مالکش فيها.. انت خدت مني تمنها وأنا عاوزها منك، وهستلمها

منك

ترددت:

- بخصوص الفلوس.. أنا شايف انك تديني فرصة عشان اقدر

أجمعها لك.. بصراحة جزء كبير منها أنا صرفته.

نظر لي متسائلًا.. أخرجت رزمة أمواله الباقية وأكملت وأنا أمدتها

له:

- سبعة آلاف جنيه وعلى بداية الشهر هحاول اجمع لك بقية المبلغ.

فكر في كلامي ثم نظر للنقود التي أمدتها له باحتقار قبل أن ينهض

من مكانه ويهتف:

- اعتبر إن الاتفاق لسه مستمر، وهعدي عليك في خلال أسبوع،

ممکن المراية توصلك.

- انت مش بتفهم.. أنا بقولك انها مش..

## غبار الأمور

قطعت كلامي حين رفع سبابته إلى فمه وطلب مني أن أسكت..  
قال في حزم:

- معادنا بعد أسبوع.

ثم انصرف دون كلمة أخرى.. تنفست الصعداء حين غادر.. جاءت  
(هبة) وهي مترددة.. أعلم أنها كانت تنصت.. قالت:

- الراجل ده شكله شر.

قلت لها:

- متقلقيش منه.. أنا هعرف اتصرف معاه.. روعي انتي دلوقتي  
عشان تنامي عشان تلحقي كليتك الصبح.

ثم تابعتها ببصري وهي تدخل غرفتها..

فتحت التلفاز محاولاً تمضية بعض الوقت والتفكير..

قطع تفكيري رنين الهاتف الأرضي.. التفت ناحيته مندهشاً.. أعتقد  
أن آخر مرة استخدمت فيها الخط الأرضي كانت تعود ربما إلى أكثر  
من عام..

دفعت نفسي باتجاه الهاتف وأنا أتساءل عن طبيعة المتصل..

مددت يدي أتناول سماعة الهاتف الضخمة التي راحت تهتز يميناً

ويساراً بالحاح شديد.

- الو.

سمعت صوت الطرف الآخر يقول في لهفة:

- الو.. إيهاب.  
كان هذا الصوت مألوفاً جداً..  
كان صوت شخص ميت..  
صوت أخي..  
صلاح.

\*\*\*

حين انتهى (جلال) من صلاة العشاء؛ قرأ بعض الأذكار و(عدية)  
يس، ثم خرج من المسجد عائداً إلى منزله، وفي طريقه سمع صوتاً  
رقيقاً يأتيه مرتجفاً:

- لو سمحت.

التفت نحو مصدر الصوت باستغراب، فوجد طفلة صغيرة ترتدي  
ثوباً بسيطاً؛ تقف على جانب الطريق بجوار شجرة توت، وتمسك في  
يدها كيساً صغيراً..

اقترب منها وسألها برفق:

- أهلك فين يا شاطرة.. وازاي سايبينك تخرجي في الوقت ده؟  
أخبرته الطفلة بأن والدها مريض وأنها خرجت لشراء الدواء، ثم  
طلبت منه أن يدلها فقط على طريق (المعدية)..

رأى (جلال) أن يصطحبها بنفسه.. حملها على ذراعه وهو يشكر  
الظروف أن قادته إليها حتى لا تكون فريسة لأولاد الحرام..



## غبار اللؤلؤ

كان المنزل الذي دلته عليه الطفلة يقع بعد (المعدية) بنحو نصف ساعة سيرًا على الأقدام.. تعجب من طول المسافة وكيف لطفلة في مثل هذا السن أن تقطع كل ذلك الطريق بمفردها..

المنزل كان مربع الشكل بعكس الشكل المستطيل والمألوف لمنازل القرية.. كان أيضًا معزولاً عن كل المنازل والطرق.. سألتها (جلال) باستغراب وهو يشير إليه:

- ده بيتكم؟

حركت الطفلة رأسها بالإيجاب، وبابتسامة كبيرة شكرته ثم دخلت المنزل..

وقبل أن يتعد؛ فوجئ بها تخرج مرة أخرى وتقول له أن والدها يريد شكره..

تردد (جلال) قليلاً لكنه دخل معها..

كان المنزل من الداخل باردًا جدًا.. برودة تجمد الدم.

أدخلته الفتاة إلى غرفةٍ واسعة بداخلها سرير كبير يرقد فوقه رجل نحيل، برزت عظام وجنتيه، وله شارب خفيف، وذقن طويلة مفتولة على هيئة ضفيرة، ويضع (كوفيه) قصيرة حول عنقه، ويلف جسده بغطاءٍ من الصوف.

- أهلاً وسهلاً.. اتفضل يا شيخ.

قالها الرجل لـ (جلال) وهو يبتسم ابتسامة باهتة، ويشير له بأن يجلس..

قال (جلال) بإحراج وهو يمد يده ويسلم عليه:

- ألف سلامة عليك يا أخي.

التقط الرجل نفسًا عميقًا وقال:

- أنا صممت أشكرك بنفسي.. الناس اللي عندهم شهامة زيك بقوا

عملة نادرة.

ابتسم (جلال) بخجل:

- أنا معملتش حاجة تستحق كل ده.

تفحص الرجل ملامح (جلال) ثم قال باهتمام:

- شكلك صغير في السن، بس الدقن عطياك سن أكبر من سنك.

في تلك اللحظة؛ جاءت الفتاة تحمل (صينية) فوقها كوب ينسون

تخرج منه أدخنه رمادية اللون.. قدمته إلى (جلال) قائلة:

- اتفضل.

شكرها (جلال) ثم راح يشربه على مهل.. قال الرجل:

- اسمك جلال مضبوط؟

نظر إليه (جلال) بدهشة وأجاب:

- مضبوط.. هوا إحنا اتقابلنا قبل كدا؟

ابتسم الرجل وقال في غموض:

## غبار الامور

- لسه معرفتنيش؟

ضيق (جلال) حدقة عينيه ونظر إليه ثم قال:

- أنا كويس في حفظ الوجوه.. لكن انا عمري ماشفتك قبل كدا.

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه الرجل وأشار إلى حائط الغرفة،

وإلى شيء معلق عليه..

كان الشيء الذي أشار إليه صغيراً فلم يميزه (جلال) فنهض من

مكانه واقترب منه باهتمام شديد..

ارتفعت دقات قلبه وجحظت عيناه حين ميز هذا الشيء..

كان مفتاح (المعدية)..

وقبل أن يفتح فمه لينطق؛ سمع صوت زمجرة مرعبة..

التفت بسرعة تجاه الرجل الذي انتصب واقفاً مثل الوحش، وأزاح

(الكوفية) عن عنقه فظهرت بقايا جرح غائر..

وتدريجياً راحت ملامح الرجل تتغير.

\*\*\*

صحت في الهاتف بحدة:

- مين السافل اللي بيعاكس؟

أجابني صوت (صلاح) لاهثاً:

- أقسم لك إن أنا صلاح.. انت مش عارف صوتي.



## غبار اللؤلؤ

لم أرد..

عاد الصوت يكمل:

- دمرها.. كسرها.

تساءلت:

- أكسر إيه؟

- هتعرف لما تشوفها.. بس أرجوك لما توصل لك دمرها بسرعة.

هتفت:

- أنا مش فاهم.

صرخ:

- بقولك دمرها.

وصرخ مرة أخرى:

- دمرها يا ملعون.

- انت شيطان.

ثم أغلقت الخط ووضعت السماعة مكانها بقوة حتى كدت أن

أحطمها وأنا ألهث.

فجأة.. رن جرس الباب.. دفعت نفسي باتجاهه وأنا أنظر لساعة

الحائط المعلقة فوقه.. كانت عقاربها تشير إلى الحادية عشرة مساءً..

فتحت الباب..

ظهر لي رجل عجوز تجاوز السبعين من العمر دميم الوجه، ضخمة  
الجثة، ويحمل مرآة مستطيلة مغلقة بكيس شفاف. قلت بحنق:  
- عاوز إيه؟

وضع المرآة فوق ساقي أو بمعنى أدق ألقاها ثم أولاني ظهره  
وانصرف دون أن ينبس ببنت شفة..  
ناديت عليه:

- انت.. استنى.

لم يلتفت حتى نحوي..

عدت للدخل بعدما أوصدت الباب..

انزعجت الكيس من حول المرأة ثم رفعتها أمام وجهي..

ضربتني قشعريرة مبهمة..

كانت المرأة متوسطة الحجم ويحيط بها إطار رفيع معدني فضي  
اللون..

لكنها لم تكن تبدو أثرية..

كانت عادية جدًا..

بالإضافة إلى أنها كانت مشروخة من المنتصف..

وجهي كان يبدو فوقها مشوهاً وقد انقسم إلى قسمين..

رحت أرفعها وأحركها لعلني أرى شيئاً ما فيها لكن بلا فائدة..

مجرد مرآة..

## فبار الاموال

أي هراء هذا..

أطلقت سبة بذية حين اهتزت المرأة في يدي كأنما ضربها تيار  
كهربائي.. شعرت بإطارها يلتهب في يدي ويتلون بالاحمرار..  
أسقطتها على الأرض..

تهشمت..

شهقت..

ثم استيقظت..

تلقت حول نفسي في ارتياح.. كنت ما زلت في مكاني وأمامي  
التلفزيون مفتوحًا..

الهاتف الأرضي قابع في مكانه على مسافة أمتار مني..

كان حلم آخر..

رفعت كف يدي أمام وجهي.. كان يؤلمني بشدة وآثار نار تبدو  
عليه.. نفخت فيه قليلاً.. اشتد الألم..

سحبت الكرسي المتحرك ثم وضعت نفسي فوقه..

دفعت الكرسي باتجاه المطبخ حتى وصلت ثم وضعت يدي أسفل

صنبور الماء..

الماء يتدفق ليطفئ كثيراً من الألم واللهيب لكن تبقى فقط بعض

الوخزات..

لا يمكن للأحلام أن تترك مثل تلك الآثار..

العقل الباطن يمكن أن يصنع الأعاجيب.. أعلم ذلك..  
من جديد أسمع الجرس يدق..  
هذه المرة كان جرس الباب..  
رأيت (هبة) تخرج من غرفتها بثياب نومها وتذهب لتفتح باب  
غرفتها.. أوقفتها بحدة:  
- ارجعي انتي.. أنا هفتح.  
وكانها كانت تتمنى أن تسمع مني هذه الكلمة؛ عادت فوراً إلى  
غرفتها..  
حركت الكرسي باتجاه الباب وأنا أقول بصوت عالٍ ليسمعني  
القادم:  
- حاضر.  
فتحت الباب ليظهر لي خلفه رجل عجوز دميم الوجه ويحمل امرأة  
مستطيلة مغلقة بكيس شفاف..  
تلقائياً رفعت وجهي إلى ساعة الحائط.. كانت تشير إلى الحادية  
عشرة مساءً.  
اللعنة..  
يبدو لي كل ذلك مألوفاً بعض الشيء.

\*\*\*

تراجع (جلال) بظهره حتى التصق بالحائط..



## غبار الاموات

كان الحائط باردًا مثل لوح من الثلج لكنه لم يشعر به.. كان كل تركيزه على الرجل الذي راحت ملامحه تتبدل وتهتز مثل صورة على سطح الماء تعكرها يد طفل صغيرة.. لحظة ثم اتخذ شكلاً مربعاً وله عينان ناريتان.. هتف (جلال) في رعب هائل:

- انت شيطان.

ثم بحث حوله عن شيء يدافع به عن نفسه بينما المخلوق المرعب يتحرك ويقترّب منه..

كان بإمكان المخلوق أن يقضي على (جلال) لكنه لسبب ما لم يؤذيه..

لم ينتظر (جلال) أكثر من ذلك.. كان بالنسبة له هذا هو الموت.. لذا وبكل قوته جرى خارج المنزل.. ظل يجري بكل قوته وسرعته كما لم يجري من قبل.. كانت قدمه لا تلامس الأرض من فرط سرعته.. بين الحين والآخر كان يتلفت حول نفسه وهو يلهث ليتأكد أن المخلوق لم يلحق به.. كانت أنفاسه على وشك أن تضيع وصدره يوشك أن يتمزق إلى شظايا من فرط التعب والإرهاق..

بعد أن ابتعد بمسافة كافية؛ توقف واستند على جذع شجرة محاولاً التقاط أنفاسه..

نظر نظرة أخيرة باتجاه بيت الرجل.. لم يعد موجوداً داخل مرمى بصره..

مسح العرق من على جبينه ومسح فوق لحيته وهو ما زال يلهث..  
استرخى للحظات..

فجأة وصلت إليه صرخة هادرة..

لم تكد تصل إلى طبلتي أذنيه حتى انطلق يجري من جديد.. هذه  
المرّة أصيبت عضلات قدمه بانقباضاتٍ شديدة.. تعثر ثم سقط..  
بصعوبة نهض.. لم يجد أمامه بد سوى الدخول إلى زرع قصب السكر..  
كانت عيدان قصب السكر مرتفعة حتى تكاد أن تصل إلى السماء..  
أحنى (جلال) رأسه ووضع يده أمام وجهه ثم اخترقها.. أصيب بكثيرٍ  
من الخدوش والجروح نتيجة ارتطام العيدان الصلبة بوجهه وصدره..  
كانت الريح تصفر من حوله بينما قدمه تغوص داخل الأرض الطينية  
اللزجة وتبطئ من تقدمه..

بعد فترة من الوقت توقف..

كان الدم يغمر وجهه وذراعيه..

التعب قد بلغ معه منتهاه..

دقيقة، ثم سمع صوت تهشم أعواد القصب تحت وطأة شيء يقترب

منه..

لم يتحرك..

وقف جامدًا ثابتًا وقد أيقن أن المطاردة وصلت إلى نهايتها..

## غبار الأسوار

دقيقة أخرى، ثم لمح خيالاً طويلاً يزحف على الأرض وسمع همساً مخيفاً.

\*\*\*

حاولت أن أستبق الرجل وأغلق الباب في وجهه لكنه كان أسرع مني ووضع المرأة على ساقبي بوقاحة ثم انصرف.. صرخت فيه:  
- استنى.. أنا مش عاوزها.

اعتقدت أنه أصم لأن صرختي كانت كافية لكي توقظ الأموات لكنه لم يلتفت نحوي أو حتى تهتز له شعرة واحدة..  
ظلت لفترة في مكاني..

- إيه اللي بيحصل؟

ردد عقلي تلك الجملة مراراً وتكراراً..

أمسكت المرأة ثم نزعت عنها غلافها.. سقط منها ظرف بني اللون..  
الآن هناك اختلاف..

تناولت الظرف وقمت بفضه.. كان بداخله ورقة صفراء مطوية؛  
فتحتها وقرأت المكتوب بها.. كانت رسالة مقتضبة مكونة من كلمة  
واحدة (آسف)..

وتحت الكلمة توقيع (صلاح) وتاريخ يعود إلى اليوم السابق  
لوفاته..

لماذا كلمة (آسف)؟!!

هل هو آسف على ما مضى أم آسف على ما هو قادم؟  
(آسف)!

من منا يستحق أن يقولها للآخر؟  
(آسف)!

هل هي اعتذار أم ندم؟  
اعتدلت في مكاني وأمسكت المرأة بين يدي.. كانت مثلما رأيته  
في الحلم.. العجيب أن نما لدي إحساس بالرهبة والوجل ناحيتها..  
نظرت لإطارها.. انتبهت لرسومات دقيقة وحروف منقوشة عليها..  
كانت الرسومات لمخلوقات تشبه القروء، أما الحروف فكانت أقرب  
لحروف لاتينية.. إلام ترمز؟

بدأ لي الأمر يكتنفه الغموض الشديد..

تطلعت مرة أخرى إليها..

غامضة هي مثل الموت..

وراءها سر..

أعياني التفكير..

قفز إلى ذاكرتي (بيومي).. لقد أرادها بشدة.. أذكر أنني لمحت

الهوس في عينيه.. ربما القتل أيضًا..

فكرت مرة أخرى..

## غبار الأمور

هل تكون تستحق مبلغاً أكبر.. لِمَ لا أجرب مع (بيومي)؟.. لن  
أخسر شيئاً..

تملكني حماس شديد..

رفعت مرة أخرى المرأة أمام وجهي..

ملاحني تبدو فوقها شاحبة..

ثم تغير سطحها العاكس بدون مقدمات.. حمراء ثم سوداء في جزءٍ  
من الثانية..

تجمدت أطرافي.

- انت لسه صاحي؟

انتبهت لصوت (هبة) التي وقفت أمامي مباشرة تنظر لي باستغراب..

قلت وأنا أحاول الخروج من حالة التجمد التي كنت فيها:

- ميعاد نومي لسه مجاش.

قالت بدهشة:

- الساعة دلوقتي ٦ الصبح يا أبو هبة.. سلامة عقلك.

ثم رفعت شاشة هاتفها أمام بصري لأرى الساعة..

أحسست بزغلة في عيني نتيجة أضواء الشاشة العالية لكنني

استطعت تمييز الوقت عليها..

كلام (هبة) صحيح..

هذا يعني أنني قضيت أكثر من ٦ ساعات كاملة أحرق في المرأة  
دون أن أشعر.

\*\*\*

حرق (جلال) في القادم..  
ظهر له الرجل في ثوبه البشري.. رغم ذلك كان منظره مرعباً..  
صرخ (جلال) في ارتياح وهو يسقط على الأرض:  
- ابعد عني.  
قال الرجل بصوتٍ لين وهو يقف على مسافة منه:  
- متخفش يا جلال.. أنا مش عاوز أذيك.  
سأله (جلال) بصوتٍ ملؤه التوجس والقلق:  
- انت مين.. وعاوز مني إيه؟  
أجاب:  
- أنا (قريش).. وعاوز منك إيه، هتعرفه لما ترجع معايا.  
ثم مد يده لـ (جلال) ليساعده على الحركة.. تطلع (جلال) إلى اليد  
الممدودة بشك.. لمعت عين قريش، وقال بصوتٍ عميق:  
- لو كنت عاوز أذيك كنت أذيتك من زمان.  
نهض (جلال) على قدمه بعد أن عاونه (قريش) على النهوض..  
سار الاثنان جنباً إلى جنب في صمت..

## غبار اللؤلؤ

مئات الأفكار والهواجس دارت وتشاجرت داخل رأس (جلال)..  
بين الحين والآخر كان يسترق النظر إلى (قريش) الذي يسير بهدوءٍ  
شديد.. كان يتحرك مثل من لا يخشى شيئاً..

فكر (جلال) أن يخادعه ويهرب منه لكن يبدو أنه علم فيما يفكر،  
فغادر صمته وقال:

- انت حر تقدر تروح وقت ما تحب.

- بفكر في ده فعلاً.

ابتسم (قريش) بخبث ولم يعقب..

أكمل المسير دون كلمة أخرى زائدة حتى وصلاً إلى منزل  
(قريش)..

في الداخل بحث (جلال) بعينه عن الطفلة.. قال مخاطباً (قريش):

- بنتك فين؟

أجاب (قريش) في لهجة هادئة:

- ماليش بنات.. اللي جت بيك هنا جنية من بنات النار.

وقع الكلام على (جلال) وقع الصاعقة.. احتقن وجهه وارتفعاً

حاجباه حين تخيل أنه كان يحمل عفريته.. قال:

- بتسخر الجن؟!!

تجاهل (قريش) كلامه وطلب منه أن يجلس ليسترىح..

جلس (جلال) نصف جلسة فوق كرسي مصنوع من البوص

المقوس..

فكر في ألف سؤالٍ وسؤالٍ، من بينهم ما الذي يخبئه له القدر؟  
ذهب (قريش) وغاب لبرهة، ثم عاد وقد ارتدى عباءة زاهية تشبه  
عباءات ملوك زمان، وجلس في مواجهة (جلال)..

أخبر (جلال) أنه يريد أن يجعله تلميذاً وتابعاً له، يعلمه كل علوم  
أهل السحر والجن ثم ختم كلامه:

- يا جلال انا معايا علم يخلي الشياطين والجن يسجدوا ليك.

حاول (جلال) أن يستوعب هذا الكلام.. سأله:

- ليه أنا بالذات؟

- وليه مش أنت؟

قالها (قريش) ثم أعقب كلامه قائلاً بأن هناك صلة نشأت بينهما يوم  
أن تقاتلا.. الدم الذي سال من كليهما واختلط جعلهما مرتبطين.

استمر الحوار، وتجادب الاثنان الكلام لمدة طويلة.. كان حبل  
الكلام بينهما غليظ لكنه راح يخفت حتى أصبح خيطاً رفيعاً جداً،  
ووصلا إلى نقطة تفاهم واتفاق.

سأل (جلال) (قريش) وشفته ترتجف دون أن يشعر:

- شكلك من أحفاد سحرة الفرعون اللي حاربوا موسى في يوم

الزينة؟

رد (قريش) بغموض:

- احتمال آه.. واحتمال لأ.

ثم أضاف:



## غبار اللؤلؤ

- معايا هيكون عندك معرفة يحسدك عليها أهل الأرض والسماء.

- والمقابل؟

شد (قريش) قامته:

- انك تسمع وتطيع...

ووضع يده على جانبي رأس (جلال) واستطرد:

- وتؤمن بي.

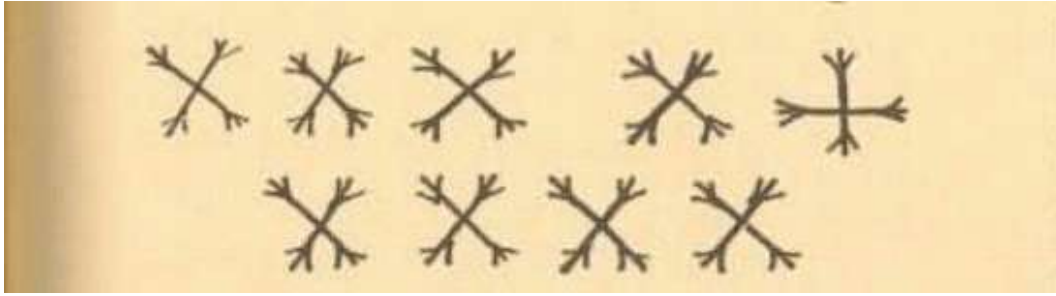
ثم أشعل شمعة كبيرة؛ ارتسم على إثرها ظل (جلال) و(قريش) على الأرض..

أخرج (قريش) سكينًا، وقطع به باطن كفه فسالت منه قطرات من الدماء على الأرض، وأمسك كف (جلال) ثم فعل به المثل، وهو يردد بصوتٍ مبحوح:

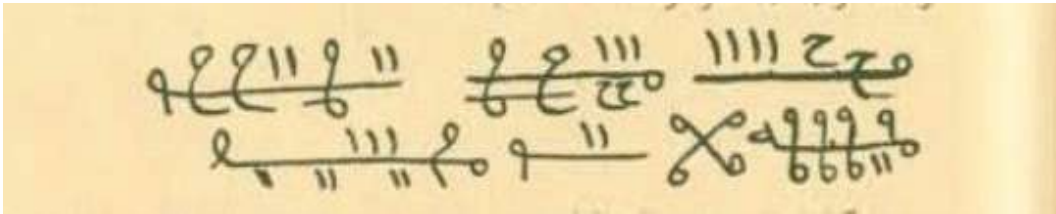
- دلوقتي دمننا هيختلط مرة ثانية.

أحضر إناءً نحاسيًا بيضاوي الشكل؛ تفوح منه رائحة قوية، وموجود به تراب قبر وزبد بحر ورماد ميت..

ترك (قريش) بعضًا من دمائه ودماء (جلال) تتساقط داخل هذا الإناء، وتمتزج بما فيه ثم مد إصبعه في هذا الخليط اللزج، وراح يرسم به على جبهة (جلال) الرسم التالي:



شعر (جلال) بثقل في رأسه ونخز غريب في أطرافه..  
أحضر (قريش) خرقة صغيرة وخط فيها التالي:



شعر (جلال) بلفحة نار تلفح وجهه وتحرق رموش عينيه..  
سمع أصوات نقر وخدش داخل الجدران.. بدا له أن هناك ما يريد  
أن يخرج منها..  
انتبه فجأة إلى أن ظل (قريش) قد اختفى من على الأرض بينما بقي  
ظله فقط.  
طوى (قريش) الخرقة بطريقة معينة، ثم لفها بخيطٍ أسود، وطلب  
من (جلال) أن يضعها تحت إبطه الأيسر.  
نفذ (جلال) المطلوب منه وهو يتابع (قريش) الذي أخذ يردد:

## غبار الامور

- أقسمت عليك يا ناصور يوم البعث والنشور، وبحق النور ونور النور، وإسرافيل النافخ في السور. هاجت الجن في القبور، وزعقت الشياطين بالحضور. وبحق النار والنيران والبرد والوهجان. أقسمت عليك يا ناصور، بحق سكان الجسور، وأخوك اشمعون. انقادوا مسرعين، وافعلوا ما أنتم به مأمورين.  
وصرخ ثلاث صرخات عالية.. بعدها ارتج المنزل بعنف..  
ثم اختفى ظل (جلال) من فوق الأرض.

\*\*\*

تمددت في سريري وأنا أتصعب عرقاً وأفكر في سر تلك المرأة..  
كنت ما زلت أحمل اللوحة بين يدي.. (هبة) خرجت منذ حوالي ساعة تقريباً، وما زال أمامها أكثر من خمس ساعات حتى تعود..  
قضيت بقية الوقت في الفراش ما بين نوم أو توتر..  
عادت (هبة) في ميعادها وتناولنا الغداء سوياً، ثم دخلت غرفتها بصحبة (الفيسبوك) اللعين..

حملت المرأة ووضعته في غرفة (الخزين).. غرفة (الخزين) هي غرفة صغيرة في مواجهة غرفة نومي وأستخدمها في تخزين الكرايب أو الأشياء التي لم أعد في حاجة إليها..

قرب التاسعة مساءً؛ شعرت بخدر في جسدي وبحاجة إلى النوم..  
ذهبت إلى (هبة) فوجدتها جاحظة العينين أمام شاشة الهاتف..

- تصبحي على خير.
- انتبهت لي لثوانٍ، وقالت باقتضاب:
- وانت من أهله.
- حاولت أن أفتح معها حوارًا:
- جميل الفيسبوك؟
- هزت رأسها دون أن تنظر لي وقالت:
- آه.. مسلي.
- ترددت وأنا أسألها:
- ماما لها حساب؟
- قالت بلا اكتراث:
- مش عارفه.
- قلت:
- في الحقيقة أنا بكره مواقع التواصل الاجتماعي.
- سألتنى وهي تفرك عينيها في إرهاب:
- انت اشتركت فيه قبل كدا؟
- أجبت في ارتباك:
- لا.. لكن...
- قاطعتني:
- ازاي طيب تكره شيء انت مجربتوش؟
- أحرجتني لكنني قلت:

## غبار الأمل

- بسببه انتي اتغيرتي .. مبقتيش تقعدي وتحكي معايا زي زمان.  
تمتت في خفوت:  
- الدنيا بتتقدم وبتمشي لقدام يا أبو هبة.  
تطلعت إليها طويلاً قبل أن أهتف:  
- إحنا البلد الوحيدة اللي لو رجعنا لورا هنتقدم.  
أومات برأسها ثم وضعت سماعات (الهدفون) في أذنيها دلالة أنها  
لم تعد ترغب في المزيد من الكلام..  
تركتها وأنا ألعن اليوم الذي اشترت لها هذا الموبايل..  
عدت إلى غرفتي ثم دخلت في نوم هو مزيج من الأرق والإغماء..  
عند منتصف الليل استيقظت على صوت همس..  
همس كأن شخصاً ما نائم بجواري ويتحدث معي..  
فتحت عيني وأنا مفزوع.. كانت الغرفة مظلمة ظلام القبور..  
مددت يدي وفتحت نور (الأباجورة)..  
ميزت بجواري رجلاً يجلس على حافة فراشي ويولينني ظهره..  
سمعته يتمم بكلام ما غير مفهوم.. كان يرتدي معطفاً من الجلد  
الأسود ويضع فوق رأسه قلنسوة من الفرو..  
انكشيت في مكاني وحاولت أن أصرخ لكن الصرخة تجمدت في  
حلقي وماتت..  
من هذا الرجل؟..  
إنس.. أم جن؟

ببطء أدار وجهه ناحيتي بزاوية ١٨٠ درجة ودون أن يحرك جسده..  
بدأت أسمع صوت فقرات العنق وهي تتكسر وتتحطم.. كان  
الصوت مخيفاً ومقززاً إلى أقصى حد..  
المخيف أكثر أن ملامح هذا الرجل أو هذا الشيء.. كانت مشوهه..  
الدماء تغرقه وله عينان مشقوقتان بالطول مثل الثعابين..  
وبهدوءٍ مرعب نهض من جوارتي، ثم تحرك حركة مهتزة متواترة  
وخرج من غرفتي..  
كانت خطواته ثقيلة والأرض تهتز أثناء سيره..  
شخصت ببصري وراءه وتابعته وهو يتجه نحو غرفة (الخزين) ثم  
يفتح بابها ويدخل..  
لمحت المرأة قابعة حيث تركتها هناك معلقة على الجدار..  
توقف هذا الرجل أمامها..  
تبدلت الألوان فوق سطحها بسرعة واهتزت..  
فجأة..  
خرجت يد عملاقة من المرأة ثم سحبت الرجل إلى داخلها.

\*\*\*

## ٩

أشياء كثيرة يتمناها الإنسان حين الصغر وينساها أو يفقدها مع  
الكبر..

لم ينس (جلال) في يومٍ من الأيام حلمه بأن يكون من عارفي عالم  
الجن والسحر..

ما زالت ذكرياته مع والده الشيخ (مصباح) ترتسم أمامه كل ليلة  
وليلة.

منذ اللحظة الأولى في عهده مع (قريش) علم أن الموضوع لن  
يكون سهلاً أو هيناً.. بالرغم من ذلك كان لديه تصميم قوي وكان ينفذ  
كل المطلوب منه..

كان دائم الأسئلة على نحو مستفز.. يريد أن يعرف كل شيء وأي  
شيء.. صحيح أن (قريش) لم يبخل عليه بعلم لكنه كان متعجلاً أكثر  
من اللازم..

وللحق فقد كان (جلال) كمن خلق من أجل السحر والجن، كان  
سريع التعلم وموهوب بالفطرة.

كان (قريش) قد أعطاه غرفة داخل منزله بالقرب من الباب..  
كانت الغرفة صغيرة وضيقة، ذات أثاث متواضع عبارة عن صندوق  
يضع فيه ثيابه وسرير قريب من الأرض ينام عليه.  
سمح (قريش) لـ (جلال) أن يتحرك داخل المنزل بحرية لكنه منعه  
من دخول مكانين.. المكان الأول؛ غرفته الخاصة.. والمكان الثاني؛  
قبو المنزل..

مع الفجر كان يومهما يبدأ حيث يستيقظ (قريش) أولاً ويقوم  
بالاستحمام بماء مقروء عليه عزيمة من عزائم الجن، ثم يوقظ (جلال)  
ويطلب منه أن يستحم بماء غسله..

مع بداية طلوع الشمس؛ يبدأ الزوار وطلبة الكرامات في الدخول..  
كان لكل زائر حكاية وطلب، والحل دائماً في حجاب يصنعه  
(قريش).. هذه فتاة لا تنجب.. وأخرى فاتها قطار الزواج، شاب توقف  
عن النطق.. وآخر أصابه العمى..

منذ متى فقد الناس الثقة في الطب؟.. هكذا سأل (جلال) نفسه لكنه  
لم يجبها..

كان (قريش) يصنع الأحبة بخليط من الدماء ونجاسة البشر  
وأحياناً كان يستخدم أجزاءً آدمية.



## غبار الأسرار

في الليل وبعد انصراف الزائرين؛ كان (قريش) يخرج ويسير ثم يعود قبل الفجر.. لم يخبر (جلال) مطلقاً إلى أين يذهب أو ماذا يفعل.. كانت تحيط به هالة من الشذوذ..

ذات يوم وتحديداً عند دخول الليل؛ طلب من (جلال) أن يذهب إلى (الجبانة) ويضع (عمل سحر سفلي) (\*) داخل فم امرأة ماتت حديثاً. لم يكن متاحاً أمام (جلال) خيار الرفض لذا مكث في غرفته حتى قرب منتصف الليل ثم وضع العمل بين طيات ثيابه وخرج..

سار بين الشوارع الخالية وهو ينظر إلى ظله الذي يسبقه ويستمع إلى صدى خطواته التي تكسر سكون الليل حتى وصل إلى (الجبانة).. كان (قريش) قد أخبره بأن يأخذ حذره من عم (وحيد التربي) المسؤول عن (الجبانة).. عم (وحيد) يسكن في عشة صغيرة مبنية من الخشب وموجودة بجوار المدخل الرئيسي..

تسلل (جلال) بجوار العشة واختلس النظر من خلال فرجات نافذتها الوحيدة، وتأكد أن عم (وحيد) يغط في النوم..

عقد (جلال) عزمه ودخل (الجبانة)..

كان المشهد من الداخل مهيباً في مثل هذا الوقت..

ارتجف (جلال) للحظة من الانفعال ثم سار بين شواهد القبور..

---

(\*) عمل السحر السفلي؛ من أخطر أنواع أعمال السحر وهو عبارة عن توكيل جن سموم ولا يؤثر على الإنسان فحسب لكن يؤثر على قرينة أيضاً.

فجأة لمح شيئاً ما بطرف عينه فاتجه إليه ببصره بسرعة.. رأى مجموعة من الكلاب الهزيلة التي تمزق فراءها بسبب الجرب، تخرج من داخل أحد القبور المفتوحة.. كانوا حوالي خمسة كلاب.. نظروا جميعاً لـ (جلال) دون أن ينبحوا.. صنعوا من حوله دائرة هو مركزها.. لبث برهة طويلة يتطلع لهم في شك وخوف.. هل هم حيوانات أم جن؟..

فكر أن يتناول حجراً من على الأرض ويضرب به أقرب الكلاب إليه..

أطلق أضخم الكلاب حجماً نباحاً عالياً.. أتبعه بقية الكلاب..

ظل (جلال) مغروراً وسط الدائرة متحفزاً..

عاد الكلب الضخم يطلق نباحاً آخر، ثم هرول مبتعداً وأتبعه

الباقون..

تنفس (جلال) الصعداء وأكمل طريقه حتى وصل إلى المقبرة

المنشودة.. كان ما زال الجبس الذي عليها طرياً.. أخرج عتلة صغيرة

وبدأ في تحطيم بابها.. بضع ضربات واستطاع صنع فجوة تكفي لكي

يدخل منها..

لم يكن هناك أحد بجواره لكنه أحس أن هناك مئات العيون التي

تحقق به الآن..

## غبار اللؤلؤ

بذل مجهودًا جبارًا للتغلب على خوفه ثم أشعل كشافًا صغيرًا  
ودخل..

كانت الرائحة كريهة جدًا في الداخل..

على ضوء الكشاف رأى جثة المرأة وهي ملفوفة في الكفن  
الأبيض.. على مقربة منها كومة كبيرة من العظام يبدو أن (التربي) قام  
بجمعها حتى يفسح مكانًا للجثة..

سلط (جلال) الضوء على وجه المرأة.. كان وجهها قد انتفخ قليلاً  
وجحظت عيناها..

فك قليل من القماش الذي يربط وجهها وحاول أن يفتح فمها.. كان  
فمها متخشبًا.. حاول مرة أخرى لدرجة أنه مزق جزء لحم من وجهها..  
كاد أن يصرخ حين فوجئ بجزءٍ من اللحم يلتصق بيده..

أخرج سكينًا ثم أغمدته بخشونة بين الفك والأسنان..

حرك السكين عدة مرات كأنه يقوم بفتح علبة طعام محفوظ..

تكسرت بعض الأسنان لكنه لم يتوقف..

صارت هناك فجوة واسعة داخل الفم يمكن من خلالها أن يضع

العمل..

أخرج العمل من جيبه ثم حشره داخل الفم وأطبق الفم جيدًا..

لهث (جلال) ومسح العرق الغزير الذي أغرق جبينه..

جمع أشياءه وبدأ يستعد ليخرج من القبر وهو يتجنب النظر لجثة المرأة..

تأكد أنه لم ينس شيئاً ثم تحرك للخارج..  
فجأة سمع صوت حركة من الخلف..  
كان يفصله عن باب المقبرة خطوة واحدة..  
لم يخط هذه الخطوة..  
نظر إلى الخلف..  
اتسعت عيناه فزعاً.  
- خليك معايا تونسني.

كان هذا صوت جثة المرأة حين رآها تعتدل في مكانها ثم تنهض واقفة.

\*\*\*

أحكمت إغلاق غرفة (الخزين) ووضعت فوقها قفلاً ضخماً.. ثم فكرت أن هذا لا يكفي.. أحضرت لوح خشب صغير وبعض المسامير وقمت بتثبيت اللوح على الباب باستخدام الشاكوش لكي أشعر بمزيد من الاطمئنان..

لم أشأ إخبار (هبة) بما رأيته حتى لا تهلع لكنها لاحظت ما أفعل، فنظرت لي باستغراب شديد وسألتنى باهتمام:  
- لزمته إيه كل ده؟

## غبار اللوح

أجبتها وأنا أثبت المزيد من المسامير ثم أدقها على اللوح:

- مجرد احتياط عشان الفئران متدخلش.

هزت رأسها باستنكار ولم تقتنع بما قلت.. أسرع أسألها وأنا

ألتفت إليها وقد لاحظت أنها ترتدي ملابس الخروج:

- رايحه فين؟

تخبرني أنها ذاهبة برفقة بعض صديقاتها للتنزه في وسط البلد وربما

ستشتري بعض (الأكسوارات)..

لا أعلم لماذا لم أسترح لقولها.. عيناها تكذبان.. حدقت فيهما

جيداً.. أشاحت بوجهها عني.. كنت محقاً.. هي تكذب.. قلت:

- خليكى يوم تانى.

انعقد حاجباها وقالت في تحد:

- وليه مش النهارده؟.. أبو هبة أنت بتتصرف اليومين دول بغرابة.

قلت في دهشة مستنكرة:

- أبداً لا غرابة ولا حاجة.. أنا طبيعي.. طبيعي جداً.

بدأ شبح ابتسامة ساخرة يظهر عليها وهي تهتف:

- آه.. ده واضح جداً.

كنت قد انتهيت من تثبيت اللوح واختبرته بيدي وتأكدت من قوته

حين قلت لها:

- ماشي.. تقدري تخرجي، بس لازم تكوني هنا قبل غروب الشمس.. أنا مش هسامح في التأخير.  
- أوعدك.

ثم رفعت يدها اليمنى عاليًا في حركةٍ مسرحيةٍ وقالت بمرح:  
- تحب أقسم لك.

ابتسمت لها وهي تنحني نحوي وتقبلني على خدي الأيمن قبل أن تتذكر شيئًا فتقول بلهفة:

- بالمناسبة في رحلة أقصر وأسوان على نهاية الشهر ده ولمدة أسبوع.

ضغطت على نواجذي وأنا أقول بصرامة:  
- رحلات لأ.

أدركت من صوتي أن باب النقاش مغلق، فغمغمت بجملة غير مسموعة وأولتني ظهرها وانصرفت..

دقائق بعد خروجها ثم دق جرس الباب.. دفعت نفسي من فوق الكرسي وقد ظننت أنها قد نسيت شيئًا وعادت..

فتحت الباب وأنا أقول في سرعة:

- بالتأكيد نسيتي الموبايل و...

بترت كلامي وأنا أنظر للقادم.. كان (بيومي) في مواجهتي يبتسم ابتسامته اليهودية ويقول:

## غبار اللؤلؤ

- أهلاً.

ثم تجاوزني ودخل دون دعوة وأغلق الباب خلفه..  
دار ببصره في أرجاء الشقة ودخل باتجاه غرفة نومي وهو يردد:  
- فين هي؟

صرخت فيه وأنا أحاول اللحاق به:

- انت بتعمل إيه؟

خرج من غرفتي في عجلة ثم دار برأسه باتجاه غرفة (هبة):  
- خبتها فين؟.. أنا عرفت إنها وصلت لك.

انفضت في انفعال وأنا ألوح بيدي وأهتف:

- احترم حرمة البيت.

كان قد دخل غرفة (هبة) وسمعت صوت فتح الدواليب والأدراج..

خرج وهو يتلفت حول نفسه من جديد ويصيح كالمجذوب:

- فين.. فين؟

توقف بصره عند غرفة (الخزين) وعلى اللوح الذي وضعته، قبل أن

يلتقي حاجباه، ويهز رأسه دلالة على الفهم وهو يغمغم:

- آه.. انت بتحاول تخفيها مني.

ثم سار باتجاه الغرفة..

وضعت نفسي حائلاً بينه وبينها.. صرخت فيه غاضباً:

- أقف.

نظر لي باستهزاءٍ وتوقف في مكانه.. قال في سخرية:

- وقفت اهو.. عاوز إيه؟

هتفت بانفعال:

- عاوز مائة ألف.

تحجر وجهه.. ضيق عينيه.. ردد باستنكار:

- مائه ألف إيه؟!!

ابتلعت ريقِي.. قلت بصعوبة:

- مائة ألف جنيه.

اتسعت عيناه في دهشة ثم انفجر ضاحكاً بلا مقدمات..

نظرت له باستغراب.. ثم انتقلت لي عدوى الضحك..

رأيت عين (بيومي) تغرق بالدموع من كثرة الضحك..

شعرت بألم في ضلوعي من كثرة الضحك.. لم أكن أعلم أن ما قلته

مضحك إلى هذا الحد..

فجأة توقف (بيومي) عن الضحك..

وتخشبت ملامحه..

ثم صفعني..

هوت الصفعة على خدي الأيمن مثل سوط ملتهب؛ أشعل وجهي

وجعل الدماء تندفع من كل جسمي وتتمركز مكان الصفعة..



## غبار اللؤلؤ

بحركة لا إرادية تحسست خدي وقد شعرت أنني أقف وسط طريق  
ضبابي..

قبل أن أفتح فمي لأنطق؛ انقض عليّ (بيومي) وأمسك رأسي ثم  
ضربها في الحائط كأنها حبة جوز هند..

شعرت بعظام رأسي تهدر وبدوار هائل يحيط بي..  
العالم يدور..

طوحت يدي في لكمة يائسة؛ أصابت الهواء فكدت أسقط على  
الأرض لولا أن تشبثت في مسند المقعد..

ركلني (بيومي) في معدتي فشعرت أنها ستخرج من فمي قبل أن  
أبصق كتلة من الدماء..

سمعته يسبني لكنني لم أره بسبب الغيمة التي نزلت على عيني، ثم  
رفعني من فوق الكرسي المتحرك وألقاني أرضاً في قسوة..

ارتطمت بالأرض وسقطت على ظهري وقد انتقل الشلل من ساقي  
إلى بقية جسدي..

أطلقت صيحة ألم..

خرجت مني ضعيفة..

ضعيفة جداً..

وبعين زائغة وروح ضائعة؛ تابعت (بيومي) وهو يخرج من جيب  
بنطاله الخلفي خنجرًا قصيرًا معقوف النصل، ثم يتجه نحوي وقد  
ارتسمت على ملامحه كل الشرور..  
شرور العالم.

\*\*\*

تحركت جثة المرأة باتجاه (جلال) وهي تمد يدها للأمام وتصدر  
فحيحًا مخيفًا كالأفعى..  
أصاب (جلال) دوار هائل من فرط الرعب وكاد أن يهوي لكنه  
تجلد وتمالك نفسه..  
أغمض عينيه وقد انتصب شعر رأسه....  
(أوهام) ظل يردد تلك الكلمة في سره بضع مرات..  
حين فتح عينيه؛ رأى جثة المرأة ملقاة في مكانها داخل القبر.. تنفس  
الهواء بملء رئتيه ثم تحرك وهو يرتعش..  
ألقى نفسه على الأرض حين خرج من المقبرة وقبض على التراب  
في لهفة.. ظل صدره يعلو ويهبط كأنه كان يعدو مئات الأميال..  
ميز نجوم السماء وهي متدلّية فوقه وشعر أن الأرض تنسحب من  
تحت جسده..  
بصعوبة نهض وقام بجمع أكوام الطوب التي حطمها، ثم أعاد رصها بعناية  
على مدخل المقبرة قبل أن يثبتها بخليطٍ من الجبس والإسمنت الأبيض..

## غبار الأسرار

حين انتهى؛ نظف حول المقبرة جيداً حتى لا يشك أحد أنها قد فتحت ثم غادر..

بعد أن ابتعد بضع خطوات؛ توقف في مكانه وتصارع قليلاً مع نفسه ثم التفت للخلف ونظر للمقبرة..

عاد ووقف أمامها.. أحنى رأسه فيما يشبه الأسف..

قرأ الفاتحة على روح الميتة، ثم رفع يده إلى السماء ودعا لها بالرحمة والسكينة والفردوس الأعلى..

بعد أن انتهى من دعائه؛ مسح على وجهه بكفيه وشعر بقليل من الراحة.

- أقف مكانك.

أمر صارم وقوي تردد فجأة من ورائه..

التفت (جلال) بسرعة.. رأى عم (وحيد) وهو يحمل عصاً غليظة ويهرول ناحيته وقد وضع طرف جلبابه بين أسنانه..

لم يكن (جلال) ليدخل في مناقشة أو صراع.. أخفى وجهه بالشال ثم أطلق ساقيه للريح..

توغل بين شواهد القبور وهو يحني جسده على قدر ما يستطيع..

كان عم (وحيد) من الحاذقين حيث كان يتتبع آثار أقدام (جلال)..

فكر (جلال) أن يختبئ داخل أحد القبور المفتوحة لكنه تراجع عن

ذلك في نفس اللحظة التي فكر فيها..

انتهى به الجري أمام سور (الجبانة).. التفت للخلف.. رأى عم (وحيد) وقد أوشك على الوصول إليه..

كان السور عاليًا لكن (جلال) مديده وبدأ يتسلقه بكل همه.. كان يستغل الشقوق الموجودة بين الطوب ويستخدمها للصعود..

امتلات يده بالدماء نتيجة احتكاكها بالحجارة..

حين أوشك أن يصل إلى نهاية السور من أعلى؛ شعر بقبضة كالحديد تقبض على ساقه وتجذبه إلى الأسفل..

نظر فوجد عم (وحيد) وقد تشبث به ويقا تل لكي يسقطه..

حاول (جلال) أن يركله لكن عم (وحيد) كان من القوة بحيث سحب (جلال) وأوقعه..

ارتطم (جلال) بالأرض وهو يصرخ فزعًا.. انتحى جانبًا وتفادى ضربة قوية من العصا التي يحملها عم (وحيد) لو كانت أصابته لقضت عليه..

صرخ عم (وحيد) ورفع العصا مرة أخرى بشراسة واستعد ليضرب بها من جديد.. (جلال) كان أسرع منه وتناول حفنة من التراب وألقاها في وجهه، فأعمته وجعلته يصرخ في غضبٍ وجنون..

راح عم (وحيد) يطوح عصاه الغليظة في كل الاتجاهات وبحركة عشوائية مميتة..

## غبار اللؤلؤ

استغل (جلال) أن الرجل لم يعد يرى ثم تناول حجراً بحجم قبضة اليد..

تحين الفرصة ثم انقض على عم (وحيد) من الخلف، وضربه بالحجر على صدغه ضربة قوية..

انفجرت نافورة دماء من رأس عم (وحيد)..

تراجع (جلال) للخلف بذعرٍ حين رآها وقد هالته كمية الدماء التي سالت..

سقط عم (وحيد) على ركبتيه ومد يده يحاول أن يتحسس مكان الجرح.. إصبعه غار داخل حفرة في جمجمته.. حاول أن يقول شيئاً ما.. خرج منه الكلام غير واضح.. كان أقرب لحشرة شخصٍ يحتضر..

جحظت عيناه ثم أصدر خواراً مخيفاً وهوى على وجهه بلا حراك.

\*\*\*

مرر (بيومي) نصل الخنجر البارد على عنقي وابتسم ابتسامة كشفت عن صف من الأسنان المنخورة ثم قال ببرود:  
- لو عاوز رأيي فانت عالية على البشرية وتستحق انك تموت من زمان.

ثم نهض وهو يستطرد:

- لحسن حظك أنا مش قاتل.

وتناول الشاكوش وبدأ يخلع المسامير من على الباب، ثم حطم القفل بعدة ضربات متتالية قبل أن يعود ويقول:

- ممكن تظن إني شخص شرير.. الموضوع إني عاوز المراية، وانت بالنسبة لي عائق لازم أتخلص منه.

فتح الباب فلمعت عيناه حين رأى المرأة وهتف في ارتياحٍ عجيب:  
- أخيراً.

والتفت نحوي:

- حاسس بيها.. حاسس بقوتها.

صحت:

- انت مجنون.

ابتسم في جزل:

- قول عني اللي انت عاوزه.

قالها ثم دخل.

حاولت أن أزحف على الأرض باتجاه التليفون.. أحتاج أن أتصل

بالنجدة..

كان يفصلني عن التليفون أقل من ثلاثة أمتار لكنها بدت لي أميلاً

طويلة..

جاهدت بصعوبة وأنا أزحف مع ألم شديد في كل أعضاء جسدي..

توقعت أن يمسك (بيومي) بكاحلي في أي لحظة..

## غبار اللؤلؤ

وصلت للمنضدة الموضوع فوقها الهاتف.. رفعت خصري وحاولت الوصول إليه.. كانت المنضدة عالية.. وصلت إلى حافتها بالكاد.. حاولت أن أستعين بها وأرفع نفسي.. استندت عليها ودفعت نفسي إلى الأعلى.. قواعد المنضدة أصدرت صوتاً مزعجاً قبل أن تهتز ثم تهوي بي..

سمعت صرخة (بيومي).. لكنها لم تكن صرخة غاضبة.. كانت صرخة ملتاعة كلها خوف وفزع..

التفت ناحيته بسرعة.. لم أر شيئاً.. أغلق الباب في وجهي بعنف.. استمر صراخ (بيومي) وقد امتزج بأصوات تكسيرٍ وقاتلٍ شرس.. ثم انتهت الأصوات.. واران صمت طويل.. ورهيب..

ماذا يحدث؟

ابتلعت ريقِي ونظرت ليا ب غرفة (الخزين) وقد سرت في جسدي قشعريرة شديدة.. توقعت أن ينفجر الباب وتتناثر أشلاؤه في وجهي.. حدث العكس..

رأيت الباب وهو يفتح ببطءٍ وهدوء..

على الأرض لمحت (بيومي) وهو ممدد بلا حراك، ووجهه إلى الأسفل وحوله بركة من الدماء؛ راحت تتسع تدريجياً..

حملت فيه وأنا أكاد لا أصدق ما تراه عيناى ..  
اعتقدت للوهلة الأولى أنه قد مات ..  
لمحت أصابع يده اليمنى تتحرك ثم ندت منه آهة مكتومة ..  
التفت نحوي دون أن ينهض .. كان ينظر لي بشكلٍ مرعب .. صاح  
بوهن:

- ساعدني .  
ثم بدأ يزحف باتجاهي باستخدام مرفقيه، ومن ورائه كان يرسم  
خيوط طويل من الدم ..  
فجأة بدأ سطح المرأة يهتز كالماء قبل أن يخرج منها دخان أحمر  
كثيف .

لاحظ (بيومي) فزعي .. نظر من وراء كتفه .. أطلق صرخة هائلة  
حين خرج من وسط الدخان مخلوق أقرب للشيطان .. كان في حجم  
غوريلا ضخمة، وله زوج من القرون المعوجة، وشعر أسود يغمر كامل  
جسده، ووجهه بشع كالجحيم ..

تجمدت في مكاني وأنا أكاد لا أصدق ما تراه عيناى .  
تابع (بيومي) زحفه وهو يبكي ..  
زمجر المخلوق بشكلٍ مرعب ..  
(بيومي) كان قد أوشك أن يخرج من غرفة (الخبزين) ..  
اقترب المخلوق منه بهدوءٍ قاتل ..



## غبار الاموات

انعكس ظله على ظهر (بيومي) الذي صرخ بذعرٍ وتوسل:  
- أرجوك.. أنا مش عايز أموت.

قبض المخلوق على فخذ (بيومي) الأيسر وعصره بقوةٍ بين مخالبه..  
تشبث (بيومي) بكلتا يديه في حلق الباب في يأس.. جذبه المخلوق  
بعنفٍ وقسوة.. سحبه وراءه غير مبالٍ بصراخه.  
داخل الدخان الأحمر؛ غابا الاثنان..  
واختفيا..

وساد سكون رهيب..

مرعب..

لحظة.. ثم طار شيء ضخم من داخل الدخان وارتطم بالحائط..  
نظرت له.. كان (بيومي) وقد تمزق صدره تمامًا وتحطمت رأسه..  
آخر ما شاهدته هو انسحاب الدخان داخل المرأة قبل أن يرتسم  
على سطحها وجه المخلوق.

\*\*\*



ظل (جلال) لعدة أيام ينتظر أن يسمع خبر العثور على جثة عم  
(وحيد)..

كان قد أخفى عن (قريش) كل ما جرى في تلك الليلة..  
حاول أن يتناسى الأمر لكنه عجز.. ظل هاجس أن يكون قد قتل عم  
(وحيد) يؤرق عليه مضجعه كل ليلة.. لم يكن يستطيع النوم.. أو شك  
على فضح نفسه بنفسه..

أخيراً وقرب منتصف نهار يوم خميس؛ قرر أن يذهب ويستقصي  
عن عم (وحيد) بنفسه..

ارتدى ملابس نظيفة وحلق ذقنه ثم ذهب إلى (الجبانة)..  
تجول في البداية بين جنبات القبور لعله يظفر بخبر أو معلومة..  
كانت (الجبانة) تمتلئ بالنساء المتشحات بالسواد واللاتي اعتدن  
على زيارة الموتى في يوم الخميس من كل أسبوع..

## غبار الأموال

كان يوجد أيضًا الكثير من الباعة الجائلين الذين يبيعون قرص الكعك وسعف النخيل، وكذلك انتشر المساكين والأولاد الفقراء الذين راحوا يتسولون الصدقة والرحمة والنور..

لمح (جلال) بعض النساء تجمعن وراء أحد القبور وصنعن حلقة كبيرة على الأرض ووضعن كومة من البصل الأخضر والفسيح وتلاً من الخبز، ثم انقضضن ليفترسن كل هذا بلا رحمة.

- رحمة ونور يا حج.

قالها طفل متشرد لـ (جلال) وهو يمد له يده.. أخرج ورقة نقدية ووضعها في يد الطفل وهو يقول:

- انت بتيجي هنا كل خميس؟

وضع الطفل النقود في جيبه، ثم مسح المخاط الذي يسيل من أنفه بكف يده وقال بثقة:

- أيوه.

سأله (جلال) باهتمام:

- طيب متعرفش التربى اللي كان هنا لسه عايش ولا مات؟

مد له الصبي يده القذرة وقال:

- طيب هات جنيه وأنا أقولك.

أخرج (جلال) جنيهاً:

- الجنيه اهو .

اختطف الطفل الجنيه ثم انطلق مهرولاً وهو يضحك:

- ضحكت عليك .. ضحكت عليك .

ضربت الدماء في رأس (جلال) وغضب، وكاد ينسى نفسه ويطارد

الطفل لكنه وجد أن الموضوع لا يستحق ..

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يعيد الموقف في ذهنه، فتبسم ضاحكاً ..

ذهب إلى عشة عم (وحيد) وهو يقدم قدماً ويؤخر أخرى ..

حين وصل كان كل شيء أمام العشة يبدو هادئاً أكثر من اللازم ..

توقف أمام بابها قليلاً .. سحب نفساً عميقاً ثم طرق الباب ..

سمع صوت خطوات تقترب من الباب .. شعر بالتوتر ..

برز عم (وحيد) من وراء باب منزله مثل شبح أبيض وهو يرتدي

عباءة مغربية بيضاء لها قلنسوة طويلة تشبه القرطاس، ويضع ضمادة

كبيرة حول رأسه:

- جلال .

قالها عم (وحيد) بصوتٍ أجش وهو يحدق في (جلال) ..

كاد (جلال) أن يهرع من أمامه وقد ظن أنه عرفه لكن عم (وحيد)

أكمل بسرعة وهو يحتضنه:

- جلال ابن الشيخ مصباح .. أهلاً وسهلاً .

ثم أشار له بالدخول:

## غبار اللموم

- اتفضل .. اتفضل .

نظر إليه (جلال) كمن يستيقظ من حلم، ثم دخل محاولاً إخفاء  
ارتبائه ..

شرد للحظة بأفكاره وهو يدور بعينه داخل العشة ..

جلس فوق أريكة متهالكة لكنها كانت مريحة جداً ..

قال عم (وحيد) وهو يشعل موقداً صغيراً ويضع عليه براداً مصنوعاً  
من الصاج الأزرق:

- دقيقة واحدة، أجهز لنا كوبايتين شاي .

أراح (جلال) رأسه على الجدار وأغمض عينيه في استرخاء .. كان  
يشعر أخيراً بالاطمئنان بعدما رأى أن عم (وحيد) ما زال بخير .. تنهد  
في ارتياح كبير .

قال عم (وحيد) وهو يصب الشاي في الأكواب:

- والدك الشيخ مصباح كان حبيبي .

قال (جلال) بصوتٍ مبحوح:

- تعيش يا عم وحيد .

- تعرف اني كنت شاهد على جواز أبوك .

نظر له (جلال) بشيءٍ من الدهشة .. أكمل عم (وحيد) مستعيداً

الذكريات:

- أصلاً انا وأبوك كنا أصحاب من وإحنا صغيرين، لكن الزمن وطبيعة شغل كل واحد فينا بعدتنا عن بعض.  
هتف (جلال):
- الزمن يفرق كل حاجة يا عم وحيد.  
قال عم (وحيد) وكأنه لم يسمعه:
- الست والدتك (رحمة ونور عليها) كانت ست أصيلة.  
سأله (جلال) بشغف:
- انت برضه كنت تعرفها؟
- كان عم (وحيد) قد انتهى من صب الشاي ثم ناول لـ (جلال) كوباً، وهو يتفحص في ملامحه كثيراً قبل أن يجيب:
- أيوه. عارف انك شبهها قوي.  
ابتسم (جلال):
- انت أول شخص يقوللي ده.. كلهم يقولوا اني شبه والدي.  
تنهد عم (وحيد) بأسى:
- ياما قلت لأبوك يسيبه من أمور الجن لكنه مسمعش كلامي.  
ردد (جلال) بحزن:
- مبقاش يجي منه خلاص.
- سمعت انك سبت الشغل مع رزق.. بتشتغل إيه دلوقتي؟
- شوية هنا، شوية هناك.

## غبار اللؤلؤ

هز عم (وحيد) رأسه دلالة على الفهم:

- ارزقي تقصد؟

رد (جلال):

- أيوه.

نظر عم (وحيد) في عين (جلال) بتمعن ثم مال نحوه:

- محتاج فلوس؟

هتف (جلال) بإحراج:

- أبداً أبداً.. مستورة.

ثم أشار للضمادة التي تحيط برأس عم (وحيد) وسأله:

- دي بسبب ايه؟

تحسس عم (وحيد) الضمادة بحركة لا إرادية وأجاب:

- عيل ابن حرام دخل المقابر بالليل، تقريباً كان عاوز يسرق جثة..

العيال بتوع الطب بيشتروا الجثث اليومين دول وييدفعوا بالهبل عشان

الامتحانات قربت.. انت عارف أنا لو معنديش ذمة كنت بعت نص

جثث أموات البلد. الخلاصة، جريت ورا ابن الحرام ده بس ضربني

بطوبة في دماغي كنت هروح فيها لولا ستر ربنا.

- المهم، انت بقيت كويس دلوقتي؟

رد عم (وحيد):

- عمر الشقي بقي.

ثم سكت لبرهة من الوقت كأنه يصارع أفكاره قبل أن يسأل (جلال) بصوتٍ مليءٍ بالإحراج:

- خير.. انت كنت عاوز مني حاجة؟

ارتبك (جلال) وأصابته الحيرة.. لم يكن يتوقع هذا السؤال، وبالتالي لم يكن يملك الرد المناسب أو المقنع.. ولثوانٍ ظل جامدًا في مكانه قبل أن يجيب:

- كنت عاوز اعرف مكان قبر أبويا.. نفسي أزوره.

اعتدل عم (وحيد) في جلسته وشرد ببصره قليلاً وهو يردد في تفكير:

- امممم.. مقبرة الشيخ مصباح.

ثم رسم خريطة مصغرة لـ (الجبانة) داخل رأسه، والتفت لـ (جلال) وراح يصف له مكان القبر بمنتهى الدقة..

بعد نصف ساعة كان (جلال) يخرج من عند عم (وحيد) وهو يشعر أن حملاً هائلاً قد انزاح من على صدره..

توجه إلى قبر والده وقرأ الفاتحة على روحه ثم عاد بسرعة إلى غرفته لينام وعلى وجهه ابتسامة..

كبيرة.

\*\*\*



## غبار الأسرار

بعد ما حدث مع (بيومي) مرت عليّ أيام وأنا مشوش الذهن.  
المخلوق المخيف في لحظة كنت أتذكره، وفي لحظة أخرى كنت  
أنساه.. كان شيئاً غريباً ومجنوناً ومرعباً أيضاً.

كنت قد أعدت إغلاق الباب على المرأة ووضع القفل عليها..  
لم أخبر (هبة) بالطبع بحقيقة ما جرى في هذا اليوم بالرغم من أنها  
تذمرت كثيراً حين رأت الفوضى التي لحقت بغرفتها وبصالة البيت..  
أخبرتها أنني مررت بحالة غضب نتج عنها هذا الهراء.. أعتقد أنه كلما  
قل معرفتها بما يجري قل الخطر عليها..

استقبلت (هبة) كلامي بشكٍّ كبير لكنها لم تعلق كعادتها.  
حاولت العودة إلى روتيني اليومي لكن ظلت المرأة عالقة في  
تفكيري..

كنت أتناول أقراص المسكنات والمهدئات بطريقةٍ مفرطة..  
سألت نفسي لماذا لم يقض عليّ هذا المخلوق المرعب.. لماذا  
تركني؟

ماذا لو أخبرت الجميع بما حدث.. هل سيصدقونني أم سيتهمونني  
بالجنون؟

أتخيل نفسي وأنا أقف أمام ضابط شرطة، وأحكي له كيف أن  
مخلوقاً يشبه الشيطان خرج من المرأة ثم قتل (بيومي) وعاد داخلها..

أعتقد حينها أنه لو كان رحيماً بي سيودعني في أقرب مستشفى  
للأمراض العقلية.

بمرور الوقت بدأت ألاحظ اهتمام (هبة) بغرفة (الخزين)..

أرى الفضول يغزو ملامحها..

أعتقد أنها مسألة أيام قبل أن تغفلني وتفتحها..

أتخيل صراخها حين يخرج لها هذا المخلوق..

لا.. لا يمكن.

أحسست برعبٍ وخوفٍ شديدين..

حاولت إخراج هذه المخاوف من عقلي لكنني لم أستطع..

ثم خطرت لي فكرة.. فكرة جيدة بالفعل ولا غبار عليها..

انتظرت رجوعها من الكلية وأخبرتها أنني موافق على ذهابها لرحلة

الأقصر وأسوان..

استقبلت كلامي بمزيجٍ من الفرح والدهشة والاستغراب على تبدل

موقفي..

حاولت كبت شعوري وحزني لأنها ستفارقني.

- تعرفي انك هتوحشيني قوي.

قلت لها هذه الجملة وأنا أودعها على الباب قبل ذهابها إلى الرحلة..

قالت وهي تقبلني على خدي الأيمن:

- وانت كمان يا أبو هبة.. متأكد إنك هتكون كويس من غيري.

## غبار الالوان

ضحكت ضحكة عالية.. قلت:

- طول عمرك عفرية.

حملت حقيبتها فاستطردت بسرعة:

- كلميني كل يوم.

ابتسمت:

- أكيد.

قلت محذراً:

- وبلاش تصاحبي ولاد.

ابتسمت ببراعة ثم رفعت يدها بحركةٍ مسرحيةٍ مضحكة:

- ولاد.. كله إلا الولاد طبعاً.. أخلاقي متسمحش.

ابتسمت:

- أيوه كدا.

ضحكت:

- هما بس ولدين تلاته اللي اعرفهم.. أحمد، وعمر، وكريم.

صحت فيها:

- بنت.. انتي بتهزري ولا بتتكلمي جد؟

لحقت نفسها وهتفت:

- لا.. لا.. بهزر طبعاً.

ثم جرت بسرعة من أمامي وهي تردد:

- طيب سلام بقى قبل ما ترجع في كلامك .  
ناديت عليها بلهفة:  
- هبة.. متنسش تكلميني كل يوم.  
قالت وهي تلوح لي:  
- حاضر.. هبقى أكلمك من تليفون أحمد أو عمر أو كريم.  
- .....

\*\*\*

- شعر (جلال) بنغزة تضرب جسده مثل تيار كهربائي خفيف.. في البداية ظن أنه يحلم قبل أن يسمع:  
- جلال.  
كان الصوت كأنه يأتي من مكان سحيق.. فتح عينيه بوهن وللحظة أصابه الذعر حين رأى شيئاً يقف فوق رأسه ويستتر بالظلام..  
تحرك هذا الشيء قليلاً، فدخل في دائرة الضوء.. تدريجياً ظهر وجهه.. كان (قريش).. وكان عاقد الحاجبين، جامد الملامح.  
اعتدل (جلال) فوق فراشه في حين قال (قريش) بصوتٍ حاول أن يكون هادئاً لكنه خرج منه حاداً قوياً:  
- مش عوايدك تنام كثير كدا.  
قال (جلال) بصوتٍ مبحوح:  
- لا أبداً.. كنت تعبان شوية.

## غبار الأسواق

رمقه (قريش) بنظرة متشككة لوهلة ثم عاد وابتسم قائلاً:

- ألف سلامة عليك.

غمغم (جلال):

- تسلم.

جلس (قريش) بجواره وأخرج من جيبه حجاباً ملفوفاً في خيطٍ

أسود وقال:

- عندي هدية لك.

ثم ناوله الحجاب واستطرد:

- ده حجاب لجلب الحبيب.. يعني لو في حد بتحبه ونفسك تشوفه،

انفخ في الحجاب ٣ مرات وانطق اسمه، واسم أمه ٣ مرات، وبعدين

حط الحجاب تحت دماغك ونام، هيظهر لك في الحلم وتقدر تكلمه.

أمسك (جلال) الحجاب وتفحصه بين يديه باهتمام ثم شكره قائلاً:

- تسلم إيدك.

نهض (قريش) وربت على كتف (جلال):

- أسيبك دلوقتي لو عاوز تكمل نوم.

أسرع (جلال) يقول وهو ينهض من مكانه:

- لا خلاص.. أنا هنزل السوق أشترى شوية حاجات.

أشار له (قريش):

- كمل نوم.. الدنيا مش هتطير.

ثم توجه نحو باب الخروج، وقبل أن يفتحه التفت لـ (جلال) وقال  
وكأنه قد تذكر أمرًا هامًا لتوه:

- بالمناسبة ناس قالوا لي انك كنت امبارح عند وحيد.

صمت لحظة ليرى وقع كلامه على (جلال) ثم سأله:

- خير.. انت كان في حاجة بينك وبينه؟

هز (جلال) كتفيه وهو يجيب:

- لا أبدًا.. كنت عاوز ازور قبر والدي ومكتش عارف مكانه،

فرحت أسأل عم وحيد.

ردد (قريش) بتعجب:

- عم وحيد؟!!

فسر (جلال):

- عم وحيد.. وحيد.. حسب الكلام ما بيطلع من لساني.

قال (قريش) وهو يعود ليقترب من (جلال):

- تعرف يا جلال إن مفيش حد بيحب حد.

نظر له (جلال) بعدم فهم.. ارتسمت ابتسامة ضبايية حزينة على

وجه (قريش) وهو يقول:

- اسمع مني.. دلوقتي الأب بيقتل ابنه.. متخليش حد يضحك

عليك.. وخط الناس كلها تحت جزمتك.

وتنهد قليلاً ثم عاد يقول:

## غبار الأموات

- أنا عارف انك كنت قلقان لتكون قتلت وحيد.. المرة الجاية لو حصل حاجة زي دي، عاوزك تروح تتأكد انك قتلته.. مش العكس تروح تتطمئن عليه.

أطرق (جلال) برأسه أرضاً وقال:

- لكن أنا مش قاتل.

مد (قريش) يده تحت ذقن (جلال) ورفع وجهه باتجاهه ثم هتف

بحدة:

- الناس كلها هتموت، فيها إيه لو مات بإيدك، أو بإيد غيرك، أو مات لو حده.. النتيجة واحدة بالنسبة له.. لكن مختلفة بالنسبة ليك.. هي حاجة من اتنين، يا إما تكون أو لا.

صمت (جلال) ولم يعقب. كرر (قريش) في عصبية:

- أنا عاوزك تكون خليفتي.. التلميذ اللي هيحمل العلم بتاعي لما أموت.

ثم فتح أزرار قميصه العلوية ونزع سلسلة من حول عنقه.. في نهاية السلسلة ظهر كيس قماش أحمر مصنوع من الحرير.. أكمل قائلاً:

- عارف الكيس ده فيه إيه؟

ودون أن ينتظر رد (جلال) أجاب هو بسرعة:

- ده غبار الأموات.

ثم فتح الكيس، وقربه نحو (جلال) لكي يرى محتواه..

نظر (جلال) بفضول.. رأى كتلاً صغيرة من الغبار المتحجر، رمادية اللون.. ردد:

- غبار الأموات!

اتسعت ابتسامة (قريش) وهو يهتف:

- آه.. لكن مش أموات البشر...

وصمت لبرهة ثم اقترب أكثر من (جلال) وعيناه تتسعان على نحو

عجيب، وهو يضيف:

- أموات عالم الجن.

رنت الجملة في أذنيّ (جلال) كالقنبلة.. اتسعت عيناه.. سرت في

جسده قشعريرة عجيبة.. سأل:

- بيتعمل بيه إيه؟

أعاد (قريش) ربط الكيس في السلسلة، ثم وضعها حول عنقه،

وأخفاها تحت طيات ثيابه، وهو يقول بغموض:

- دي أعظم مادة للسحر.

ووضع يده على كتف (جلال) واستطرد:

- في يوم من الأيام، ولما تستحق كل ثقتي هعرفك ازاي تستخدمها.

ثم أنهى كلامه.. وطلب من (جلال) الذهاب لشراء بعض

المستلزمات الضرورية.. وتركه دون كلمة أخرى زائدة.



## غبار الأسواق

ظل (جلال) في مكانه لفترة يعيد الحوار الذي دار بينه وبين (قريش) داخل عقله.. وبعد مدة ارتدى ملابسه ثم خرج للسوق.. داخل السوق كان سريع الحركة، قليل الكلام مع الباعة.. حين انتهى من عملية الشراء وأوشك أن يترك السوق؛ لمح (رزق) وزوجته (سعاد) يسيران في اتجاهه وهما يحملان أكياسًا كبيرة بها مشترياتهما..

حاول (جلال) التملص منهما، فاستدار بسرعة حتى لا يلحقاه.

- إزيك يا جلال.

قالها (رزق) وهو يمسك (جلال) من كتفه..

التفت (جلال) نحوه، وحاول أن يبتسم وكأنه قد لمح له لتوه:

- عم رزق.. ازيك.

- في نعمة.

قالت (سعاد) وهي تمد يدها لتصافح (جلال):

- عامل إيه؟

- أنا تمام.

قال (رزق):

- مش بتظهر بقالك مدة.

- يعني.. مشغول شوية.

تنهد (رزق):

- مش ناوي تسيبك من قریش .. ده راجل مؤذي، اسمع كلامي، أنا بس اللي عارفه.

حاول (جلال) الابتسام:

- متقلقش يا عم رزق .. المهم انت أخبارك إيه وأخبار بدير؟

- بدير خلاص هنجوزه كمان يومين .. لازم تيجي الفرح.

تهللت أسارير (جلال):

- معقول .. ألف مبروك .. لسه أول مرة اعرف.

غمغمت (سعاد):

- وهو حد بيشوفك عشان يقولك.

نظر لها (رزق) بغضب .. برر (جلال) عدم زيارته لهم بشتى الأعذار

ثم أنهى كلامه:

- سلم لي على بدير.

هتف (رزق):

- لا .. انت تيجي تسلم عليه.

تمتم (جلال):

- أكيد هاجي . مقلتليش، خد بنت مين؟

صاحت (سعاد) بحدة وهي تهز وسطها بحركة مستفزة:

- سناء بنت أختي.

هتف (جلال) بلهجة متفهمة:

## غبار اللموم

- آه.. سناء.. طيب تمام.. مش هيلاقى أحسن منها.  
ابتسمت (سعاد) في جزل وتغيرت نبرتها للأحسن وهي تقول:  
- اوعى متجيش.. هنزعل منك.  
- جاي من غير كلام.  
قال لها (جلال) هذه الجملة، ثم التفت لـ (رزق) ووجه له كلامه:  
- مش محتاج حاجة يا عم رزق.. فلوس.. مساعدة.. أنا ابنك  
برضه.

ربت (رزق) على كتف (جلال) بحنان:  
- حبيبي يا جلال.. صدقني لو احتجت، هطلب منك علطول.  
ثم انتهى اللقاء بجملة وداع تقليديه، بعدها انصرف كل من الطرفين  
في طريقه.. (رزق) سار نحو اليمين.. و(جلال) نحو الشمال.

\*\*\*

نظرت للباب المغلق..  
لليوم الثاني على التوالي أقف أمام باب غرفة الخزين..  
كانت هناك الكثير من الأفكار الخيالية والمرعبة التي تدور في  
رأسي بشأن المرأة الموجودة في الداخل..  
الباب يبدو ضخماً ومهيّباً على عكس المعتاد.. ربما يعود ذلك إلى  
أنني أجلس فوق كرسي متحرك.. أو ربما الخوف.

ألصقت أذني بالباب أحاول التنصت على أي صوت .. سمعت  
صوتاً يشبه عويل الريح في يوم عاصف ..  
دفعت نفسي للوراء قليلاً ..  
ألغيت فكرة الدخول ..  
ذهبت باتجاه المطبخ .. أحتاج أن أتناول شيئاً به سكريات .. أشعر  
بهبوط .  
فتحت الثلاجة وتناولت زجاجة عصير .. تجرعت نصفها دفعة  
واحدة ..  
أغلقت باب الثلاجة وحاولت العودة إلى غرفتي .. ما زال هاجس  
المرأة يطاردني ..  
فكرت ..  
عدت ثانية ألصق أذني بباب غرفة (الخزين) وأستمع لصوت الريح  
في الداخل .. هذه المرة كان الصوت أكثر نعومة .  
تشاجرت مع نفسي قليلاً ..  
أخيراً حسمت أمري ..  
أزحت القفل من فوق الباب وألقيته على الأرض .. دفعت الباب  
بحرص .. أصدرت مفاصلته الصدئة صوتاً معدنيًا حاداً ..  
انبعثت في وجهي رائحة عفونة جعلت معدتي على وشك أن تقفز  
من فمي ..

## غبار اللؤلؤ

تقدمت للداخل في ثبات..  
صوت عجلات الكرسي المتحرك وهي تحتك ببلاط الأرضية  
كانت تصلح لتكون خلفية موسيقية لفيلم رعب..  
مددت يدي فوق الحائط؛ أبحث عن زر المصباح الكهربائي حتى  
عثرت عليه ثم ضغطته.. ارتعش المصباح المعلق في منتصف السقف  
عدة رعشات سريعة متتالية.. ظننت أنه سينطفئ لكنه أضاء الغرفة..  
كان ضوءه هزياً لكنه كان كافياً كي أميز الأشياء..  
شاهدت بقعة من الدماء الجافة مكان جثة (بيومي) بالضبط..  
تجنبت السير فوقها وانحرفت جانباً..  
مزقت في طريقي بعض شبك العنكبوت التي غزت المكان على  
نحو غير طبيعي..  
لمحت خدوشاً محفورة فوق الأرضية.. كانت أقرب لأن تكون آثار  
مخالب حادة..  
لمحت أيضاً شرخاً طويلاً في أحد جدران الغرفة، ويمتد من  
الأرضية حتى يلامس السقف..  
كانت هناك قطرات سائلة حمراء تسيل من الشرخ كأنها دماء تنزف  
من يدٍ مجروحة وتصنع بركة صغيرة أسفل المرأة..  
أحسست بارتفاع دقات قلبي..  
وقفت أمام المرأة حائراً لا أدري ماذا أفعل..

شاهدت ظلالاً متداخلة من اللونين الرمادي والأحمر تتشكل فوق  
سطحها..

تراجعت للخلف وأنا أشهق من الفزع حين تجسد المخلوق الجبار  
أمامي بغتة.. أصدر حواراً مخيفاً.. اقترب مني ثم زمجر.  
نظرت له في ارتياح.. كدت أن أصرخ.. لكن بطريقةٍ ما تجمد  
الصراخ في حلقي..

مد يده العملاقة تجاهي.. كان يقبض على شيءٍ داخل كفه.. فتح  
كفه ببطء.. ظهرت قطعة لامعة.. وبهدوء وضعها في يدي..  
نقلت بصري بينه وبين القطعة.. كانت ماسة صغيرة.. هتفت بذهول:  
- دي ماسة.

لم ينطق المخلوق لكني سمعت صوتاً خشناً يرن داخل عقلي  
ويقول لي: "إنها هدية."  
ابتلعت ريقِي بصعوبة.. قلت في جشع:  
- في كمان؟

الصوت الخشن يخبرني أن هناك الكثير منها لكن في المقابل يطلب  
مني جمع المزيد من الأرواح له.  
تصبب عرق بارد على وجهي حين علمت ذلك.. قلت بتوتر:  
- أرواح.. تقصد اني أجيب لك ناس تقتلهم؟

## غبار الأمل

لم أسمع شيئاً هذه المرة، فقط رأيت المخلوق وهو يضع في يدي  
قطعه ماس ثانية.. ثم ثالثة.. ورابعة..  
أربع ماسات تساوي مبلغاً محترماً من المال مقابل الهالك (بيومي)..  
أدركت الآن سر رغبة (بيومي) في اللوحة.. إنها منجم من الماس  
الخالص.. كنز.. ثراء لا حدود له.  
ليكن..

لا توجد مشكلة.. الكثير من الناس يستحقون الموت.. على الأقل  
سوف يموتون لهدفٍ سام.. هدف جعلني غنياً..  
فجأة انتابني رغبة ملحة في الضحك.. أطلقت ضحكة عالية من  
أعمق أعماق قلبي وأنا أخطو إلى الأمام.. حينها اكتشفت شيئاً هاماً  
أصابني بالصدمة وجعل كل أوصالي ترتعد..  
لقد كنت أمشي على قدمي من جديد.

\*\*\*

## 11

ارتدى (جلال) جلبابًا ثقیلاً مصنوعاً من الصوف الإنجلیزی،  
ووضع عمامة خضراء جميلة مطعمة بخيوطٍ ذهبية اللون، ثم تفحص  
نفسه في المرأة وابتسم لنفسه بخيلاء..

كان في طريقه للذهاب إلى فرح (بدير) لكن (قريش) استوقفه على  
عتبة الباب، وطلب منه أن يأتي معه..

في تلك اللحظة ظهرت صورة (بدير) و(رزق) أمام عيني (جلال)  
فغمغم:

- ضروري النهارده؟.. أنا رايح دلوقتي فرح بدير.

قال (قريش) بصرامة:

- زي ما قلت لك قبل كذا انت هنا حر.. تقدر في أي وقت تمشي.

ثم هبط إلى قبو المنزل دون كلمة أخرى إضافية.

احترار (جلال)..



## غبار اللؤلؤ

وقبل أن يحسم قراره؛ سمع صوت ضجيج في القبو من أسفل،  
ثم خرج (قريش) وهو يحمل جوالاً ضخماً ممتلئاً بالأشياء، وتوجه  
للخارج دون أن يلتفت إليه.. نادى عليه (جلال):

- استنى.

التفت له (قريش) صامتاً وهو ينظر له نظرة حاوية بلا معنى..  
اقترب (جلال) منه وحمل عنه الجوال فوق ظهره وهتف بحسم:

- يلا بينا.

لاح شبح ابتسامة خبيثة على (قريش) حين قال:

- كذا اقدر أقول إنك تلميذي بجد.

خرج الاثنان من المنزل ثم عبرا الطريق الزراعي..

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل والأفق أمامهما مظلم لا

متناهي..

من خلفهما كانت أصوات صراخ الحقل ونقيق الضفادع لا

تنقطع..

على نهاية الطريق كانت هناك عربة (بيجو) بيضاء سبعة راكب في

انتظارهما..

كان يجلس خلف المقود رجل كئيب الملامح ضخمة الجثة، ويدخن بعصبية سيجارة قوية الرائحة، وبجواره يجلس طفل صغير أمهق اللون من الذين يطلق عليهم (أعداء الشمس) (\*).

فتح (قريش) باب السيارة، ثم احتل المقعد الخلفي، وأشار لـ (جلال) أن يجلس بجوار السائق.

وضع (جلال) الجوال فوق أحد المقاعد الفارغة وجلس حيث أشار (قريش).

دون كلمة واحدة طوح السائق سيجارته في الهواء، وأدار محرك السيارة وانتظر لدقيقة واحدة حتى تسخن أجزاء المحرك ثم انطلق.. حاول (جلال) فتح زجاج باب السيارة الذي بجواره لكنه وجدته عالقا..

نظر السائق لـ (جلال) نظرة غريبة وقال باقتضاب:

- الازاز بايظ.

ثم حرك ماسحات الزجاج الأمامي لتمسح ما علق عليه من ندى و بخار ماء ناتج عن أنفاسهم الدافئة..

(\* عدو الشمس: هو شخص يحمل خللاً في الجينات ينتج عنه نقص أو انعدام صبغة الميلانين مما يحدث حالة تسمى المهق، حيث تكون هذه الصبغة مسؤولة عن منح الجلد والشعر والعينين ألوانهم الطبيعية، وبانعدامها يصبح جلد هذا الشخص بلا لون.

## غبار اللؤلؤ

اكتفى (جلال) بمراقبة الأشجار بينما اخترقت السيارة الطريق وعبرت عدة قرى بسرعة حتى وصلت إلى قرية بعيدة لم يزرها (جلال) من قبل.. كانت قرية عادية تفوح منها رائحة الزرع والطين.

توقفت بهم السيارة أمام فيلا كبيرة يحيط بها سور عالٍ ترتفع حرابه في وجه السماء.. شخص السائق ببصره وقال في غضب:

- هوا فين الزفت البواب؟

ثم ضرب (الكلاكس) عدة ضربات متعاقبة حتى كاد يهشمه قبل أن يظهر من بعيد (بواب) أسمر اللون منكوش الشعر، هرع باتجاههم ثم فتح لهم الباب في ارتباك واضح وهو يهتف:

- أهلاً وسهلاً.

أشاح السائق بيده:

- كنت فين؟

أجاب (البواب) بسرعة:

- معلش يا اسطى (منجد).. كنت بقضي طلب ل (ليلي) هانم.

نظر له (منجد) شزرًا، وسار بالسيارة فوق ممر مرصوف من الحصى الأبيض والأسود حتى انتهى أمام باب الفيلا، ثم قال مخاطبًا (قريش) باحترام:

- اتفضل يا سيدنا.

ترجل (قريش) و(جلال) من السيارة بهدوء..

سار (جلال) خلف (قريش) وهو يتأمل الفيلا من الخارج..  
كان يبدو من شكل الفيلا أنها مبنية حديثاً وأن من يقطن بها لهو ذو  
ثراءٍ فاحش.

فتحت لهما الباب خادمة إفريقية ورحبت بهما بلهجة عربية  
متكسرة، قبل أن تظهر من خلفها امرأة في أواخر الثلاثينات، ذات  
جمال متوحش وترتدي عباءة سوداء خليجية خفيفة تظهر تضاريسها  
القاسية.. قال (قريش) بهدوء:

- مساء الخير ليلي هانم.

ردت عليه التحية باقتضابٍ وغرور ثم دعتهما للدخول..  
قادتاهما إلى بهوٍ واسعٍ إضاءته ضعيفة نابعة من (أباجورة) ملونة  
معلقة في السقف.. كانت أرضية البهو مصنوعة من الرخام الملون، وبه  
طقم صالون مذهب تفوح منه رائحة الفخامة.. قالت وهي تجلس فوق  
أحد المقاعد وتضع قدمًا فوق الأخرى:

- منجد قاللي إن شرك باتع وانك أحسن شيخ في الناحية كلها.

ابتسم (قريش) بتواضع ولمعت عيناه في مكرٍ وهو يردد:

- كله بأمر الرب يا هانم.. وإحنا عبيده الموكلين في الأرض.

اعتدلت وهي تقول:

## غبار اللؤلؤ

- تمام.. تمام. بص يا شيخ قريش أنا مكتتش بصدق في الحاجات دي.. لكن من وقت ما رجعت من الخليج و جهزت الفيلا دي وأنا بشوف حاجات غريبة.

سألها (قريش) باهتمام:

- حاجات زي إيه مثلاً؟

ردت في صوتٍ ملؤه الخوف:

- ساعات أشوف راجل مالوش ملامح ماشي وبيختفي بسرعة.. وساعات الأثاث يتحرك من مكانه.. عندك مثلاً الطقم المذهب اللي إحنا قاعدين عليه.. امبارح الكنبه الكبيره بتاعته لقيتها بعيد عن مكانها أكثر من ثلاثه متر.

عاد (قريش) يسألها:

- بدأت معاكي ازاي.. أول مره؟

أجابت وهي تحاول أن تتذكر:

- اممم.. أول مره كنت نايمة وتقريباً الساعة كانت حوالي واحده بالليل وسمعت صوت خبط على باب أوضتي.. أنا عايشه لو حدي وليك انك تتخيل اتفرعت قد ايه.

شرد (قريش) ببصره ثم قال بغموض:

- كان جاي يخبط عليك.

بدأ الانفعال في عين (ليلي) وامتقع وجهها وهي تهتف بدعر:

- هو مين يا شيخ قريش؟

شد (قريش) قامته وهو يرد:

- هنعرف دلوقتي.. المهم إوعي تكوني فتحتي أو سمحتي له

بالدخول.

حركت يديها تنفي:

- لا طبعًا.. محصلش.

كان (جلال) يتابع هذا الحوار في اهتمام وترقبٍ شديدين.

طلب (قريش) من (ليلي) أن تصرف جميع الموجودين في الفيلا..

وبالفعل ذهبت وصرفت (البواب) والخادمة الإفريقية..

وبعد أن فعلت طلب منها أن تحضر له إناءً نحاسيًا كبيرًا، ثم أمر

(جلال) أن يذهب ويحضر الطفل الأمهق من السيارة..

ذهب (جلال) وعاد بالطفل في نفس الوقت الذي أحضرت فيه

(ليلي) هانم الإناء النحاسي..

ملاً (قريش) الإناء بالماء حتى منتصفه وأخرج ورقة وكتب فوقها

بقلم أحمر اللون مثل الدم الكلام التالي:

(مهراقش ٢، أقشا مقش ٢، ملقشا ٢، بعلشاقش ٢، شقمونهبش ٢.)

ثم أحضر مقصًا وقص به خصلة من شعر (ليلي) هانم، والتي نظرت

له مفزوعة..

## فبار اللؤلؤ

وضع الخصلة داخل الورقة، ثم لفها على هيئة أسطوانة، ووضعها داخل الماء بحذر شديد..

أخرج شمعة كبيرة لها رائحة غريبة لكنها قوية ونافاذة..

أشعل الشمعة، وطلب من الطفل أن يقف وسط إناء الماء..

بلا نقاش وقف الطفل كأنه اعتاد على فعل هذا كثيرًا.

كتب (قريش) على جبين الطفل:

(ركشار ٢، ركشالخ ٢، هوش ٢، نوش ٢، مارش ٢.)

بعدها راح يردد بصوت جهوري:

- توكلوا يا خدام هذه الأسماء وأجيبوا.. توكلوا يا خدام هذه

الأسماء وأجيبوا.

سمع (جلال) أنين أشخاص معذبين يأتي من مكان مجهول، قبل

أن تهب عليهم ريح باردة غاصت على إثرها (ليلي) داخل مقعدها وهي

ترتعش.

الشمعة انطفأت فجأة كأن أحدًا نفخ فيها.. الطفل تجمد في مكانه

بينما غزت سحابة سوداء بياض عينيه وجعلتهما مرعبتين.. المياه التي

في الإناء تلونت هي أيضًا واسودت ثم خرج منها دخان رمادي.. قال

(قريش) مخاطبًا الطفل:

- قول لينا انت شايف إيه؟

- حرك الطفل رأسه ونظر في الماء الأسود وبدأ يتكلم.. لكن صوته لم يكن صوت طفل أبدًا.. كان صوت غليظ ومرعب.. قال:
- أنا شايف قدامي كيان اسود.
  - اوصف لي شكله.
- قال الطفل بنفس الصوت المخيف:
- اسود وله قرون طويلة.
- سأله (قريش):
- عاوز إيه من أهل المكان؟
  - هو حاقد.. حاقد على اللي عايشين هنا.
- قالها الطفل ثم تشنج فمه وتوقف الكلام في حلقه.. صاح فيه (قريش):
- شايف حاجة تانية؟
- فجأة سمعوا جميعًا ضحكة خبيثة ثم أصوات ركض قوية..
- صرخ (قريش) في (جلال) و(ليلي) هانم:
- محدش يبص وراه.. كله يبص عليا عشان متأذوش.
- وأخرج ورقة أخرى، وكتب فيها طلسمًا جديدًا، ثم ألقاه في الماء، وهو يردد بسرعة:
- بحق هذه الأسماء، جاءت الجن من القبور، وزعقت الشياطين بالحضور.



## غبار اللؤلؤ

وكررها عدة مرات، حتى توقفت أصوات الركض والضحك  
الخبِيث، ثم سأل الطفل:  
- شايف إيه تاني؟  
رفع الطفل وجهه ناحيتهم، فتغيرت بشرته، وبدأت خيوط سوداء  
مثل شباك العنكبوت تغزو وجهه، وهو يقول:  
- عفريت.. أنا شايف عفريت.

\*\*\*

عند غروب شمس النهار؛ قررت أن الوقت قد حان لكي أبيع  
الماس..  
أعتقد أن الصائغ (فؤاد) الذي التقيته سابقاً في المستشفى من  
الممكن أن يكون ذو فائدة..  
لم أكن أعرف عنوان مسكنه تحديداً لكنني أذكر أنه يملك محلاً في  
شارع (الصاغة)..  
اتصلت على (عبده) حتى يأتي ليقلني، وارتديت أفضل ملابس  
عندي لكي أبدو بالشكل اللائق ووضعت عطراً جيداً ثم خرجت..  
كان الهواء يحمل لفحة من البرد بالإضافة إلى نسمة عابرة جميلة..  
انتظرت في الشارع حتى جاء (عبده).. أصابته الدهشة حينما رأني  
أقف على قدمي.. فسرت له الأمر أنني أجريت جراحة ناجحة.. كان  
من الغباء بحيث صدق..

أخبرني أن هذه التوصيلة لن يتقاضى عنها مقابلًا وأنها هدية منه لي..

طوال الطريق استمر في تشغيل أغاني المهرجانات والرقص عليها.. هذا الغبي يبدو سعيدًا على نحوٍ مبالغ فيه.. أوقفني أمام مدخل شارع (الصاغة).. شكرته ووعدته أنني سوف أمر عليه فيما بعد لكي نجلس سويًا وأهزمه عشرة (دومينو). على مدخل شارع (الصاغة) كان هناك بعض الشباب يحاولون جذب الزبائن للمحلات.. التف حولي بعضهم لكنني تجاوزتهم بسرعة وبصعوبة.

تجولت بين المحلات حتى وصلت إلى محل (فؤاد).. كان المحل صغيرًا ويكاد يختفي بين واجهات المحلات الأخرى المبهرة.

دفعت الباب الزجاجي للمحل فاستقبلني هواء المكيف في وجهي..

لمحت (فؤاد) يجلس أمام راديو عتيق تخرج منه موسيقى خافتة مملة، وبين يديه كتاب سميك يقرأه بتركيزٍ شديد، وبجواره منفضة سجائر امتلأت بالأعقاب المحترقة..

انتبه لدخولي..

## غبار الأسوار

رفع وجهه عن الكتاب، ولم يكد يلمحني حتى ضيق ما بين عينيه قليلاً كأنه ينظر إلى شبح من الماضي، ومحاولاً تذكر أين رأني من قبل.. وأخيراً رفع سبابته نحوي بظفر، وكأنه قد أصاب الهدف، ثم قال بصوتٍ متهدج:

- إيهاب.

صافحته بحرارة:

- فؤاد.

هتف بمرح وهو يشير لي بالجلوس:

- انت متغيرتش.

غصت داخل أقرب مقعد في واجهته، واضعاً ساقاً فوق الأخرى حين قلت مبتسماً:

- وانت عجزت أكثر.

ضحك للحظة قبل أن يقول بتعجب وهو يشير إلى قدمي:

- انت بتمشي!

ابتسمت مرة أخرى:

- سافرت لألمانيا.. الطب هناك متطور قوي عن هنا.

فتح ثلاجة صغيرة وأخرج منها زجاجة عصير صب نصفها في كوب

زجاجي شفاف حتى امتلأ ثم قدمه لي قائلاً في ودّ شديد:

- اتفضل.

انتظر حتى رشفت رشفة منه، وقال بلهجة العالم ببواطن الأمور:  
- حقيقي.. الألمان ملهمش حل في الطب.. ده حتى لعبة الكورة  
بيروحوها هناك لما يتصابوا.

نحيت العصير جانبًا وأنا أقول:  
- ناس نضيفة وعيشة نضيفة وأكل نضيف.  
ضحك:

- كلفتك كثير؟  
ضربت على ساقِي وقلت:  
- مش مهم الفلوس.. المهم دول.  
هز رأسه:

- صحيح.. الصحة نعمة.  
ثم صمت لبرهة وقال:  
- مبتشوفش عبده توصيل؟  
ضحكت:

- بشوفه كل يوم.  
قال بلهفة:

- وأخباره إيه ابن الهرمة ده؟  
أخذت رشفة من العصير وقلت:  
- اشترى عربية ملاكي وعاملها ليموزين.. ده عفريت.

## غبار الاموال

ضحك:

- لسه برضه شقي؟

قلت:

- لا.. خلاص ربنا هداه بعد ما اتجوز.

سحب سيجارة ووضعتها بين شفثيه ثم أخرج قداحة ضخمة ذهبية

اللون وأشعلها.. قال:

- خلف ولا لسه؟

تنهدت وأنا أجيبه:

- لا لسه.. ضيع كل فلوسه على الدكاترة.. شوية يعمل تلقيح

صناعي.. شوية أطفال أنابيب وكله بيفشل.. وفي الآخر طلق مراته

وعايش مع نفسه.

غمغم (فؤاد):

- طول عمر الواد ده غلبان.. لسان على الفاضي.

أومات برأسي ثم سألته:

- وانت عامل إيه دلوقتي.. وبتك أخبارها إيه؟

سحب نفساً طويلاً من السيجارة ونفخ دخانها في الفراغ المقابل

لي، ثم قطب جبينه.. قال بحزن:

- مقطعاني.

سألته باستغراب:

- ليه؟

تنهد بضيق:

- جوزها ابن الصرمة هو السبب.

وانتظرت منه أن يسهب في الكلام لكنه أنهى الموضوع قائلاً:

- سيك من ده.. مش عاوز احكي فيه.. المهم انك نورتني..

والمصحف النهاردة أنا زارني نبي.

أقيت نظرة خاطفة على المشغولات الذهبية الموجودة في (فترينة)

العرض حين قلت:

- حبيبي يا فؤاد والنعمة.

لاحظ نظرتي.. قال وهو يشير إلى (الفترينة):

- عاجبك حاجة.. عندي حاجات شغلها عالي قوي.

ابتسمت:

- كله جميل.

ثم اقتربت برأسي منه، وأكملت بصوتٍ خافتٍ قليلاً:

- لكن أنا مش جاي اشترى.. أنا جاي أبيع.

وأخرجت له الماسات الأربع ووضعتها أمامه فوق المكتب.

نظر إليهم باهتمام شديد ولم يلمسهم بينما سألته:

- يسوا كام دول؟

## فبار اللامولك

أخرج عدسة مكبرة من درج مكتبه وتفحصهم قطعة قطعة، وبدقةٍ شديدة..

تابعت انفعالات وجهه.. لم أشأ مقاطعته واكتفيت بمراقبة رد فعله..  
بعد أن انتهى؛ رفع وجهه نحوي وقد تغير لونه.. قال:

- جبتهم منين؟

نظرت في عينيه بتركيز.. قلت:

- ورثتهم.

نظر لي بشك ثم ابتسم. تمتت قائلاً:

- المهم تعرف تصرفهم؟

أخذ نفساً عميقاً وقال بثقة:

- أصرف أبوهم.

قلت بارتياح:

- طيب تمام.. يعملوا كام في نظرك؟

وضع عقب السيارة التي انتهت في المنفضة، ثم أخرج سيجارة

أخرى من العلبة وأشعلها وهو يقول:

- بص الماس تقيل في البيع.. ويعمل كثير.. بس عشان اصرفه

هحتاج وقت.

هتفت:

- اعمل الصبح.

قال مبتسماً وقد زادت تعاريج وجهه:  
- تمام.. هتسبهم معايا أسبوع وترجع تعدي عليا.  
صافحته وأنا أنهض:  
- اتفقنا.. زي النهارده كمان أسبوع هعدي عليك.  
أوقفني:  
- استنى بس.  
ثم فتح درج مكتبه وأخرج منه رزمة نقود قدمها لي وهو يستطرد:  
- دول ٥٠ ألف خليهم معاك ربط كلام.  
ابتسمت وأنا أتلقف النقود بشوق:  
- حبيبي.

\*\*\*

نبض قلب (جلال) بسرعة بالغة حتى كاد أن يهشم أضلع صدره  
عندما قال الطفل كلمة (عفريت) بينما ظل (قريش) على برود أعصابه،  
في حين انكشيت (ليلي) هانم على نفسها أكثر وأكثر..  
ساد سكون عجيب وتوقف كل شيء مثل لقطة تصوير سينمائية..  
فجأة دقت ساعة الحائط معلنة الثانية صباحاً وحطمت هذا  
السكون..

تكلمت (ليلي) هانم بصعوبة وخرج منها الكلام متقطعاً:



- إيه موضوع العفريت ده؟

تطلع لها (قريش) ولم يرد.. مسح بيده على وجه الطفل ثم أخرج ورقة أخرى وكتب فوقها بعض الطلاسم قبل أن يطوحها في الماء..  
انتظر الجميع حتى يتكلم الطفل مرة أخرى.. لكن لم يحدث..  
وببطء رفع الطفل إحدى ساقيه ثم أخرجها من الماء وخطى خارج الإناء.. سار داخل البهو بخطواتٍ متعرجة.. كان لوقع خطواته رنين مهيب.. قطرات الماء كانت تتكاثف خلفه وتتبخر في الهواء بسرعة..  
وقف الطفل أمام باب (البدروم) ثم ترنح للأمام والخلف..  
أسرع (قريش) يفتح له الباب وسط ترقب (جلال) و(ليلي) هانم..  
هبط الطفل سلالم (البدروم) الملتوية ثم اختفى داخله..  
تبادلت (ليلي) هانم النظر بين (جلال) و(قريش) أشار هذا الأخير لها بأن تتبعه هي و(جلال) ثم هبط خلف الطفل..  
أمسكت (ليلي) هانم يد (جلال) بحركةٍ لا إرادية وهي تهبط معه سلالم (البدروم).. شعر (جلال) بيدها وهي تعتصر يده.. التفت لها وحاول أن يتسم في وجهها لكي تطمئن لكنه عجز عن الابتسام، وبالتالي عن طمأننتها.

في الأسفل كان الظلام يتلغ كل شيء..

مدت (ليلي) هانم يدها وضغطت زر المصباح الكهربائي .. اللون الأصفر الشاحب بدد جزءاً كبيراً من ظلام (البدروم) لكنه ترك بعض الأجزاء مخفية ..

كان الطفل قد توقف فوق بقعة سوداء تشبه بقع الحريق ..

أمر (قريش) (جلال) بأن يحفر مكان وقوف الطفل ..

لم يناقش (جلال) وتناول (جاروفاً) صغيراً وبدأ في الحفر ..

كانت أرضية (البدروم) من الطين والرمل ومع أول (جاروف)

يخرج بالطين؛ اشتم الجميع رائحة كريهة بشعة ..

سدت (ليلي) هانم فتحتي أنفها بمنديل معطر وألقت سبة بذئئة لا

تناسب مع مظهرها الراقى ..

استمر (جلال) في الحفر وبمرور الوقت كانت الرائحة الكريهة

تزداد ..

كانت هناك أيضاً مادة سوداء لزجة تخرج مع الحفر .. كانت أشبه

بزيت تم حرقه عدة مرات .

بعد مدة اصطدم (الجاروف) بشيءٍ صلب فتوقف (جلال) عن

الحفر، ومد يده يزيح التراب من فوق هذا الشيء ..

سرت في جسده رجفة عنيفة حين عثر على جمجمة إنسان ميت ..

في منتصف الجمجمة كان يوجد خنجر مغروز حتى مقبضه ..

رفع (جلال) وجهه الذي امتلأ عرقاً ورعباً، ثم هتف في دعر:

\*\*\*

غادرت (فؤاد) وأنا أشعر بنهر من الحياة يهدر داخل عروقي ..  
تحسست النقود في جيبى .. كانت دافئة .  
نظرت في الساعة .. ما زال الوقت مبكراً للعودة إلى المنزل ..  
في الحقيقة أريد أن أتجول وأسير في الشوارع إلى ما لا نهاية ..  
على مدار أعوام مضت كنت خارج الحياة وها أنا قد عدت من  
جديد ولا أريد أن أتوقف أبداً .  
بعد وقت من التجوال؛ شعرت بالبرد خاصة أن الوقت قد اقترب  
من منتصف الليل ..

رغم ذلك كانت الشوارع لا تزال مزدحمة ..  
ضمنت ياقة معطفي بإحكام، ثم مررت على شارع المعز ومنه  
عرجت على خان الخليلي حيث طوفان من البشر يبدأ أو ينهي رحلته  
المذهلة بين آثار القاهرة القديمة وآل البيت ومسجد الحسين .  
شعرت بغبطة وأنا أتجول بين الحوانيت الضيقة والمتلاصقة في  
شكل حميمي .. أصغي لدقات الأزاميل وهي تعمل في (صواني)  
النحاس، أشم رائحة البخور والعطور، أرى (المشربيات) أسمع  
أصوات باعة (العرقسوس والعناب). يا إلهي كم افتقدت كل ذلك .

وصلت إلى مقهى عتيق يكتظ بالعرب والأجانب.. ألقيت نظرة خاطفة على الجالسين ثم انتقيت مكاناً منفرداً وجلست..  
جاءني (القهوجي) مبتسماً.. كان شاباً أسمر اللون في مقتبل العمر لهجته صعيدية خفيفة.. تبادلنا معه الحديث قليلاً ثم طلبت منه فنجان قهوة وانتظرت..

دقائق وعاد وهو يحمل (صينية) براقه ثم وضع أمامي فنجان القهوة وزجاجة مياه معدنية صغيرة وانصرف..  
سمعت من يقول:

- صدقة عن صحتك وعافيتك يا أستاذ.

التفت نحو مصدر الصوت، فرأيت رجلاً عجوزاً مطأطئ الرأس بدا لي أنه تجاوز الستين ربما بعامين أو ثلاثة.. كان يرتدي قميصاً وبنطالاً عفا عليهما الزمن، شعره أو ما بقي من شعره خفيف وناعم وكانت توجد بقعة سوداء على جبهته من التي يطلق عليها (علامة الصلاة).  
شعرت لوهلة بالشفقة عليه.. أظن أنه ممن جار عليهم الزمن.. ملامحه لا تدل أنه شحاذ عتيق.. ربما كان موظفاً أو عاملاً في يوم من الأيام.

مددت يدي حيث الرزمة التي أعطاها لي (فؤاد) وسحبت منها ورقة فئة خمسين جنيهاً ثم ناولتها إياه..  
تلقناها بين يديه وكاد يرقص معها فرحاً..

## غبار اللؤلؤ

ابتسمت وأشرت له بأن يجلس معي ..  
لمعت عيناه ثم ابتسم ابتسامة عريضة أظهرت صفين من الأسنان  
الصفراء المنخورة بفعل التدخين ..

جلس على المقعد الملاصق لي .. سألته:

- اسمك إيه يا حج؟

قال بصوتٍ ضعيف:

- عبد الرحمن.

- تشرب حاجة يا عم عبد الرحمن؟

رد بزهد:

- اللي تشوفه يا أستاذ.

ناديت على (القهوجي) وطلبت له سحلبًا بالمكسرات ..

تركته يرشف بضع رشقات من المشروب الأبيض، وتابعت ارتجافة  
يده باهتمام ..

تجاذبت معه أطراف الحديث ..

أخبرني أنه كان يعمل في محل عطارة شهير قبل أن يموت صاحب  
المحل ويقوم الورثة ببيع المحل ليصبح بعدها عاطلاً عن العمل .. كان  
هذا منذ أربع سنوات تقريباً.

دعوته لكي يتناول معي الطعام .. لم يعترض ووافق على الفور ..

دفعت حساب المشروبات ثم ذهبنا سوياً ..

دخلنا إلى مطعم شعبي شهير، تفوح منه رائحة الشواء، ويكتظ بالزبائن وبأطباق الكباب والكفتة..

جلسنا على مائدة فرغت لتوها من الزبائن وما زال عليها الأطباق وبقايا طعام..

جاءنا نادل متعجل أكثر من اللازم ويرتدي (يونيفورم) يحمل شعار واسم المحل، جمع الأطباق، ثم نظف سطح المائدة بقطعة قماش مبللة..

طلبت منه وجبتين من الحساء ولحم الرأس والكفتة..  
انصرف مسرعاً بعدها بدقائق تظاهرت بإجراء مكالمات هاتفية وأنهيتها بسرعة وضيق..

التفت إلى (عبد الرحمن) وأنا أرسم ملامح الأسف على وجهي قائلاً:

- معلى مضطر ارجع البيت.. إيه رأيك تيجي معايا ناكل هناك، وبالمرّة تعرف عنوان بيتي، بحيث لو احتجت حاجة بعد كذا تيجي تطلبها مني.

لم يمانع (عبد الرحمن)..

وبالفعل قمت بحمل الطعام معنا وتوجهنا إلى منزلي..  
أثناء الطريق لم أعرف فيم كان يفكر.. أعتقد أنه كان يسير فقط وراء معدته..

## غبار الامور

داخل المنزل فتحت علب الطعام وجلسنا نأكل في صمت..  
كنت أضع اللقيمات في فمي بصعوبة بينما هو يأكل في نهمٍ  
واستمتاع حقيقي..

شربت الكثير من الماء لأتمكن من البلع.. لاحظ ذلك.. قال وهو  
يلقي قطعة لحم في فمه:

- مالك يا أستاذ إيهاب؟

ابتسمت بصعوبة:

- مفيش.. موضوع كدا شاغل بالي.

- متحملش هم حاجة.. انت ابن حلال وربنا هيكرمك.. أنا بدعي

ليك في سري.

- ادعي لي بإخلاص يا عم عبد الرحمن.

قال وهو يرفع كلتا يديه إلى السماء:

- روح يا بني.. إلهي ربنا يحقق مرادك.

تمت:

- آمين يا رب.. حاسس إن دعوتك هتتحقق قريب.

غمغم وهو يمسح جزءاً من بقايا الأكل الذي التصق بفمه:

- أنا مفيش حد دعت له إلا وربنا استجاب.

قلت:

- ادعي لي تاني وحياة ولادك.

رفع مرة أخرى يده إلى السماء:  
- ربنا يحقق لك كل اللي نفسك فيه ويريح بالك.  
أغمضت عيني بارتياح:  
- يا سلام حاسس ان دعوتك استجابت.  
ثم انتظرت حتى أنهى طعامه وأشارت له إلى غرفة (الخزين) قائلاً:  
- الحمام هناك لو عاوز تغسل إيدك.  
شكرني بإحراج قبل أن ينهض بخطواتٍ ثقيلة بطيئة..  
تابعته وهو يفتح باب غرفة (الخزين) ويقول:  
- في ريحة غريبة قوي هنا!  
انتظرت حتى خطأ خطوة للداخل، ثم هرعت وأغلقت الباب  
خلفه.. سمعت صوته يقول بدهشةٍ ممتزجة بالفرع:  
- في إيه يا أستاذ إيهاب؟  
لحظة ثم سمعته يصرخ في رعب:  
- افتح الباب.. افتح الباب.  
تسارع نبضي..  
كان جزء مني يرغب في أن أفتح له.. الجزء الآخر منعني.. وبشدة.  
وضعت جسدي خلف الباب وأمسكت المقبض بإحكام حتى أمنعه  
من الخروج..  
كان الباب من ورائي يرتعش وكنت أرتجف..



## غبار اللؤلؤ

توقف صراخ (عبد الرحمن) فجأة.. كادت أنفاسي أن تتوقف أيضًا،  
وأنا أسمع صوت تقطيع لحم وتهشيم عظام..  
هرعت باتجاه غرفتي وأنا أكاد لا أبصر أمامي.. اصطدمت بالأثاث  
وتعرقلت مرتين، قبل أن أصل للغرفة وأغلق بابها خلفي بإحكام..  
ألقيت نفسي على الأرض..  
ضممت ساقِي إلى صدري ثم احتضنتهما، وبكيت.

\*\*\*

أمر (قريش) (جلال) بأن يخرج الجثة..  
كتم (جلال) أنفاسه وبدأ في إخراج الميت من تحت التراب.. كان  
الموضوع شاقًا ومقززًا في آنٍ واحد..  
شعر (جلال) أن هناك حشرات كثيرة تزحف فوق جسده ثم تخترق  
جلده وتأكل في لحمه..  
بعد وقت ليس بالطويل انتهى، ووضع الجثة تحت قدمي (قريش).  
قال (قريش) مخاطبًا (ليلي) وهو يشير إلى الجثة:  
- الفيلا اتبنت على جثة واحد اتقتل واندفن هنا من زمان.  
حدقت (ليلي) في الجثة وهي تشعر أن ساقها لم تعد قادرة على  
حملها وهتفت:  
- أنا مكتتش اعرف. إيه العمل يا شيخ؟  
رد (قريش):

- اللي بيظهر ليكي ده قرين الميت (\*).

ثم اقترب منها وقال:

- لازم ناخذ الجثة ونحرقها.

قالت في توسل:

- خدها.. أبوس إيدك خلصني منها.

التفت (قريش) إلى (جلال) وأمره بأن يحرق الجثة في الحال، ثم

عاد والتفت إلى (ليلي) وتفحص جسدها شبراً شبراً وقال بلهجة ذات

مغزى:

- وهحتاج اني ارقيك.

قالت بخنوع:

- أنا تحت أمرك.

ابتسم (قريش) في جزل ودون كلمة أخرى صعد بها إلى غرفة

نومها.

سكب (جلال) بنزيناً فوق الجثة وتأكد أنها تشبعت به تماماً، ثم

أشعل عود كبريت، ورفعهُ أمام عينيه للحظات يتأمل شرارته الوليدة.

(\*) القرين: نوع من أنواع الجن يلزم الإنسان طوال حياته وبعد مماته، وأحياناً يتلبس على

هيئة البشر

## غبار الأسوار

مرر (قريش) يده فوق شعر (ليلى) ثم لثم عنقها بقبلةٍ طويلة، وطلب منها أن تخلع ملابسها.. استجابت له وفكت أزرار فستانها ببطء، ثم نزعت عنها قميص النوم.

ألقى (جلال) عود الكبريت المشتعل فوق الجثة وابتعد للخلف عدة خطوات حين اندلعت فيها النيران، وصنعت منها قطعة قبيحة تشبه الجحيم.

راقب (قريش) (ليلى) وهي تتعري أمامه مثل قطعة فنية جميلة يكشف عنها الستار لأول مرة قبل أن تترك له نفسها على السرير، وتنظر لسقف الحجرة نظرة ضائعة مسلوبة الإرادة..

تحسسها (قريش) كثيرًا بلهفةٍ وجوع.. وبذقنه الطويل راح يعبث بين زوايا جسدها المرمرى دون تفكير، أو حدود.

انتظر (جلال) حتى انطفأت النيران تمامًا، وتركت خلفها كمية من الرماد والعظم الأسود، ثم جمع أشياءه وغادر مسرعًا.

لهث (قريش) من النشوة أخيرًا، في حين أغمضت (ليلى) عينيها لتريح جسدها المنهك بينما صدرها يخفق بقوة.. ويخفق.

\*\*\*

# ١٢

انتظرت يوماً ثم دخلت غرفة (الخزين)..  
عثرت على ماسة كبيرة قابعة في انتظاري بجوار المرأة..  
نظفت الماسة من الدماء العالقة بها ثم وضعتها في جيبى..  
لاحظت أن الغرفة أصبحت تمتلئ ببقع الدماء الجافة، والتي  
التصقت بالأرض وعلقت فوق الجدران..  
فكرت أن أمسحها لكنني خفت.  
خرجت من الغرفة وقمت بوضع أقفال جديدة فوق بابها وأغلقتها  
بإحكام.  
ذهبت إلى (فؤاد) وحصلت منه على ثمن الماس، ووعدته بأن أقوم  
بزيارة أخرى له.. صحيح أن المبلغ كان كبيراً لكنه لا يساوي سوى  
نصف الثمن الفعلي..  
لكن لا بأس..

## غبار اللؤلؤ

(فؤاد) رجل ذو دهاء وابن سوق بالمعنى الدارج، ويعلم أن الماس ملوث وغير نظيف..

لم أشأ أن أعطيه ما حصلت عليه نظير (عبد الرحمن).. ليس طمعاً في زيادة لكن أعتقد أن التريث والتصرف بحكمة أفضل..

اليوم التالي انتظرت وصول (هبة).. لم أشأ أن أخبرها بأنني عدت للسير مجدداً.. فضلت أن أصنع لها مفاجأة.. وبالفعل (هبة) ارتجفت من الدهشة والفرح حين رأته أقف على قدمي.. كادت أنفاسها تنقطع، ولم تقوَ على أن تمسك نفسها، فصاحت بأعلى صوتها:

- انت ماشي على رجلك!

رفعت يدي إلى السماء وقلت بثقة:

- العلاج جه من عند ربنا.

عادت تقول بذهولٍ وعدم تصديق:

- بس ازاي؟!!

قلت:

- حد يقول لربنا ازاي.. ربنا أمره بين الكاف والنون.. كن فيكون.

نظرت لقدمي من جديد في سعادة:

- نحمده.

تمت وراءها:

- يستاهل الحمد.

ثم أشرت إلى غرفتها وأردفت:  
- خشي اوضتك دلوقتي.. استريحي وبالليل هاخذك ونزل نشترى  
ليكي كام فستان جديد.

صرخت في فرح وقفزت فوقي:  
- ايوه كدا يا أبو هبة.

هتفت وأنا أحاول ألا أسقطها:  
- بالراحة.

في المساء خرجنا سوياً واشترت لها كل شيء كانت تتمناه أو تحلم به.  
صباح اليوم التالي؛ ذهبت إلى (الأسطى فراج) الميكانيكي..  
(فراج) صار الآن يملك معرض سيارات كبير وأصبح الناس ينادونه  
(فراج) باشا..

لا أحد يعلم كيف حصل على النقود اللازمة لذلك.. بالنسبة لي  
كنت أعلم أنه كان يتاجر في قطع غيار السيارات المسروقة حين كان  
يعمل ميكانيكي.

استقبلني على باب المعرض بحفاوة وهو يرتدي بذلة كحلية باهظة  
الثلثن..

تجاذبنا أطراف الحديث ثم اشترت من عنده سيارة نصف عمر..  
لا أحب السيارات الجديدة، ولم أكن أرغب في جذب الانتباه تلك  
الأيام على الأقل..

## غبار اللؤلؤ

كانت السيارة يابانية الصنع متوسطة الحجم، لكنها متوازنة وقوية على الطريق. كانت خضراء اللون.. صحيح أنني أكره هذا اللون لكنني ظننت أن (هبة) سوف تكون سعيدة به.. تحب دائماً اللون الأخضر.. أو ربما تحب غيره.. في الحقيقة أنا لست متأكداً.

كان رد فعل (هبة) عند رؤية السيارة؛ بركاناً من الفرحة..

اصطحبتها لقضاء يومين في شرم الشيخ لترى البحر..

بعد قيادة على الطريق لمدة ست ساعات متواصلة؛ وصلنا إلى

الفندق الذي قمت بالحجز فيه..

كان الفندق وردي اللون ومن ورائه البحر أزرق يشع حيوية وبهجة..

داخل الفندق كان يتم معاملتنا كسائحين أجانب.. أعجبني ذلك

كثيراً.

كان عمال الفندق يرتدون زياً موحداً برتقالي اللون وله أزرار ذهبية

اللون تشير البهجة..

كانت (هبة) تتحرك كثيراً وتختلط بالنزلاء وتعطي جواً من المرح

الجميل..

أسعدني ذلك.

خشيت عليها من شاب أوروبي أبيض البشرة كالحليب ويضحك

مثل الفتيات.. رأيتها تتحدث معه باستخدام إنجليزيتها المتكسرة..

خشيت أيضاً أن أنهرها أمام الناس وتركت ذلك إلى حين أصبحنا بمفردنا.

ذهبنا فيما بعد إلى البحر.. كنت أعلم أنها تخشى الأمواج وضجيجها..

حاولت تشجيعها..

سحبته من يدها وسرنا في الماء..

حين وصلت المياه إلى فوق الركبة؛ وجدتها تشبث بي..

تدريجياً جاءت الجرأة..

تركتني وبدأت تسير بمفردها..

ابتسمت وأنا أراقبها.. رقيقة هي مثل فراشة صغيرة..

كانت سعيدة..

وكنت أنا كذلك.

ثم عدنا للمنزل بعدما قضينا وقتاً من أفضل أوقاتنا..

نامت (هبة) وعلى وجهها ابتسامة ولأول مرة منذ سنوات.

دخلت إلى غرفتي وأطفأت الأنوار وقبعت منغمساً في الظلام..

كان النوم يجافيني منذ أيام بسبب تلك الأصوات المذعورة التي في

عقلي. حاولت أن أتجاوز معها.. أجادلها.

لأوقات كنت أظن أنني أسير على درب الجنون بخطى ثابتة.

تحسست الماسة التي أخفيها تحت وسادتي..



## غبار الامور

غفوت لدقائق ثم فتحت عينيّ ..  
لحظة أصغيت السمع ..  
كانت هناك حركة تأتي من غرفة (هبة) .. هل تكون قد استيقظت؟!  
أصغيت مرة أخرى ..  
هذه المرة سمعت صوت (هبة) وهي تتحدث إلى أحد ..  
ثوانٍ، ثم سمعت صرختها ..  
قفزت من مكاني وقد ارتفعت دقات قلبي فجأة.  
ناديت عليها:  
- هبة.  
لم ترد ..  
وصلت إلى غرفتها .. كان بابها مغلقاً وهناك ضوء أصفر يأتي شاحباً  
من تحت الباب ..  
دفعت الباب بكتفي فحطمته وأنا أنادي من جديد:  
- هبة.  
وجدتها تجلس على الأرض وهي ترتجف كريشةً في مهب الريح،  
وتضم يديها وقدميها إلى صدرها ..  
نظرت نحوي بطرف عينيها .. أرى الذعر فيهما ..  
سألتها بجزع وأنا أضع يديّ على كتفيها وأضمها إلى صدري:  
- مالك؟

أشارت بيدٍ ترتعش إلى دولابٍ ملابسها..  
بتلقائيةٍ نظرت إليه.. كانت إحدى أبوابه نصف مفتوحة لكن لا  
يوجد شيء غير طبيعي أو مخيف.. قالت بصوتٍ مبحوح:  
- في حاجة واقفة جوه الدولاب وبتكلمني.  
حاولت أن أطمئنها وأنا أقترّب من الدولاب:  
- أكيد كنتي بتحلمي.  
ثم نظرت داخل الدولاب، وفتحت أبوابه على مصاريعها وأنا  
أستطرد:  
- حتى شوفي ال...  
بترت كلماتي..  
رأيت أمامي (هبة) أخرى تقف داخل الدولاب.. كانت ترتعش  
وأشارت خلفي وهي تقول بدعٍ هائل:  
- في حاجة مكاني هناك.  
التفت إلى حيث أشارت بسرعة، وقد احترق كل الدم الذي في  
جسدي من الرعب.. كانت (هبة) أو الشيء الموجود مكانها يتسم  
ابتسامة خبيثة..  
فجأة.. قفز وجرى على أطرافه الأربعة وهو يصدر خوارًا غريبًا، ثم  
اختفى وتلاشى داخل ظلام الغرفة.

\*\*\*

## غبار الأسوار

راقب (جلال) جثة القتيل والنيران تزحف فوقها وتلتهمها بجوعٍ حتى أنهت عليها وتركت مكانها كومة من الرماد والعظم الأسود. جمع تلك البقايا داخل جوالٍ صغير وربط عقده بإحكام ثم حملة فوق ظهره..

سار لمدة قليلة داخل طريقٍ ترابي متعرج خالي من المارة.. كانت الشمس حاضرة على يساره، قرص أحمر كبير يوشك على المغيب..

فجأة شعر بحركة داخل الجوال.. توقف في مكانه، ثم وضعه على الأرض..

لاحظ أن الحصى الموجود على الأرض تحول إلى اللون الأحمر.. لاحظ كذلك أن الحركة داخل الجوال أصبحت عنيفة، وبداله أن هناك شيئاً ما يحاول الخروج.. لكن ما هو.. إنها مجرد كومة من العظام المحترق والرماد.. وقبل أن يفكر أكثر؛ اخترقت يد ضخمة الجوال وقبضت على عنقه..

جحظت عيناه..

اختنق..

ثم استيقظ مفزوعاً عند منتصف الليل والعرق يغطي كامل جسده.. تحسس عنقه وهو غير مصدق أن ما مرَّ به مجرد كابوس عابر..

كان قد مر يومان منذ أن ذهب مع (قريش) إلى (ليلي) هانم وأحرق  
جثة القتيل..

ما زالت رائحة الاحتراق لا تغادر أنفه وتكتم أنفاسه حين يهجع إلى  
الفراش..

مد يده إلى زجاجة ماء كانت بجواره، وأخذ منها رشفة صغيرة، ثم  
خرج من غرفته..

سار باتجاه غرفة (قريش).. كانت مغلقة كالعادة ولا يخرج منها  
الهواء.. كان متأكدًا أن (قريش) ليس بداخلها، وأنه الآن يضاجع  
(ليلي) هانم في فيلتها..

ذهب (جلال) إلى فناء المنزل ووضع رأسه أسفل (طلمبة) الماء،  
وترك الماء البارد ينزلق فوق رأسه، ثم عاد وهو ينفض شعره بيديه..  
في طريق عودته مرَّ من جديد على غرفة (قريش)..  
نادته..

نعم.. نادته. سمع منها وسوسة تدعوه للدخول..  
نظر إلى بابها المغلق، ثم مد يده يتحسس فتحرك معه بليوننة وسهولة  
كالحرير قبل أن يفتح على مصراعيه..  
تردد في الدخول..  
لكنه دخل..

## غبار الأسوار

نظر إلى محتوى الغرفة بفضول قاتل.. كانت عبارة عن حجرة واسعة، بها أثاث متواضع، ونظيفة جداً لا تدل على أن هناك من يسكن فيها.. كان لها نافذة وحيدة لا يتم فتحها أبداً وتطل على طريقٍ منعزل ممتلئ بالأشجار.. بداخلها كان يوجد مصباح من الخزف له حواشٍ مزخرفة جميلة؛ يضيء في حياء فوق صورة ضوئية ملونة لفتاة جميلة الوجه ذات شعر أسود وعينين زرقاوين لكنهما كئيبتين.. بخلاف ذلك لم يكن هناك شيء مميز أو مثير للاهتمام..

لوهلة شعر (جلال) بالإحباط.. خرج وأغلق الباب خلفه من جديد..

لبث برهة طويلة ساكناً في مكانه.. ثم قرر ألا يجعل تلك الليلة تمر ككل ليلة.. توجه إلى المكان الثاني المحظور..

إلى قبو المنزل..

كان باب القبو بعكس باب الغرفة، كان يوجد فوقه قفل كبير..

عاد (جلال) إلى غرفة (قريش) وبحث بدقة عن المفتاح حتى عثر عليه مخفي تحت (مرتبة) السرير..

عاد إلى القبو وفتح القفل ثم دفع الباب فأصدر صريراً معدنياً حاداً..

نزل السلالم التي كانت مرسومة على هيئة دوامة تضيق كلما اقترب من القاع..

حين وصل لم يتمكن من رؤية شيء بسبب الظلام الدامس لكنه  
اشتم رائحة عطنة وهواءً فاسداً..

شعر ببرودة غريبة تلسع العظام..

أشعل عود كبريت، فبدد ضوءه جزء من الظلام.. اهتزت نار العود  
للحظة نتيجة تيار هوائي جاء من مصدر مجهول.. وضع يده حول  
العود ليمنعه من أن ينطفئ.

كانت الرؤية شحيحة لكن (جلال) استطاع أن يعثر على (لمبة جاز)  
معلقة في طرف مسمار بالحائط..

أشعل فتيل (اللمبة) وتركها تقتل الظلام بضوئها الأصفر الكئيب،  
ثم تلفت حول نفسه يفحص القبو بنظره..

كانت توجد رفوف خشبية تراص فوقها (برطمانات) زجاجية  
تحوي سوائل غريبة وبجوارها أجزاء آدمية كاملة تم تحنيطها..

في منتصف القبو كانت توجد مائدة معدنية ضربها الصداً وفوقها  
جمجمة بشرية ثقت من ناحية الجبهة وبجوارها كتاب.

مد يده ولمس الجمجمة ثم تناول الكتاب.. كان الكتاب أصفر  
اللون، ضخم الحجم، ولا يوجد عليه تاريخ أو مكان الطبع.. فقط  
عنوان الكتاب.

قرأ (جلال) العنوان.. (إينوخ - كتاب الموتى).

## غبار الأمور

فتح الكتاب وعلى الصفحة الأولى؛ قرأ طلسمًا طويلًا.. في نهاية  
الطلسم كان يوجد تحذير بخصوص استحضار الأموات.  
لم ينتبه أن قراءته الطلسم قد أيقظت شيئًا ما من العالم الآخر..  
عاد يتصفح كتاب (إينوخ).. كان يتحدث عن أن هناك عشرين  
شيطانًا جاءوا الأرض وتزوجوا بنات البشر، فأنجبوا ذرية مخيفة..  
أغلق الكتاب ووضع مكانه حين استرعى انتباهه شيء ما مكوم في  
أحد الأركان ومخفي تحت غطاء من القماش الأسود..  
سار نحو هذا الشيء وتوقف أمامه.. انحنى بظهره قليلًا قبل أن يزيح  
عنه الغطاء جانبًا..

ظهر له صندوق خشبي بني اللون وله قوائم جانبية مصنوعة من  
الحديد الصلب والمنقوش فوقه طلسم وعهود روحانية مغلظة..  
تحسس (جلال) حواف الصندوق بحرص..  
أكله الفضول من الداخل إلى الخارج حتى كاد أن يقتله..  
مد يده وحاول فتح الصندوق.. كان باب الصندوق ثقيلًا جدًا  
بعكس ما كان يتوقع..

بعد مجهود كان باب الصندوق يرتفع معه..  
منح (جلال) نفسه دقيقة وهو يحاول أن يتغلب على تلك الرائحة  
الكريهة التي خرجت من الصندوق وضربت وجهه..

نظر إلى محتوى الصندوق.. لم يكن هناك شيء موجود.. أو بعبارة أخرى لم يكن هناك شيء ظاهر، لكن (جلال) استشعر بوجود شيء ما..

مد يده حتى لامس قعر الصندوق.. اصطدمت أصابعه بشيء صلب مستدير كالكرة..

أمسكه بإحكام ثم رفعه أمام عينيه..

كانت جمجمة..

حملها بالقرب من (لمبة الجاز).. تفحصها باهتمام شديد.. كانت مصقولة على نحو غريب، ولا تزال محتفظة بكامل أسنانها.. ودون أن يشعر تحرك الغطاء القماش من ورائه، ثم ظهر في منتصفه انبعاج غريب راح يكبر ويرتفع إلى الأعلى كأنما هناك شخص يتجسد داخله..

و حين استوى وأصبح الشبح كامل؛ سبح في الهواء بصمت..

واقترب من ظهر (جلال)..

اقترب ببطء..

ثم دوت صرخة عالية..

بعدها أظلم المكان، وامتلاً بهمس الجن.

\*\*\*

لم أنتظر سوى دقيقة واحدة بعد ظهور هذا الشيء المخيف..



## غبار الامور

طلبت من (هبة) أن ترتدي ملابسها على الفور..

بعد عشر دقائق كنا داخل السيارة..

جلست (هبة) في المقعد الخلفي بينما جلست خلف المقود، ثم أدرت المفتاح وسحقت دواسة الوقود بقدمي لتنتقل بنا السيارة فوق الإسفلت الذي أصقله المطر..

ألمح جزءاً غير واضح من (هبة) في طرف المرآة الأمامية..

عدلت المرآة لأتمكن من رؤيتها جيداً.. كانت ترتعش من الخوف، وهناك زرقة مخيفة ظهرت على وجهها.. قلت محاولاً طمأنتها وأنا أدير ماسحات المطر:

- متخافيش.. مفيش حاجة.

هزت رأسها ولم ترد.

تجاوزت إشارة مرور حمراء وأنا أقول:

- هنقضي الليلة دي عند عبده وبكره الصبح يحلها الحلال.

وانتظرت قليلاً لأرى وقع كلامي عليها ثم استكملت قائلاً:

- نامي شوية.. قدامنا حوالي نص ساعة عقبال ما نوصل.

اتصلت بـ (عبده) لأخبره بقدمنا، ثم أكملت قيادتي في صمتٍ

وتفكير بينما أطبقت (هبة) عينيها في محاولة للنوم.

حتى الآن لا أعرف طبيعة الشيء الذي رأيته.. كان يختلف عن

المخلوق الذي في المرآة اختلافاً تاماً من حيث الشكل والحجم.. أو

ربما يكون هو لكن قام بتغيير شكله.. احتمال غير بعيد.. كنت أعتقد أن خطره محصور فقط داخل المرأة لكني الآن أشك..  
وأخيرًا وصلت بي السيارة إلى حيث يسكن (عبده)..  
التفت إلى (هبة) لأوقفها فوجدتها تعتلد في مكانها وتسألني:  
- وصلنا خلاص؟  
- آه خلاص.

ثم أوقفت السيارة في شارع جانبي بالقرب من مدخل العمارة، وتأكدت من إحكام إغلاق أبوابها، وصعدت مع (هبة) درجات سلم العمارة القديم والذي تفوح منه رائحة (المجاري)..  
قرعت باب شقة (عبده) بـ (السقطة) الحديدية المدلاة عليه..  
لحظات قليلة ثم فتح لنا (عبده) الباب وهو يرتدي (ترينج سوت) أزرق اللون يحمل شعار فريق برشلونة.. كانت آثار النوم على وجهه وشعره المتناثر ورائحة أنفاسه السيئة.

صافحنا بود وهو يفسح لنا المجال للدخول قائلًا:

- اتفضلوا.. نورتوني.

ثم وجه كلامه إلى (هبة):

- ازيك يا هبة.

- تمام.

## غبار اللؤلؤ

قالتها وهي تتلفت يمينا ويسارًا.. كانت هذه أول مرة تدخل فيها إلى مسكنه؛ على العكس مني كنت قد دخلته أكثر من مرة..  
شممت رائحة عفونة غير طبيعية تأتي من كيس قمامة يكاد أن ينفجر بجوار الباب حيث مررنا..

جلسنا في الصالة وقد تملكنتني دهشة من كمية أعقاب السجائر التي كانت في كل ركن من الأركان.. رأيت كذلك بعضها محشورًا داخل شقوق مقعد الصالون الذي اتكأت عليه..  
سألت (عبده):

- انت رجعت تشرب سجائر تاني؟!!

رد بضيق:

- مش عارف ابطلها.

ثم مضى سريعًا إلى المطبخ وعاد بكوبين من العصير وقدمهما لنا.. قلت:

- إحنا تعبانين اوي يا عبده ومش هنقدر نشرب حاجة.

قال بسرعة:

- أجهز أكل طيب؟

أجبت باقتضاب:

- مش هنقدر ناكل حاجة؟

هز رأسه وقد تفهم موقفي:

- آه.. تمام.. البيت بيتكو.

ثم أشار إلى إحدى الغرف:

- تقدرُوا تنامُوا في أوضة المسافرين، هي متجهزة وعلى سنجة عشرة.

شكرته، وتغاضيت عن الكثير من علامات الاستفهام التي رأيتها تسبح في مقلتي عينيه.

أمسكت يد (هبة) ودخلنا سوياً إلى غرفة المسافرين.. كانت عبارة عن غرفة واسعة تفوح منها رائحة بخور جميل ناتج عن فواحة صغيرة معلقة على أحد الجدران..

أشرت إلى السرير الذي يتوسط الغرفة وقلت لها:

- نامي انتي على السرير، وأنا هروح أنام مع عبده.  
أمسكت يدي وطلبت مني ألا أتركها وأن أظل معها..  
وافقت بلا جدال.

أزحت الملاءات البيضاء الموجودة فوق السرير ثم استلقينا..  
ولأول مرة منذ سنوات؛ تنام طفلي الصغيرة بين أحضاني وداخل صدري.

أغمضت عيني واسترحت..  
أخذت أفكر من جديد؛ ماذا سأفعل غداً وكيف أتصرف؟.. لكنني لم أجد إجابة..  
أو حل.

\*\*\*

## غبار الاموات

انتفض (قريش) وهو فوق جسد (ليلى).. جحظت عيناه مثل  
شخص تم طعنه من ظهره، ثم صرخ بأعلى صوته:  
- جلال.

توترت (ليلى) من تصرفه المفاجيء.. هتفت:

- مالك؟!!

تجاهلها ولم يجيبها.. نهض من فوقها عارياً وقد احمر وجهه، ثم  
تناول ملابسه الملقاة على الأرض وارتداها في عجل.

مسحت (ليلى) بعض عرقه الذي التصق فوق نهديها قبل أن تلف  
جسمها الطري مثل القشدة بملاءة السرير.. سألته:

- انت ماشي؟

قال دون أن ينظر إليها وباقتصابٍ شديد:

- آه.

- هتيجي تاني؟

انتهى من ارتداء كامل ملابسه ثم أجاب بحدة:

- أكيد.

أرادت إخباره بشيءٍ ما لكنها عجزت وانحبست أنفاسها، واكتفت  
بمتابعته وهو يغادر.

خارج الفيلا انزوى (قريش) خلف (تكعيبية) من الأشجار الضخمة

وهو يلهث..

تلفت حوله جيداً ليتأكد من عدم وجود أي أحد بالجوار..  
حين تأكد من ذلك؛ أخرج الكيس الذي يحوي غبار الأموات..  
فتح الكيس بحرص ثم تناول منه كتلة صغيرة في حجم حبة عدس..  
فركها بقوة بين إصبعيه واستنشقتها دفعة واحدة..  
سقط على ركبتيه وقد اسودت عيناه..  
هبّت ريح باردة حركت جذع الشجرة التي يقف خلفها..  
تصاعدت من حوله نيران علي هيئة حبال غليظة، وارتفعت في  
الهواء حتى كادت تبتلعه..  
أطلق صرخة عالية ثم تمزق جسده ببطء.. تراجعت جبهته إلى  
الوراء قليلاً.. تقوس ظهره وتضخم حجمه.. الشعر الكثيف غزا كل  
جسده..  
أطلق صرخة جديدة.. ثم نهض وقد تحول إلى وحش مرعب.  
استدار نحو الفيلا بعينين ناريتين تتوهجان بينما لمع ضوء القمر بين  
قرنيه المعقوفين..  
رأى (ليلي) وهي تقف خلف نافذة غرفتها تراقب ما يحدث وعيناها  
تومضان..  
صرخ باتجاهها صرخة هادرة فاهتزت الأرجاء، ثم جرى على  
أربع..  
جرى بسرعة مذهلة وهو يصدر عواءً مرعباً..

## غبار اللؤلؤ

راح يخترق الحقول ويقطع الطريق بلا لحظة توقف..  
وصل إلى المنزل، وبقفزة واحدة أصبح فوق السطح..  
نزل على السلالم بسرعة ومع كل خطوة يخطوها كان يستعيد جزءاً  
من هيئته البشرية..

حين وصل إلى باب القبو كان قد استرد كامل صورته الآدمية..  
هبط إلى القبو بسرعة..

رأى (جلال) مسجى على الأرض بلا حراك، وحوله ظلال تدور  
في دوائر غير منتظمة، ثم تغوص داخل جسده وتعود لتخرج منه..  
كانت تشبه قناديل البحر لكنها كانت سوداء.

أشعل (قريش) الشمعة الكبيرة، ثم رفعها في وجه الظلال وهو  
يصيح فيها:

- بخ.. بخ.

كانت الظلال تبتعد عنه وتتفرق بسرعة ثم تعود لتتجمع كلها في  
شكل ظل كبير..

صرخ فيهم (قريش):

- انصرف بحق ناصور وعلقاليش وميمون الأحمر.

هاجت الظلال أكثر وبدت أنها تقاوم وتحاول الهجوم..

ثم تشتت..

وأخيراً انسحبت واختفت تحت الأرض.

انحنى (قريش) على (جلال) يتفحصه.. كانت هناك خطوط سوداء  
فوق وجه (جلال) الذي غادرته الدماء وتركته أصفر اللون..  
(قريش) حمل (جلال) فوق ظهره، ثم صعد به إلى غرفته، ووضع  
فوق السرير، وخلع عنه كامل ملابسه..  
تركة عارياً ثم ذهب وعاد بعد دقائق ومعه إناء به ماء دافئ..  
أحضر خرقة قماش حمراء مكتوب عليها عزيمة روحانية، ثم  
غطسها في الماء ومسح بها جسد (جلال)..  
مع استمرار المسح كانت الخطوط السوداء تختفي من فوق  
(جلال)..

تدريجياً بدأ (جلال) يستعيد الوعي..

فتح عينيه ونظر إلى (قريش) بعينين زائغتين..

قال (قريش) وهو مستمر في المسح:

- انت اتكتب ليك عمر جديد.

قال (جلال) بوهن:

- هو إيه اللي حصل؟

نظر له (قريش) بعتاب:

- يعني مش عارف إيه اللي حصل؟



## غبار اللؤلؤ

تلعثم (جلال).. تطلع في وجه (قريش).. شعر أنه ينضغط إلى الداخل ثم ينبسط للخارج.. هز رأسه محاولاً أن يتمالك نفسه.. ضربه دوار هائل.. أراح رأسه للوراء وهو يردد:  
- أنا آسف.

جز (قريش) على أسنانه حتى كاد أن يكسرها، ثم نهض قائلاً في انفعال:

- حذرتك.. والتحذير كان واضح.

بصعوبة اعتدل (جلال) في مكانه:

- كان لازم اسمع تحذيرك.. أول وآخر مرة يا سيدنا.

كور (قريش) ملابس (جلال) بين يديه.. نظر لها باشمئزاز ثم ألقاها في وجه (جلال) وقال في سخط:

- خد البس هدومك.

لم يلتفت (جلال) للملابس.. نهض من فوق السرير عارياً وهو يستعين بمرفقيه ثم ركع على الأرض وقال بتوسل:

- أنا خدامك يا سيدنا.

نظر له (قريش) ولم يعقب.. للحظة فكر في أن يخرسه إلى الأبد.

\*\*\*

# ١٣

- بابا.

انتفض قلبي حينما استيقظت على صوت (هبة).. قلت وأنا أراها  
تنهض من الفراش:

- صباح الخير.

قالت:

- صباح النور.

ثم صمتت للحظة والتقطت نفساً عميقاً وهي تضيف في توتر:

- بس النهار لسه مطلعش.

نظرت لها باستغراب قبل أن أتناول الساعة وأنظر فيها.. كان الوقت

ما زال فجرًا.. سألتها:

- انتي منمتيش؟

جلست بجواري.. تجاهلت سؤالي ثم قالت:

- انت بتؤمن بالجن والعفاريت؟

## غبار الامور

اعتدلت في مكاني حين قلت:

- الجن مذكور في القرآن.

تطلعت في وجهي وقالت:

- يعني اللي شفناه ده جن.

صحت فيها:

- ده كله وهم.

هتفت في دهشة مستنكرة:

- قصدك احنا الاتنين كنا موهومين.

قلت محاولاً أن أبدو هادئاً:

- بالتأكيد.

ثم وضعت يدي على كتفها وأنا أستطرد:

- بصي الجن ميعرفش يؤدي إنسان.. أنا قرئت ان طبيعته بتخليه

يقدر يؤثر على المجال الكهرومغناطيسي للإنسان وبالتالي يقدر يخلق

أوهام مش أكثر.

ارتبكت الكلمات على شفيتها للحظة قبل أن تقول:

- مش مصداقك.

استمر جدالنا حتى طلوع شمس النهار ولم نتوقف إلا حين سمعنا

طرقاً على الباب ثم صوت (عبده):

- صباح الخير.

رددت له التحية ثم ناديت عليه:

- ادخل يا عبده.

دخل وعلى وجهه ابتسامة مضطربة.. قال:

- الفطار جاهز.

التفت لـ (هبة):

- يلا نفطر ونكمل كلامنا بعدين.

على مائدة الطعام جلس ثلاثتنا.. كانت (هبة) تأكل ببطء وبلا شهية، وكذلك أنا..

سألت (عبده) إذا كان يوجد تحت يديه شقة مفروشة للإيجار.. أخبرني أنه يعلم مكان شقة أو شقتين وبإمكانه اصطحابي بعد الظهر لكي أراهما..

وبالفعل بعد الظهر ذهبت معه أنا و(هبة) وعائنا الشقتين..

كانتا الشقتان رائعتان.. الفروق بينهما سواء في الإيجار أو الميزات الأخرى طفيفة.. تركت لـ (هبة) حرية الاختيار بينهما.. اختارت القريبة من سكن إحدى صديقاتها. اختيار جيد.

أنهت إجراءات التعاقد سريعاً، وعلى نهاية اليوم كنا نجلس سوياً في الشقة الجديدة..

شكرت (عبده) على مجهوده الكبير معنا، وطلبت منه أن يمر عليّ غداً صباحاً لأحضر بعض الأشياء، ثم انصرف وتركنا..

## غبار اللموم

عند قدوم نهار اليوم التالي؛ جاء (عبده) في الميعاد..  
ركبت معه وذهبنا إلى شقتي القديمة..  
طلبت منه انتظاري في السيارة، ثم صعدت وجمعت كل أشياء (هبة)  
وبعض أشياءي، وحملتهم في حقائب كبيرة تناسب هذا الغرض..  
(عبده) ساعدني في نقل ورص المتاع وبعض قطع الأثاث الخفيفة..  
مرت أيام تأقلمت خلالها واعتدت تماماً على الشقة الجديدة..  
(هبة) صنعت بعض الصداقات الجديدة لكن على استحياء مع  
بنات الجيران..

بالنسبة لي فضلت أن أكون في ركن بمفردتي وألا أختلط بأحد..  
من هذا الركن الذي صنعه لنفسه لخرجتني (صفاء).

\*\*\*

بعد أن استرد (جلال) جزءاً من عافيته؛ قام (قريش) بطرده..  
حاول (جلال) استجلاب عطف (قريش) لكن هذا الأخير كان من  
القسوة بمكان..  
لزم (جلال) عتبة باب البيت، ووصل به الحال إلى أنه كان ينام في  
مكانه..

صحته تدهورت بمرور الوقت لكنه لم يكن يعبأ بها.. كان يريد أن  
يسترد ثقة (قريش) فيه مهما كان الثمن..

ثم ذات ليلة فتح له (قريش) الباب على نحو مفاجئ، ووضع أمامه طبقاً من الفخار به مزيج غريب من الطعام، وأمره أن يأكله:  
- كل.

كان الطعام لزج، ولونه أخضر غامق، ورائحته كريهة جداً..  
لم يتردد (جلال) وشرع في التهام الأكل، بينما (قريش) يراقبه في جمود..

الطعام كان ينزل في معدة (جلال) فيشعر بسكاكين حادة تقطع أمعاءه..

استمر رغم ذلك..

وحين انتهى؛ تطلع إلى (قريش) وهو يمسك معدته في ألم..  
شعر بدوار هائل في رأسه، وبثقل كبير يجثم فوق صدره..  
حاول أن يتنفس.. ضاع كل الهواء المحيط به في لحظة..  
ثم سقط فاقد الوعي..

انحنى عليه (قريش) وحمله فوق ظهره، ثم سار به داخل طريق مهجور.

\*\*\*

(صفاء) كانت امرأة بيضاء البشرة، ملفوفة القوام، تسكن بمفردها في الشقة المواجهة لنا، وتعمل مدرسة في حضانة قريه..

## غبار الأسوار

كانت من النوع الذي لا يكبر ولا يظهر عليه السن.. حين ينظر إليها أحد يظن أنها في الثلاثينات على أقصى تقدير بينما في الحقيقة هي تعدت الأربعين بعام كامل..

كانت تحب أن ترتدي الأزياء الإسلامية الحديثة التي هي مزيج من الحجاب القصير الشفاف والبناطيل الضيقة..

تزوجت مرة واحدة من قبل واكتوت بنار الرجال.. خاضت حرباً شرسة مع طليقها على حضانة ابنها لكنها خسرتها.

تبادلت معها أطراف الحديث أكثر من مرة.. كنت أتصيد الفرص وأتقرب منها..

ذكرياتها السيئة عن الرجال؛ جعلتني أجد صعوبة في التقرب لها.. فطرتها كأنثى أدركت أن اهتمامي بها خلفه شغف من نوع ما.. تدريجياً اعتادت عليّ، ثم تحولت العادة إلى اهتمام، والاهتمام إلى عاطفة..

فكرت أن أدعوها للخروج لكن خشيت من رفضها. طلبت من (هبة) أن تدعوها للعشاء عندنا.. أعتقد أنها ستكون بداية جيدة.

اعترضت (هبة) ورفضت.. كانت قد قرأت ما يدور في ذهني حيال (صفاء).. تعللت في مكر وقالت أنها امرأة متعجرفة ومغرورة أكثر من اللازم.

بصعوبة أقنعتها أن توافق..

وبالفعل ذهبت على مضض إليها، ثم عادت تخبرني بأنها ستأتي..  
طلبت طعامًا من أحد المحال المشهورة، وقمت برصه على المائدة  
بطريقة أنيقة تدعو للإعجاب..

(هبة) بدورها التزمت الصمت ومراقبة ما أفعل بغیظ شديد.  
قبل أن تأتي (صفاء) وقفت في الشرفة أتابع الطريق، وأنا أشرب  
فنجانًا من القهوة، حين لمحت جزءًا صغيرًا من القمر وهو يظهر على  
استحياء من خلف عمارة حديثة الإنشاء لم يسكنها أحد بعد..  
داخل هذا الجزء من القمر تجسد المخلوق الموجود داخل المرأة،  
وكان يشير لي بعلامة الذبح.

\*\*\*

لم يدر (جلال) كم ظل فاقد الوعي لكنه حين فتح عينيه؛ وجد  
النجوم قابعة فوق رأسه، والهواء يصرخ من حوله بلا هوادة..  
تطلب منه الأمر لحظات حتى يستوعب الموقف، ثم تلفت حول  
نفسه..

كان فوق أرض رملية قرمزية اللون وبجواره قبر وحيد..  
هب واقفًا على قدميه كمن لدغه عقرب..  
كانت هناك تلال كثيرة من الرمال وصحراء ممتدة إلى ما لانهاية..  
وكان أيضًا عاريًا.



## غبار الاموات

لم يستوعب ما حدث له..

نادى بأعلى صوته على (قريش):

- قريش.

تردد صدى الصوت عدة مرات بلا انقطاع حتى اخترق لحاء

عظامه..

هبّت ريح باردة جعلته يرتجف.. ضم يده إلى صدره من البرد..

لاحظ لأول مرة عدم وجود شعر صدره..

تحسس جسده ورأسه.. اكتشف أن (قريش) قد قام بقص ونزع كل

الشعر الموجود به.. لكن لماذا؟

استعد للسير..

وفجأة سمع صوت ضحكة عالية..

ضحكة خبيثة.

سرت قشعريرة في جسده وامتقع وجهه..

التفت بسرعة.. كان الصوت يأتي من ناحية القبر..

نظر للقبر باهتمام وتدقيق هذه المرة.. كان القبر مبني من الطوب

الرمادي وقد تأكلت أجزاء من جدرانه بفعل عوامل التعرية.. من وراء

القبر ظهرت طفلة صغيرة جميلة كالملاك.. لكنها أيضاً كانت مخيفة

كالشيطان..

ابتسم لـ (جلال) ابتسامة كشفت عن أسنانٍ سوداء كتراب القبر..

دارت الطفلة حول القبر ثم توارت خلفه وتلاشت آثارها..  
جرى (جلال) ناحيتها وهو ينادي عليها..  
لم يجدها وراء القبر..  
اختفت.  
تحولت قشعريرة (جلال) إلى ذهول..  
ولكن فجأة.. ومرة أخرى سمع ضحكها الخبيثة..  
التفت للخلف..  
رآها تسير نحوه هذه المرة..  
من أين أتت؟  
اقتربت منه.. وبهدوءٍ اخترقت جسده ثم عبرت إلى الناحية  
الأخرى.. شعر بتيارٍ كهربائي يضرب أوصاله..  
ارتجف وكاد يسقط..  
وأمام عينيه المذعورتين؛ تحرك باب القبر إلى الأعلى..  
ظهر من وراء الباب هيكل عظمي نخره السوس..  
وبهدوءٍ نامت الطفلة على ظهرها فوق الهيكل العظمي، فتجسد  
للحظات على هيئتها قبل أن يعود لطبيعته..  
ثوانٍ ثم أغلق عليها باب القبر..  
ظل (جلال) في مكانه لا يتزحزح مثل الصنم.. سمع نداءً يأتي من  
ورائه:

## غبار الاموات

- جلال.

التفت ناحية مصدر الصوت..  
رأى (قريش) يركب بغلة حمراء كبيرة، طويلة العنق، ولها (سرج)  
أخضر مزركش يغطي كامل ظهرها..  
تهاوى (جلال) فوق الأرض راکعًا..  
أخبره (قريش) أن هذا كان اختبارًا له، لو فشل فيه لكانت تلك  
الجنية سحبته تحت الأرض.. ثم أمره بالركوب معه.  
ركب (جلال) دون أن ينبس ببنت شفة.. وحين أوشك القبر أن  
يغيب عن مرمى بصره؛ رأى الجنية تخرج من القبر وتشير له بأن يعود.

\*\*\*

# ١٤

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا حين استيقظت على صوت المحمول..

كنت قد نمت متأخرًا بعد انصراف (صفاء)، وبعدها قضينا أمسية رائعة لم يعكر صفوها سوى وجه (هبة) الغاضب دائمًا.

مددت يدي باتجاه الهاتف.. طالعت اسم المتصل.. عميت عيني للحظات من نور الشاشة قبل أن أميز اسم الدكتورة (منى) التي كانت تتابع حالتي الصحية في المستشفى..

تساءلت للحظة عما جعلها تتذكرني.. أيًا كان السبب لا يهمني.. أغلقت التليفون ولم أرد..

لحظات ثم عاد يرن بالحاح.. كانت هي مرة أخرى.. ضغطت زر قبول المكالمات:

- الو.

قلتها باقتضاب.. جاء صوت الدكتورة من الناحية الأخرى:

- ازيك يا إيهاب.

## غبار اللؤلؤ

- كويس .
- أنا أسفة لو كنت بتصل بيك في وقت متأخر زي ده .  
حاولت ألا أظهر ضيقي من اتصالها :
- لا .. عادي ، ولا يهكم .. تحت أمرك في أي وقت .  
مضت لحظة من الصمت التام ثم سألتني :
- صحتك عامله إيه دلوقتي ؟  
رددت باستغراب :
- صحتي !
- آه .. صحتك .. انت كويس ؟  
قلت :
- صحتي تمام .  
قالت بلهجة غامضة :
- حالتك كانت من الحالات الميئوس منها .
- خير يا دكتورة ؟ .. مش معقول بتتصلي بي وفي الوقت ده عشان  
تسألني عن صحتي .
- لم تجب .. كنت فقط أسمع أنفاسها تأتي من الناحية الأخرى  
سريعة .. قالت :
- انت بتمشي دلوقتي .. مضبوط .  
اعتدلت فوق فراشي وقد استيقظت كل خلاياي .. هتفت :
- فضل وكرم من ربنا ...

ثم انتبهت لشيء فأسرعت أسألها:

- حضرتك عرفتي منين؟

قالت بنفس الصوت الغامض:

- لما نتقابل هبقى أقولك.

صحت:

- نتقابل ليه؟.. أنا مش فاهم انتي عاوزه إيه بالضبط.

قالت:

- عاوزه أتكلم معاك في موضوع مهم.

غمغمت:

- موضوع.. موضوع إيه؟

قالت بهدوء:

- خيلنا نتقابل ونتكلم، مش هينفع كلام في التليفون.

- ضروري؟

- ضروري طبعًا وإلا مكتش كلمتك.

فكرت.. قلت:

- مفيش مشكلة.

هتفت بظفر:

- جميل جدًّا.

ثم أعطني عنوان عيادتها الخاصة، وأنهت المكالمة بعد أن تركتني

فريسة لمئات من الأفكار والهواجس البشعة.

\*\*\*

## غبار اللؤلؤ

- جلال.

قالها (بدير) لـ (جلال) وهو يعترض طريقه أثناء عودته من سوق القرية، وبعد أن قضى حاجة من حوائج (قريش).

أكمل (بدير):

- ازيك يا ابن الشيخ مصباح.

أجفل (جلال) للحظة حتى استوعب الموقف، ثم احتضن (بدير)

في شوق:

- أبو عمو.. تسلم.. ليك وحشة كبيرة.. أخبارك إيه وأخبار عم

رزق؟

غمغم (بدير):

- في نعمة.

هتف (جلال):

- عامل إيه في الجواز.. اعذرني عشان معرفتش آجي الفرحة.

هز (بدير) رأسه:

- لا.. عادي ولا يهملك.

ابتسم (جلال) وقال بلهجة ذات مغزى:

- كانت ليلتك حلوة يا أبو عمو؟

حاول (بدير) الابتسام:

- عدت على خير.

نظر له (جلال) باستغراب وردد:

- عدت على خير!

ثم لاحظ أن وجه (بدير) شاحب وجسده هزيل على غير المعتاد  
بالإضافة إلى أن ملابسه كانت رثة.. سأله:

- مالك.. شكلك مش مضبوط؟

قال (بدير) بصوتٍ مكتئب:

- مفيش.. موضوع كدا.

تطلع إليه (جلال) في حيرة:

- موضوع إيه؟.. اتكلم.

تلفت (بدير) حول نفسه في توتر ثم قال:

- بص.. انت الوحيد اللي ممكن يساعدي وعشان كدا جيت

أقابلك النهارده.

ضرب (جلال) على عنقه في إشارة للتضحية بنفسه، وهو يهتف:

- رقبتي ليك يا أبو عمو.

هم (بدير) بقول شيء ما قبل أن يتلفت حول نفسه من جديد ثم قال:

- مش هينفع الكلام هنا في الشارع.. خرينا نروح نتكلم في مكان

تاني.

قال (جلال) وهو يسحبه من يده:

- ماشي.. اللي يريحك.

سار الاثنان متجاوران حتى وصلا إلى مكان قريب من (المعدية)..

قال (بدير) وهو يزدرد لعابه بصعوبة:



## غبار الامور

- مش عاوز أبويا ياخذ خبر اني كلمتك.
- حمل صوت (جلال) كثيراً من الفضول والتساؤل:
- هو زعلان مني في حاجة؟
- حاول (بدير) جعل الموضوع بسيطاً وهو يقول:
- انت عارف هو مش عاجبه شغلك في أمور السحر والجن، وكان حالف زمان إنه عمره ما يلجأ لدجال.
- الموضوع مش دجل زي ما هو فاكر.. ده علم وله أسرار.
- حرك (بدير) يديه:
- عارف.. عارف.
- ثم شرد ببصره قبل أن يستطرد:
- وعشان كدا لجأت ليك.
- بدأ (جلال) يستوعب الموقف قليلاً.. سأله في اهتمام:
- في حاجة بتظهر ليك؟
- نظر (بدير) للأرض وأجاب في حزن:
- مش أنا.
- عاد (جلال) يسأل:
- أمال مين.. مراتك؟
- رد (بدير) بصوتٍ خافت:
- أيوه.. سناء.
- وضع (جلال) يده على كتفه ليطمئنه وهو يقول:

- متحملش هم يا أبو عمرو.  
رفع (بدير) وجهه:  
- حاسس اني عايش في دوامة.  
هز (جلال) رأسه تفهّمًا حين قال:  
- عاوزك تحكي لي كل حاجة.. عاوز أدق التفاصيل.  
أوما (بدير) برأسه إيجابًا، ثم أخذ نفسًا عميقًا وبدأ يحكي:  
(سناء) كانت نموذجًا من بنات القرية، التي يتم تجهيزهن لغرض  
واحد في الحياة وهو الزواج والعفة..  
تزوجها زواجًا تقليديًا جدًا حيث تم عقد القران في مسجد القرية  
وتبادل التهاني وشرب الشربات، ثم قام باصطحابها من بيت أهلها إلى  
بيته في زفافٍ بالمزامير والطبل..  
وقبل أن يدخل بها غرفة النوم؛ فوجئ بها ترتعش.. ظن هذا خجل  
بنات أو جبن أو أي شيء من هذا القبيل.. فضل إعطاءها المزيد من  
الوقت حتى تعتاد عليه..  
مرت الليلة الأولى ولم يلمسها..  
ثم الثانية..  
فالثالثة..  
حتى مر أسبوع كامل..  
ومع دخول الأسبوع الثاني؛ ساءت الأحوال أكثر وصارت تصرخ  
في وجهه كلما وقعت عيناها عليه وتحاول مهاجمته..

## غبار الأسرار

ثم أخبرته بشيءٍ مرعبٍ.. أخبرته أنها تراه على هيئة قرد..  
ثم ذات يوم أصبح يظهر لها رجل طويل القامة وله أذنان طويلتان  
كالأفيال ويحاول لمسها من منطقتها الحساسة..  
وبمرور الوقت لاحظ (بدير) وجود علامات زرقاء على عنقها  
وعلى ذراعها..

أحد الأيام دخل عليها ليلاً، فشهد منظرًا تقشعر له الأبدان..  
شاهدها مستلقية فوق السرير عارية تمامًا، وساقها مرفوعتان إلى  
الأعلى على هيئة الرقم (٧)، وهي تتأوه من النشوة، وكأنها في حالة  
جماعٍ شيطاني.

\*\*\*

دخلت إلى عيادة الدكتورة (منى) قبيل إغلاقها بنصف ساعة..  
كانت العيادة تقع في الدور الثالث داخل عمارة شهيرة للأطباء  
بمنتصف البلد..

سألته المريضة بدمائة مهنية وابتسامةٍ صغيرة:

- كشف ولا إعادة؟

أخبرتها بوجود ميعاد بيني وبين الدكتورة..

نظرت لي من أعلى إلى أسفل، ثم نهضت ودخلت للدكتورة (منى)  
حجرة الكشف.. غابت لثوانٍ وعادت تخبرني أن الدكتورة ترحب بي،  
وأنها تطلب مني الانتظار ريثما تنتهي من الكشف على المرضى..

قضيت الوقت في تصفح بعض المجلات القديمة التي بليت بفعل  
الاستخدام..

أحضرت لي الممرضة زجاجة مياه غازية لم أطلبها..  
شكرتها ورشفت من الزجاجة بضع رشقاتٍ قليلة..  
انتبهت للممرضة حين أخرجت تليفونها المحمول، ثم دخلت  
في حوارٍ محتمٍ مع شخص يبدو من كلامها معه أنه طليقها، وأنهت  
المكالمة بسبةٍ بذيئة:

- رجالة ولاد كلب.

رنت السبة في أذني كأنها تقولها لي لكنني تصنعت الصمم..  
بعد أن خرج آخر مريض؛ جاءني الدكتور (منى) وهي ترتدي  
معطفًا أبيضًا طويلًا وتمسك في يدها سماعة طبية. كانت أكثر لحماً  
وأكثر بياضاً مما كانت عليه قبل سنوات..

صافحتني بحرارة، ثم طلبت من الممرضة الانصراف، وأخبرتها  
أنها ستقوم بإغلاق العيادة بنفسها..

نظرت لي الممرضة بتعجب، وجمعت أشياءها ثم خرجت، وهي  
تتمتم بكلام غير مفهوم. أعتقد أنها كررت السبة:

- رجاله ولاد كلب.

قادتني الدكتورة (منى) إلى مكتبها، ثم أغلقت خلفنا بإحكام كأنها  
تخشى أن أفر هارباً..

## غبار الامور

كانت الإضاءة ضعيفة داخل المكتب لكنني ميزت رجلاً كبير السن يرتدي بذلة زرقاء تبدو باهظة الثمن، ويضع نظارة طبية أنيقة لها إطار من الذهب، ويجلس فوق مقعد من الجلد الطبيعي واضعاً ساقياً فوق الأخرى.. أشارت إليه الدكتورة (منى) وقالت بفخر:

- الدكتور سيد.

نهض الدكتور (سيد) من مكانه متثاقلاً، ومد يده يصفحني بحرارة مصطنعة، قائلاً بصوت أجش:

- أهلاً بيك يا أستاذ إيهاب.

صافحته قائلاً:

- أهلاً وسهلاً.

قالت الدكتورة (منى) باعتزاز:

- الدكتور سيد هو أستاذي ومثلي الأعلى في الطب، وبعتره زي

والدي تمام.

قلت:

- تشرفنا.

ثم جلست على المقعد المقابل له بينما جلست الدكتورة (منى)

خلف مكتبها..

نظر لي الاثنان بصمتٍ قطعته الدكتورة (منى) حين قالت:

- أولاً أنا سعيدة أنك جيت في الميعاد، وسعيدة أكثر اني شيفاك

قادر تمشي على رجلك.

تطلعت إليها وأنا أسألها:

- لكن حضرتك عرفتي ازاي؟

قالت وهي تضع كلتا يديها على سطح المكتب:

- بالصدفة كنت معدية من شارع الصاغة، وقابلت فؤاد.. الكلام

جاء بعضه وجات سيرتك وعرفت منه انك رجعت تمشي.

نقلت بصري بينها وبين الدكتور (سيد) الذي راح يتفحصني، ثم

قلت:

- وده شيء غريب يعني؟

أخرج الدكتور (سيد) غليوناً طويلاً، ثم أشعله ووضع بين شفتيه

الغليظتين، قبل أن يقول:

- طبعاً غريب.. أو بعبارة ثانية مستحيل.

التفت له:

- ليه؟

نفث دخان الغليون في الهواء ببطء، ثم أعاد الغليون بين يديه، وقال

بهدوء:

- انت كان عندك إصابة قاتلة بالحبل الشوكي في الفقرة السابعة

والتامنة، اتسببت ليك بشلل تام في النصف الأسفل من جسمك.

استندت على ظهر مقعدي وقلت:

- وربنا شفاني.

ابتسمت الدكتورة (منى) قائلة:

## غبار الامور

- لكن إحنا دكاترة وموضوعك بيدخل ضمن المعجزات الطبية.  
سحب الدكتور (سيد) منها حبل الكلام وأكمل قائلاً:  
- مشكلة الإصابات العصبية إن الخلايا العصبية مختلفة عن بقية  
خلايا الجسم، معندهاش القدرة على الانقسام، وبالتالي مستحيل  
تتجدد.

نهضت الدكتورة (منى) من خلف مكتبها حين قالت بليوننة:  
- إحنا محتاجين نفحصك أنا والدكتور سيد ونقوم بشوية تجارب.  
قلت:  
- لا.

بشكل غير متوقع؛ احمر وجه الدكتور (سيد) وقال بحدة:  
- لا.. إيه؟

تحكمت في نفسي وقلت:  
- لا.. مش موافق أكون فار تجارب.  
غطى وجهه تعبير غريب، ثم ارتفع صوته:  
- افهم يا أستاذ إيهاب.. ممكن اللي هنعمله يفيد آلاف الناس.  
نظرت في وجهه بتحدٍ:  
- بيتهألي انكوا مبهتموش بآلاف الناس.. انتوا بتبحثوا عن مجد  
شخصي.

نظر لي كلاهما بغضب.. هزرت رأسي ثم استطردت:  
- أنا شايف انكوا تنسوا الموضوع ده أحسن ليكم.

وضع أمامي الدكتور (سيد) رزمة من الأموال وقال:  
- إحنا طبعا مقدرين انك هتفضي نفسك وتضيع وقتك، وده مبلغ بسيط نظير تعبك وفيه زيهم بعد ما نخلص.  
نظرت للمبلغ.. أمسكته ثم ألقيته في وجهه وقلت بسخرية:  
- انتوا كل حاجة عندكوا بالفلوس.  
ثم نهضت ومشيت باتجاه الباب قبل أن أتوقف حين سمعت صوته يأتي من ورائي يحمل لهجة تهديد واضحة:  
- الأحسن ليك تفكر تاني.. عندي طرق تانية مش هتعجبك.  
التفت له، ورأيت الشر يمرح بين قسمات وجهه.. هتفت:  
- صدقوني الموضوع مش زي ما انتوا فاكرين...  
وصمت للحظة، وأنا أحاول البحث عن الكلام المناسب قبل أن أكمل:

- الحكاية صعب تتصدق.  
قالت الدكتورة (منى):  
- مستعدين نسمعها...  
قاطعتها:  
- مصممين يعني؟  
أوما كلاهما برأسه.. حركت يدي باستسلام وقلت:  
- طيب.. هسيكوا تفحصوني براحتكم، وهقولكم كمان على مكان العلاج.



## غبار الأسوار

سألته الدكتور (منى) بفضول:

- لسه عندك منه؟

تناولت النقود من الدكتور (سيد) ووضعها في جيبي، وأنا أرد:

- آه. لكن لازم تيجوا معايا تشوفوه على الطبيعة.

لوهلة غطت سحابة من عدم الارتفاع وجه الدكتور (السيد).. في

حين صاحت الدكتور (منى) بلهفة:

- معاك لآخر الدنيا.

ابتسمت:

- لا.. مش للدرجة دي.. تعالوا معايا للبيت بس.

\*\*\*

وصل (جلال) إلى منزل (رزق) حين الغروب..

كان قد اتفق مع (بدير) على تلك الليلة.. وبالتعاون مع (سعاد)

قامت تلك الأخيرة بالتحايل على (رزق) واصطحابه معها لزيارة

أسرتها القاطنة في الطرف الآخر من القرية، ومن ثم المبيت عندهم

حتى تتاح لـ (جلال) كل الحرية الممكنة.

طرق (جلال) الباب بهدوء ففتح له (بدير) والاضطراب يعبث في

كل خلجات وجهه.. قال (جلال) وهو يدخل:

- هي فين؟

أشار (بدير) إلى الطابق العلوي..

صعد الاثنان درجات السلم الحجرية بسرعة ودون إضافة كلمة أخرى..

فتح (بدير) لـ (جلال) باب غرفة (سناء) بعدما نادى عليها وأخبرها أن (جلال) بصحبته حتى تستعد..

في الداخل؛ رآها (جلال) فتاة قمحية اللون شاحبة البشرة، ترتدي عباءة منزليه سماوية اللون، وتضع فوق رأسها شالاً أزرق.. تخرج من تحته خصلات من شعرها البني..

ظهر الخوف على وجهها حين نظرت لـ (جلال).. قال هذا الأخير وهو يضع أشياءه على الأرض:

- متخافيش.. اللي عليك هيروح.

وضع (بدير) يده على كتفها وقال:

- جلال ده اخويا.

أومأت برأسها في استسلام.. سألتها (جلال):

- انتي كنتي بتقفي كثير قدام المرايات؟

- آه كنت بقف كثير.

هتف (بدير):

- ده السبب؟

هز (جلال) رأسه:

- احتمال كبير.. المرايات هي سكن الجن والشياطين.

## غبار اللؤلؤ

طلب (جلال) من (بدير) أن يحضر (صينية) كبيرة، فذهب ليحضرها بينما أشعل هو شمعة كبيرة، ثم نثر في أرجاء الغرفة حبيبات صغيرة تشبه (البلي) لكنها كانت مزيّجًا من اللونين الأحمر والأسود ويطلق عليها أهل الشعوذة (عين العفريت).

جاء (بدير) بـ (الصينية)، فوضعها (جلال) في منتصف المكان، ثم وضع فوقها كرسيًا خشبيًا صغيرًا..

أخرج أسطوانة من الحديد بها ماء مقروء فوقه قرآن، ثم رش منها قطرات فوق الكرسي وطلب من (سناء) الجلوس عليه.

نظرت (سناء) لزوجها وكأنها تنتظر منه الأمر، فأشار لها بأن تطمئن.. نهضت وهي خائفة، ثم جلست في حين أخرج (جلال) من جيبه ورقة مطوية؛ فضها بهدوء وأعطاها لها.. ثم طلب منها أن تكتب عليها اسمها واسم أمها ثلاث مرات..

بعدما نفذت المطلوب؛ تناول منها الورقة ونفخ فيها ثم طبقتها ثلاث طبقات بطريقة معينة، ووضعها على (الصينية)..

أخذ نفسًا عميقًا، وبدأ يقرأ عزيمة روحانية فوق رأسها..

قبضت (سناء) على مسندي المقعد وارتجفت كمن أصابها تيار كهربائي، ثم انقلبت عيناها فصارت بيضاء، وزحفت خطوط سوداء فوق عنقها..

فجأة؛ ظهر حولها أربعة رجال.. كان الأربعة عراة تمامًا، ولهم آذان تشبه آذان الأفيال، وشعر أسود طويل يصل إلى الأرض..

شحب وجه (بدير) وارتجف، وكاد أن يسقط على الأرض.. أشار له (جلال) بأن يتمالك نفسه، ثم أكمل القراءة من الورقة فاختمى الأربعة، وعادت ملامح (سنا) إلى طبيعتها.. سألتها (جلال):

- انتي حلمتي بحاجة قبل كذا؟

قالت:

- ايوه.. حلمت اني كنت ماشيه في داخل طريق طويل وان في حد عمال ينادي عليا.. وفي نهاية الطريق ظهر قدامي راجل قصير، وله أيدين طويله واصلة لغاية الأرض.. كانت ملامح وشه مش واضحه لكنه كان عمال ينادي عليا.. وكنت بمشي ناحيته من غير إرادتي.. لما قربت منه، مد إيده على جسمي، وبدأ يقلعني هدومي.. حاولت إن أبعد عنه لكن جسمي كان متخشب.. إيده كانت بتلمس كل مكان في جسمي.. سحبنى على الأرض ونيمني...

وصمتت ثم ارتجفت وأطرقت برأسها في الأرض، حين استطردت:  
- وعمل معايا نجاسة.

جز (بدير) على أسنانه بينما التفت له (جلال) قائلاً:

- اللي هقوله لك مش هيعجبك.. مراتك عليها جن عاشق.  
هتف (بدير):

- جن. وإحنا علاقتنا إيه بالجن؟

- مالكوش علاقة.. لكن هو بيعشق مراتك.. الجنى ده من قبيلة (بني القماقم).. قبيلة من الجن اليهودي.

## غبار اللؤلؤ

- طب والعمل. تقدر تصرفه؟  
نظر (جلال) إلى (سناء) التي تجمدت كتمثال من الحجر فوق  
الكرسي، ثم قال:  
- هحاول.. ولو معرفناش هنحرقه. ايه رأيك؟  
وقبل أن يجيب (بدير) أردف (جلال) بسرعة:  
- لكن ممكن سناء تموت.  
ثم صمت وانتظر رد (بدير).

\*\*\*

- فتحت للدكتور (سيد) والدكتورة (منى) باب شقتي:  
- اتفضلوا.. المكان نور.  
وضعت الدكتورة (منى) يدها على أنفها وهي تقول:  
- ريحة الشقة غريبة.  
ابتسمت:  
- معلش أصل بقالي فترة قافلها.  
نظرت لي باستغراب:  
- انت مش ساكن هنا؟  
قلت وأنا أفتح الأنوار:  
- كنت ساكن هنا.. بس نقلت لشقة جديدة.  
وقبل أن تفتح فمها بسؤالٍ آخر؛ أردفت بسرعة:

- العلاج سايبه هنا.
- دار الدكتور (سيد) ببصره في أرجاء الصالة وقال:
- تمام.
- اقرحت عليهما الجلوس في الصالون، ثم ذهبت إلى المطبخ..
- سمعت صوت الدكتور (سيد):
- تعال يا أستاذ إيهاب.. إحنا مش جاينين نتضايف.
- عدت لهما حاملاً زجاجتي عصير وأنا أقول:
- أول مرة تدخلوا عندي.. على الأقل تشربوا حاجة.
- قال:
- مش فاضيين للكلام ده.. فين الدواء اللي بتقول عليه.
- صحت وأنا أناولهما العصير:
- والمصحف، وحياة بنتي ما أنا جايه غير لما تشربوا.
- تطلع الدكتور (سيد) إلى الدكتور (منى) ثم قال بنفاد صبر:
- اشربي يا دكتورة.. خلينا نخلص.
- ثم شرب زجاجة العصير في رشفة واحدة بينما شربت الدكتورة (منى) ربع الزجاجة ونحتها جانباً.
- قال الدكتور (سيد):
- فين العلاج بقى يا إيهاب؟
- أشرت إلى باب غرفة (الخزين):
- في الأوضة دي.

## غبار الامور

ثم نهضت وفتحت لهما باب الغرفة الداخلي وأنا أقول:

- اتفضلوا.

نظر لي كلاهما بارتياح..

نهض الدكتور (سيد) وأتبعته الدكتورة (منى).. توقفنا أمام الباب

قبل أن يتعجب الدكتور (سيد):

- مكان غريب تحط فيه علاج مهم.

- خايف عليه من السرقة مش أكثر.

لم يتأثر الدكتور (سيد) بكلامي، وحدثني في مقطبة جبينه..

ضربتني رعشة خفيفة حين طلب من الدكتورة (منى) الذهاب معي..

دخلت مع الدكتورة (منى) بينما ظل هو في الخارج يراقب..

سعلت الدكتورة (منى) وأشارت إلى خيوط العناكب والحشرات:

- إيه كمية الحشرات الكثيرة دي؟

قلت:

- معلى أصل قافل الأوضة بقالي فترة.

قالت:

- دي ممكن تجيب لك أمراض.

قلت:

- ربنا يستر بقى.

واستطردت وأنا أبتسم:

- وعلى العموم متقلقيش كلها ثواني، ومش هتخافي من المرض.

ثم أشرت إلى المرأة المغطاة حين اقتربنا منها وقلت لها:  
- العلاج اهو.

وكشفت عنها الغطاء بحركةٍ مسرحية..

انعقدا حاجبا الدكتوراة (منى) في غضبٍ وهي تقول:

- انت بتهزر.. دي لوحه.

دنوت من أذنيها وهمست:

- دي علاج لكل الأمراض.

ثم انبعث الدخان من المرأة، وبدأ المخلوق يتجسد من خلالها..

تصلبت الدكتوراة (منى) في مكانها، وهي تردد بذعر:

- ايه اللي بيحصل؟

انسحبت من ورائها بسرعة وخرجت، ثم أغلقت الباب بالقفل..

فجأة شعرت بذراعين كالحديد تطبقان على عنقي، وصوت الدكتور

(سيد):

- افتح الباب.

- اهــاه.

لكن صراخ الدكتوراة (منى) الذي جاء مليئاً بالألم والذعر؛ جعل

قبضته ترتخي قليلاً وهو يردد:

- في ايه جوه؟

جاء صوت الدكتوراة (منى):

- الحقني دكتور سيد.



## غبار الاموال

خلصت نفسي منه بسرعة.. وقبل أن يستوعب ما حدث هويت على  
ذقنه بلكمةٍ ساحقة تحملها في جلادة وقوة..  
حاولت ضربه من جديد لكنه انقض عليّ، ثم حملني من خصري  
بقوة هائلة ورماني في الهواء. كان الرجل قويًا بحق.  
ارتطمت بالحائط، فأحسست أن ظهري قد انقسم نصفين..  
بصقت الدم من فمي وأنا أتابعه وهو يحاول كسر قفل الباب..  
حين عجز؛ قفز نحوي وجثم فوق صدري، ثم اعتصر عنقي وهو  
يصرخ:

- هات المفتاح.

بصقت الدم في وجهه، فسحق وجهي بضربة قاسية..  
وقبل أن يفكر في ضربي مرة أخرى؛ جحظت عيناه..  
نهض من فوقي وهو يترنح.. سقط عدة مرات على الأرض.. نظر  
لي بهلع بالغ:

- أنت حطيت ايه في العصير؟

نهضت من على الأرض وأنا أمسح الدماء من فوق وجهي:

- منوم.

ثم سحبته من قدميه باتجاه غرفة (الخزين):

- المفروض تشكرني لأنك هتكون نايم ومش حاسس باللي

هيحصل ليك.

ثم فتحت باب الغرفة..

رأيت بقايا جثة الدكتور (منى) وهي ممزقة على الأرض..  
شاهدت المخلوق وهو يمسك قلبها وينهشه بأسنانه..  
ألقيت إليه الدكتور (سيد) تحت قدميه..  
بيدٍ واحدة أمسكه المخلوق من رأسه، ورفعته في الهواء عاليًا..  
أحكم قبضته فوق الرأس، ثم وبقوة هائلة انتزع الرأس من الجسد..  
طوح الرأس في الهواء، فاصطدمت بالحائط، وتهشمت كحبة بطيخ..  
حطم عظام الصدر، وانتزع من بينها القلب في وحشية.. عصر القلب  
داخل كف يده، وراح يشرب العصارة التي تسيل منه.  
لم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك..  
سحبت نفسي إلى الخارج..  
أغلقت الباب خلفي..  
ثم جلست أنتظر.

\*\*\*

وافق (بدير)..  
طلب (جلال) منه أن يخلع حجاب (سناء).. تقدم (بدير) وبيدٍ  
مرتعشة خلع عنها الحجاب وهو يتجنب النظر في عينيها التي امتلأت  
بدموع الخوف.  
قام (جلال) بتقييد (سناء) بحبالٍ غليظة في الكرسي حتى يمنعها من  
الحركة، ثم أحضر قطعة قماشٍ سوداء وغطى بها وجهها..

## غبار الامور

أحضر قارورة ماء وصب منها فوق رأسها وهو ينادي على الجن الذي يتلبسها بالحضور..

ارتعشت (سناء) في مكانها وشهقت..

سحب (جلال) القماش من على وجهها وألقاه جانباً..

جحظت عينا (بدير) وهو ينظر إلى زوجته.. كانت ملامحها قد

انقلبت مرة أخرى.. لكن هذه المرة كانت أكثر بشاعة.. صاح:

- جلال.. انت متأكد من اللي بتعمله؟

حدجه (جلال) بغضب ولم يرد عليه.. تناول سوطاً غليظاً مصنوعاً

من جلد الثعابين المنقوع في الزيت.. ضرب به الهواء فأصدر فرقة

قوية؛ جعلت (سناء) تلتفت نحوه.. خرج منها صوت ضعيف خائف:

- انتوا عاوزين مني ايه؟.. سيبوني.. أنا خايفه.

التفت (جلال) لـ (بدير) وحذره:

- متردش عليها.. ده جن خبيث هو اللي بيتكلم ويحاول يخدعنا.

نظرت إلى (بدير) وقالت وهي تبكي:

- بدير.. خرجني من هنا.. أنا خايفة.. فكني أرجوك.

تحركت مشاعر (بدير) واقترب منها يحاول فك القيود..

مد (جلال) يده أمام صدره وأوقفه:

- إوعى تصدقها.. دي حيلة من الجن.

ثم رفع الكرباج واستعد لكي يضربها.. ابتسمت في شراسةٍ مرعبة..  
ضربها ضربة بالكرباج فلم تهتز منها شعرة أو تتزحزح.. وقبل أن يهوي  
عليها بضربةٍ ثانية؛ خرج منها صوت مخيف يأتي من عالم الجن:

- اللي قتل أبوك كان واحد من قبيلتي يا جلال.

توقفت يد (جلال) في الهواء حين سمع ذلك..

برقت عينا (سنا).. وبقوة هائلة مزقت القيود التي تربط يديها

وقدميها، وتحررت من فوق الكرسي.. نهضت واقفة:

- مين انت يا ابن آدم عشان تواجه قوة أكبر منك.. عمي إبليس خدع

آدم من زمان.

ثم تحركت من مكانها كحركة عروسة (ماريونيت).

هوى (جلال) عليها بالكرباج بضرباتٍ سريعة، قبل أن تقبض على

عنقه وتعتصره بقوة هائلة، وهي تصرخ:

- الموت لآدم ولأولاده.

جحظت عينا (جلال) وكاد يلفظ أنفاسه..

تحرك (بدير) وتناول الكرسي، ثم هوى به فوق ظهرها فتهشم..

التفتت نحوه دون أن تتأثر بشيء..

طوحت (جلال) في الهواء فارتطم بالباب، وشجت رأسه فسقط

على وجهه فاقد الوعي..

اقتربت ببطء من (بدير) الذي تراجع في دعر وهو ينظر إلى السائل

الأخضر الذي يسيل من بين ساقها..

## غبار اللؤلؤ

قال الجن على لسانها:

- عشقتها من زمان، ومحدثش هيقدر ياخذها مني.  
ثم ضرب (بدير) فألقاه على الأرض، وهو يستطرد بغل:  
- أنا نمت معاها أكثر ما انت نمت معاها.

- قمقام

رن هذا النداء على نحو مباغت..  
التفتت (سناء) نحوه..

كان (جلال) قد استعاد وعيه، وأخرج زجاجة بها ماء مقروء عليه  
قرآن..

وقبل أن تتحرك؛ رش الماء على وجهها.. صرخت من الألم،  
وتصاعد دخان منها كأنها تحترق ثم سقطت على الأرض..  
صرخ (جلال):

- اخرج منها وإلا حرقتك.

لم يرد الجن الموجود داخل (سناء).. عاد (جلال) يكرر مهدداً:  
- بقولك اخرج منها وإلا حرقتك.

زحفت على بطنها باتجاه الحمام.. أشار (جلال) لـ (بدير):

- تعال ساعدني.. إوعى تخليها تدخل الحمام.

تكاتف (جلال) و(بدير) سوياً، واستطاعا ربطها من جديد..  
سكب (جلال) فوقها الماء مرة أخرى:

- اخرج.

قال الجن:

- هخرج من عينيها.

جلال:

- لا.. هتتعمي.

الجن:

- هخرج من بطنها.

جلال:

- لا.. هتموت.

الجن:

- هخرج من زورها.

جلال:

- برضه هتموت.. اخرج من صباع رجلها الصغير.

الجن:

- لا.

جلال:

- يبقى هحرقك.

وقبل أن يستعد لحرقه؛ وافق الجن على الخروج..

أحضر (جلال) طبقاً وسكب به بقية الماء، ثم وضع به قدم (سنا)..

تناول إبرة وشك بها إصبع قدمها الصغير، فخرج منه خيط دم أسود

سرعان ما تلاشى وسط الماء..

## غبار الأموات

دقائق، ثم استعاد وجه (سناء) حيويته وطبيعته البشرية..  
سألها (جلال) إذا كانت تتذكر شيئاً، فأجابت بالنفي..  
فك قيودها، وطمأن (بدير) أن الجن قد خرج، ثم طلب منه مسح  
المنزل كله بالماء والملح، وقراءة سورة البقرة صبيحة يوم جمعه.  
ترك (جلال) (بدير) حين بدأت تباشير الصباح تلوح في الأفق..  
وصل إلى منزل (قريش) وهو في أمس الحاجة للراحة والنوم بعد  
تلك الليلة العصبية..

فتح الباب ودخل..  
في طريقه إلى غرفته؛ استرعى انتباهه شيء أحمر موجود على الأرض..  
اقترب منه.. كان الكيس الحريري الذي يحوي غبار الأموات..  
أمسكه ورفعته عاليًا.. أيعقل أن يكون قد سقط من (قريش)؟!  
فتح الكيس بحذر، ثم فض محتواه على الأرض، وهو يتلفت حول  
نفسه كمن يخشى أن يقتحم أحد عليه المكان..  
تطلع إلى غبار الأموات.. تناول منه كتلة صغيرة، وتحسسها بين  
أصابعه في انفعال.. كانت صلبه لكنها ناعمة الملمس. فكر فيما يمكن  
أن يفعله بها..  
لحظة..

ثم ضغط عليها واستعد لفرورها.

\*\*\*

# 10

ابتسامة متوترة تلك التي ارتسمت على وجه (صفاء) حين طلبت  
منها الزواج..

كنا داخل سيارتي بعدما مررت عليها في الحضانة، واصطحبتها  
معي بحجة أن أقوم بتوصيلها للمنزل..

أزاحت خصلة من شعرها من فوق عينيها بطرف إصبعها في حركةٍ  
فاتنة، وهي تقول:

- أنت فاجأني يا إيهاب.

ناولتها باقة من الزهور كنت قد اشتريتها من عجوزٍ نائمة في الطريق:  
- اتفضلي.

أمسكت الباقة بين كفيها في فرحٍ طفولي، ثم قالت:

- بنفسج.

ابتسمت:

- عارف انك بتحييه.



## غبار الامور

نظرت لي بامتنان في حين استطردت قائلاً:  
- أنا فاهم إن تجربتك في الجواز مكنتش كويسة.. لكن أوعدك انك  
معايا هتكوني سعيدة.

قالت وهي تنظر من خلال زجاج السيارة على الطريق:  
- انت راجل محترم يا إيهاب، وهبة بنتك أنا حبتها لكن...  
قاطعتها:

- مش عايزك تستعجلي في القبول أو الرفض.  
توقفت أمام (كازينو) راقٍ يقع في طريقنا، وطلبت منها النزول..  
نظرت لي بتعجب.. قلت:

- نقعد نشرب حاجة ونتكلم شوية.  
استجابت لي ونزلنا سوياً..

فور دخولنا (الكازينو) استقبلنا نادل مهذب يرتدي (يونيفورم)  
بنفسجي.. همست لها:

- دي إشارة يا مارد.

ضحكت ولم ترد..

قادنا النادل إلى طاولةٍ مميزةٍ تمكنا من مشاهدة الحديقة الصغيرة  
التي تقع خلف (الكازينو)..

كانت هناك موسيقى رومانسية تنبعث في الأرجاء وتضفي مزيجاً  
من الراحة والسعادة.

- طلب كلانا فنجان قهوة.. ذهب النادل وعاد بهما سريعًا.. قلت لها:
- في المعظم.. الراجل بيطلب قهوة والست عصير.  
قالت وهي تأخذ رشفة من قهوتها:
- ده في الأفلام العربي بس.  
أخرجت علبة سجائر أجنبية، وسحبت منها واحدة، ثم وضعتها بين شفتيها الرقيقة، وأشعلتها بقداحة ذهبية عليها نقش حرف ال S.  
اندهشت.. قلت:
- أول مرة أعرف انك بتشربي سجاير.  
عبست في وجهي:
- في حاجات كتير انت متعرفهاش عني.  
فكرت في معنى كلماتها.. قلت:
- آسف لو كان كلامي ضايقك.  
قالت:
- تفرق معاك؟  
أخذت رشفة من قهوتي التي أوشكت أن تصير باردة، ثم أجبتها:
- لا.. طبعًا.  
نفثت بعض الدخان في ليونة وقالت:
- المشكلة إن مجتمعنا مبيتقبلش من الست كل حاجة.  
- كان زمان صدقيني.. دلوقتي المجتمع بقى منفتح أكثر من الأول.

## غبار الامور

قالت:

- ظاهرياً بس.. لكن في الحقيقة إن إحنا عندنا رجعية و جهل أكثر من كفار زمان.

ضحكت:

- كفار حته واحده.

ثم أمسكت يدها:

- سيبك من الكلام ده دلوقتي.. إحنا جاين هنا نستمتع بوقتنا.

سحبت يدها مني بحركة حادة، ثم قالت وكأنها لم تسمعني:

- بص يا إيهاب، أنا شفت مع جوزي اللي فات أسوأ أيام حياتي.

قلت:

- صدقيني معايا هتشوفي أحسن أيام حياتك.

نظرت إلى الأعلى:

- مش هكذب عليك.. أنا خايفة.

هتفت:

- خايفة مني؟

أطفأت سيجارتها في منفضة السجائر وهي ترد:

- أيوه.. خايفة منك.

ساد صمت ثقيل بيننا.

سألته:

- ليه بتقولي كدا؟

لم ترد بشيء.. ظلت على صمتها تنظر لي.. سألتها:

- ساكتة ليه؟

نقلت بصرها من وجهي إلى يدي التي بدأت ترتعش رغماً عني..

قالت:

- في الحقيقة مش عارفه السبب.. إحساس جوايا بيقولي أخاف

منك.

فتحت فمي لأتكلم لكنها ابتسمت وأكملت بسرعة:

- وإحساس تاني بيقولي أطمئن ليك وأسلمك حياتي.

سألتها مباشرة وبوضوح؛ هل توافق على الزواج مني أم لا؟

لم تقل شيئاً هذه المرة.. لكن وجهها كان يقول إنها.. موافقة.

\*\*\*

اشتعلت الزوابع من حول (جلال)..

ضم معطفه إلى صدره؛ اتقاء البرد حين خرج من المنزل، ثم أخذ

نفساً عميقاً وتقدم.. كان يعلم من البداية أن الجو عاصف لكنه كان

مضطرباً للذهاب لشراء الطعام..

بدأ المطر يتساقط فوقه، ويرتطم برأسه ووجهه..

بين الحين والآخر كان يمسح الماء من على وجهه بكم معطفه..

أخذ يسير حتى وصل إلى محل بقالة بابه نصف مفتوح..

## غبار اللؤلؤ

سلم على صاحب المحل، وتبادل معه حديثاً ودياً قصيراً، ثم اشترى منه ما جاء من أجله، بعدها مشى في طريق العودة..

مرت من أمامه جنازة جعلته يتوقف قليلاً.. تابع النعش المحمول فوق الأعناق وهو يتأرجح ذات اليمين تارة وذات الشمال تارة أخرى.. ميز عم (وحيد) من بين المشيعين.. التقت عيناهما في نقطة واحدة.. انسحب عم (وحيد) من الصف واقترب من (جلال) يصافحه بحرارة:  
- ازيك يا جلال.

- تمام. أخبارك إيه يا عم وحيد؟

ابتسم عم (وحيد):

- زي الفل.. فينك من زمان؟

هز (جلال) كتفه:

- موجود بس مشاغل الحياة زي ما انت عارف.

اقترب منه عم (وحيد) برأسه:

- رزق قاللي عنك حاجة زعلتني.

انتبه (جلال) لذلك وقطب جبينه:

- حاجة زي إيه؟.. أنا ماشي على الصراط المستقيم.

قال عم (وحيد) بلهجة ذات مغزى:

- قريش.

وصمت ليرى وقع الاسم على (جلال) ثم عاود الكلام:

- قریش ده راجل ابن حرام ملعون.  
ردد (جلال):
- صدقني ده راجل طيب.  
وضع عم (وحيد) يده على كتف (جلال):
- صدقني انت الراجل ده مفيش من وراه غير الشر والخراب.  
نظر إليه (جلال) بشيءٍ من الاضطراب وقال:
- قریش راجل مصلح، ويساعد ناس كثير بعلمه.
- علم إيه.. ده هو اللي بيعمل للناس الأعمال وبيربطهم، وبيرجع يفكها.
- اعترض (جلال):
- لا.. مبيحصلش كدا.  
صاح عم (وحيد):
- هو اللي بيزرع الشر ويرجع يحصده.
- ده يساعد الناس.. أنا شفت بعيني.
- شفت بعينك نص الحقيقة..
- ثم صمت للحظة وسأل بعدها:
- طيب هو فين دلوقتي؟  
لوح (جلال) بيده:
- مش عارف.. بقاله أكثر من أسبوعين مختفي.

## غبار الأسوار

- طيب دي فرصة كويسة.. هات حاجتك وتعالى اقعد معايا..  
وليك عليا أدور ليك على شغلانه تكسبك الشهد.  
قال (جلال) بزهد:  
- أنا مبصش للفلوس.  
احتد عم (وحيد):  
- آمال بتبص لإيه.. للجن والعفاريت؟  
- لا.. للعلم.  
هزه عم (وحيد) من كتفيه:  
- علم إيه يا ابني.. أبوك مات بسبب الحاجات دي.  
قال (جلال) بتجهم وهو يشير إلى الجنازة التي ابتعدت:  
- الحق الجنازة يا عم وحيد.  
تنهد عم (وحيد) في أسى وقال:  
- قريش بيستغلك.. متآمنش له.  
هز (جلال) رأسه، وأعطى عم (وحيد) ظهره منهياً هذا الحديث، ثم  
أسرع الخطى عائداً إلى المنزل..  
دلف إلى الداخل وأغلق الباب في عجلة بينما أسنانه تصطك من  
البرد والتفكير في كلام عم (وحيد)..  
خلع معطفه ووضع الطعام أمامه.. لم يستطع أن يتناول لقيمة  
واحدة..

نهض وتوجه إلى غرفته..

توقف أمام سريره ثم انحنى على ركبتيه حتى لامس الأرض، ومد يده تحت السرير، وأخرج كيس غبار الأموات..

رجع بذاكرته إلى وقت أن عثر عليه.. كان قد أوشك على استخدامه لكنه في اللحظة الأخيرة تراجع، وأعاد الغبار داخل الكيس ثم أخفاه هنا.. كان يخشى من (قريش).. فكر أن هذا قد يكون اختباراً له.. (قريش) لا يمكن أن يفقد الكيس بتلك السهولة، ثم يختفي كل هذه المدة.

مرت بضع ليالٍ بعد ذلك..

وفي ذات ليلة ذكراها لن تمحي من ذاكرة (جلال) فيما بعد؛ سمع حركة فتح باب المنزل ثم ظهر (قريش) على عتبه..

وقبل أن يرحب (جلال) به؛ ظهرت من خلف (قريش) امرأة ترتدي السواد ولا يظهر منها غير عينيها التي ترتعشان من وراء الحجاب..

رمقت المرأة (جلال) بنظرة خاطفة ثم ضربت بصرها في الأرض.. تسمر (جلال) لبرهة في مكانه ونظر لـ (قريش) في تساؤل.

- ازيك يا جلال.

قالها (قريش) بابتسامة عريضة وهو يضمه إلى صدره، ثم أشار إلى

السيدة واستطرد:

- مراتي.



## غبار الأسوار

اندهش (جلال).. ابتلع كلمة استهجان كانت ستخرج من صدره..

ردد:

- مراتك!

لمعت عينا (قريش) ثم مد يده وأزاح النقاب عن زوجته..

كانت فتاة في بداية العشرينات من العمر، نحيلة إلى حد ما، جميلة

الملامح، شعرها أملس كالحرير ومنسدل حول كتفيها..

كانت خجولة..

كانت حبيبة (جلال)..

(عيشة).

\*\*\*

تزوجت (صفاء) بعد مضي أيام قليلة.. فضلنا نحن الاثنان أن يكون

زفافنا بسيطاً خالياً من التعقيد والبهرجة الزائفة.. في الواقع كنت أجد

صعوبة للوقوف داخل الكوشة في مثل هذا السن..

أدركت (صفاء) ذلك وتفهمته جيداً.. ذهبت للكوافير وارتدت

فستان زفافٍ جميل، ثم اصطحبتها من هناك وعدنا إلى المنزل بلا

ضجيج..

كانت ليلتنا الأولى ليلة عجيبة.. بدا أن كلينا لم يذق حلاوة الزواج

من قبل..

تمرغ كل منا في أحضان الآخر حتى انطفأت أشواقنا.. وحين ظننا أنها صارت باردة؛ عادت وتأججت وخصنا جولة أخرى أكثر سخونة. في اليوم التالي أو (الصباحية).. استيقظت (صفاء) أولاً ثم أيقظتني بلمسةٍ وقبله..

راقبتها وهي تنزل من على السرير وترتدي ملابسها التي تناثرت فوق الأرض.. أطلت التأمل فيها:

- انتي جميلة.

التفتت نحوي.. قالت في غنج:

- عارفه.

جذبتها نحوي:

- مستعجله ليه؟

أجابت:

- هحضر الفطار.

حررت ثوبها من فوق صدرها وأنا أهتف:

- مش ضروري نفطر.

ابتسمت ثم تسللت من بين يدي وهي تقول:

- كفاية كسل.. يلا قوم.. أنا هاخذ شاور وبعدين أحضر الفطار.

تركها تذهب.. لحظات ثم سمعت صوت الماء وهو يرتطم

بجسدها.. فكرت أن أنهض وأشاركها الاستحمام لكن استحيت من

(هبة).. ماذا لو سمعنا أو رأينا نخرج سوياً من الحمام؟!!

## غبار اللؤلؤ

انتظرت في الفراش لمدة ليست بالطويلة ثم نهضت..  
مررت في طريقي على (هبة).. كانت تجلس تتصفح هاتفها  
المحمول بحدة وانتباه وكأنها تفعل شيئاً بالغ الخطورة والأهمية..  
ألقيت عليها التحية فانتبهت لي كما لو وخزتها إبرة.. ابتسمت ابتسامة  
ماكرة وقالت:

- صباحية مباركة.

تجاهلت التلميح في كلامها ودنوت منها، ثم حاولت استراق النظر  
إلى شاشة هاتفها..

أخفت الهاتف بكف يدها، وقالت باعتراض:

- احترم خصوصيتي يا أبو هبة.

كدت أنطق لولا أن سمعت صوت (صفاء) يناديني من المطبخ:

- إيها ب.

- أيوه جاي.

قلتها بمرح، وأنا أقفز من مكاني بخفة القط، ثم دخلت المطبخ..  
وجدت (صفاء) منهمكة في إعداد الإفطار، وقالت دون أن ترفع  
وجهها نحوي:

- التعامل مع الشباب في سن هبة مش بيكون بالشكل ده.

- بنتي وأنا فاهمها كويس.. متقلقيش.

- بيتهيا لك.. واضح إنها مش مستريحة لوجودي.

قبلتها في عنقها:

- هتحبك بس اديها فرصة.

خضنا جدالاً سريعاً حول (هبة) ثم ساعدتها في حمل الأطباق إلى  
المائدة وحرصها..

تغاضيت عن نظرة الاستنكار التي لمحتها في عين (هبة) حين رأني  
أضع الأطباق..

مر بقية اليوم على النحو المعتاد، وكما يجب أن يكون بين (عريس  
وعروسه)..

الأيام التالية كانت رائعة.. قضيتها ما بين لهو أو مشاكسات صغيرة  
مع (هبة)..

زرت خلال تلك الأيام (فؤاد)، وأعطيته الماسة المتبقية، وحصلت  
على نقودها منه في نفس اليوم..

تعجبت (صفاء) حين وجدت هذا الكم الكبير من النقود وسألته  
عن مصدرها.. اختلقت لها كذبة مقنعة فصدقها.

خلال تلك المدة ظل المخلوق يظهر لي كطيف بين الحين والآخر..  
كان يطلب مني أن أحضر له ضحية جديدة بأي طريقة وأي ثمن.

ذات يوم جلست مع نفسي وتأملت إلى ما وصلت إليه، ثم عزمت  
على عدم الذهاب إلى شقتي القديمة وجلب الضحايا إلى هذا المسخ..

## غبار الاموال

لدي الآن أموال تكفيني حتى الممات .. حان وقت التوقف .. حان وقت  
أن أقول لا .. لا ..  
لكن ..

وفي اليوم التالي مباشرة لقراري هذا؛ جاءني رسالة من شخص ..  
رسالة جعلتني أعيد كل حساباتي من جديد ..  
كانت الرسالة من ...

\*\*\*

حاول (جلال) الصمود لبعض الوقت وإخفاء صدمته لكن معرفة  
أن (قريش) تزوج (عيشة) كان أقوى منه ..  
غادر منزل (قريش) وعاد إلى بيته القديم دون ذكر أسباب ..  
ظل ليومين ماکثاً فوق السطح وتحديدًا فوق برج الحمام القديم ..  
في اليوم الثالث ومن أعلى نقطة فوق البرج لمح (قريش) وهو  
يتقدم في اتجاهه .. كان الوقت مبكرًا وكان نور الصباح ما زال رضيعًا  
ينمو في الأفق ..

نزل (جلال) من فوق البرج واستقبله على الباب.

- والمصحف والإنجيل والتوراة أنا زعلان منك.

حاول (جلال) منع شبح ابتسامة باهتة ظهرت على وجهه حين قال  
(قريش) ذلك.

طلب (جلال) من (قريش) الدخول لكن هذا الأخير رفض وسحبه معه وهو يقول:

- خلينا نتمشى شوية.

سار الاثنان سوياً داخل مدق ضيق يقع خلف منزل (جلال) مباشرة..

أخرج (جلال) كيس غبار الأموات وقدمه له:

- تقريباً الكيس كان وقع منك.

نظر (قريش) للكيس بلا اكتراث، ثم تناوله منه وطوحه بعيداً قائلاً:

- دول شوية رماد من الفرن.

والتفت لـ (جلال):

- أنا كنت بختبرك.

عقد (جلال) ساعديه وقال:

- أتمنى أكون عند حسن ظنك.

ضحك (قريش) ضحكة اهتز لها صدره:

- أكيد.. أكيد.

ثم جلس فوق (مصطبة) حجرية تقع في نهاية المدق وأشار لـ (جلال) بالجلوس..

أخبر (قريش) (جلال) أنه ينوي ترك القرية، والانتقال إلى القاهرة:

- الفلوس هناك كثير قوي يا جلال.

## غبار اللؤلؤ

ابتسم (جلال) ابتسامة شاحبة:

- سمعت كذا فعلاً.

أخرج (قريش) من جيبه كومة كبيرة من النقود ووضعها في يد

(جلال):

- خد دول.

سحب (جلال) يده:

- لا.. خليهم ليك.. أنا مش محتاج فلوس.

هتف (قريش) بعناد:

- خد اسمع الكلام.

تناول منه (جلال) النقود على مضض، ووضعهم في جيب قميصه

العلوي..

دعاه (قريش) لزيارته الليلة وتناول العشاء معه، ثم انصرف دون

إعطائه فرصة للرفض.

وهكذا وحين أقبل المساء؛ كان يقف أمام منزل (قريش) يطرق

الباب..

فتح له (قريش) وهو يرتدي جلباباً أبيض اللون تفوح منه رائحة

العطر، وقد ابيض وجهه فبدا مشرقاً قبل أن يقول بترحاب:

- ادخل يا جلال.. ادخل.

ثم انتظر حتى دخل (جلال)، وأوصد الباب جيداً وعلى نحو غير مسبق..

مسح (جلال) المنزل بنظره بحثاً عن (عيشة) لكنه لم يعثر عليها وإن كان قد سمع صوتاً يأتي من المطبخ.

نادى (قريش):

- العشا يا عيشة.

ثوان، ثم ظهرت (عيشة) من ناحية المطبخ، وهي ترتدي (طرحة) بيضاء وعباءة منزلية بنفسجية اللون..

رحبت (عيشة) بـ (جلال)، ثم وضعت على الأرض (صينية) كبيرة مصنوعة من الألمنيوم، ومنقوش على حوافها رسومات لصبي وصبية..

عادت للمطبخ وبدأت في وضع أطباق العشاء على (الصينية)..

نظر (جلال) إلى وجهها وابتسم رغماً عنه وهو يقول:

- مكنش فيه داعي لكل ده.

ربت (قريش) على ظهره، وقال وهو يضحك:

- انت حبيبي يا جلال.

وأشار لـ (جلال) أن يأكل بينما انزوت (عيشة) في أحد الأركان

تتابعه بعينها..

بعدما انتهيا؛ أزاحت (عيشة) الطعام، ثم جاءت بـ (براد) شاي

نحاسي يتصاعد بخار الماء من فوهته المعوجة..



## غبار اللؤلؤ

سحب منها (قريش) (الصينية) وصب الشاي لـ (جلال):

- اشرب.. دفي نفسك.

تناول منه (جلال) الشاي، وهو ينظر إلى (عيشة) بطرف عينيه حتى

عادت إلى ركنها وقبعت فيه منكمشة على نفسها..

لاحظ (قريش) نظرة (جلال) فصب لنفسه كوب شاي، ثم نفخ على

حافته ورشف رشفة سريعة قائلاً:

- أنا راجل قربت على التمانين.. وعيشة صبية.. هترجعني شباب.

جاهد (جلال) نفسه لكي يقول:

- ربنا يبارك ليك فيها.

- تسلم يا حبيبي.

ثم انقطع الكلام بينهما لدقائق إلى أن وصله (قريش) حين نهض:

- أستاذك دقيقة هروح الكنيف.

- اتفضل.

وانتظر (جلال) حتى غاب (قريش) ثم هرع مسرعاً إلى (عيشة)

وأمسكها من ذراعها بقسوة، وهو يهتف بحدة:

- قريش يا عيشة.

سحبت ذراعها منه:

- أعمل إيه.. فضلت ارفض كثير.. ومقدرتش على كلام الناس.

صاح بمرارة:

- أنا دورت عليكى كثير.  
- وأنا استنيتك أكثر.  
مد (جلال) عنقه باتجاه الحمام ليتأكد أن (قريش) لم يخرج بعد،  
وقال:

- مش هينفع نتكلم هنا.. تعالى لي بكره عندي في البيت.  
اتسعت عينا (عيشة):  
- مش هينفع.. أصل...  
قاطعها بصرامة:  
- بكره يا عيشة.  
ثم عاد بسرعة إلى مكانه..  
حين عاد (قريش) لاحظ العرق الذي غمر (جلال) نتيجة التوتر،  
فقال له:

- شكلك حران.. تحب افتح لك الشباك؟  
- لا.. لا.. أنا تمام.  
ثم نهض واستطرد:  
- همشي دلوقتي.  
- ما لسه بدري.  
وعلى الباب وقف (قريش) يودعه، وبجواره وقفت (عيشة) تطرق  
برأسها أرضاً.

## غبار البوم

- البيت بيتك يا جلال.

أوماً (جلال) برأسه وقد لاحظ ولأول مرة ابتسامة (قريش)  
المتهكمة، ويده التي عبث أسفل ظهر (عيشة) خلسة..

قال (جلال):

- أكيد... طبعاً.

ثم انصرف حانقاً..

طارت بومة فجأة في وجهه أثناء الطريق.. تابع البومة وهي تتخذ  
مساراً مرتفعاً قبل أن تتوقف فوق أغصان شجرة توت قديمة..

أدار وجهه نحو بيت (قريش) والذي ما زال تحت مرمى بصره..

نادى بصوتٍ متحشرج:

- عيشة.

بدأ يسمع حركة خلف الأبواب والنوافذ المغلقة للبيوت القريبة

منه..

كان الظلام يغشي قلب وعين (جلال) أكثر من ظلام تلك الليلة..

كرر نداءه مرة واثنين وثلاث.. دون رد.

وفي نفس الوقت كان (قريش) يلتفت لـ (عيشة) وهو ينظر لها نظرة

جوع.. قالت:

- مكش فيه داعي تحرجه كدا.

جذبها من ذراعها فجأة:

- تعالي هنا.

صاحت:

- مالك؟

ضمها لصدره:

- بقولك تعالي.

ثم قبل عنقها بلهفةٍ وجوع.. خلع ملابسه ولم يبق غير لباسه الداخلي  
القصير ليداري سوءته.

حاولت الابتعاد عنه..

تراجعت حتى التصقت بالحائط.. ضمت يديها إلى صدرها بينما  
ترقرقت الدموع في مقلتيها.. لو لم يكن من العار أن تصرخ لصرخت  
حتى انهار السقف فوق رأسيهما..

حاصرها في ركن الغرفة، ثم أرقدها على الأرض وعيناه تلمع ببريق  
الشهوة..

استوحشت نظرتة ووجهه.. مدت يدها وأطفأت النور حتى لا  
تراه.. أغمضت عينيها وتركت نفسها له.. لحظة ثم بدأت تن وتوجع.

\*\*\*

# ١٦

(فوزي)..

جلست أنظر في وجه صديق العمر الذي غدر بي منذ سنوات وتزوج  
(إيمان). كان هو من أرسل لي الرسالة وطلب مقابليتي.. صحيح أنني  
فوجئت لكنني شعرت برغبة ملحة في معرفة ما آلت إليه أموره وكيف  
أصبح.

أشعل (فوزي) سيجارة، ثم نفث دخانها ببطء وضحك في وجهي،  
فخرجت منه أنفاس كريهة جعلت أمعائي تتشاجر مع نفسها..  
كنا نجلس داخل مقهى بلدي؛ اعتدنا أن نتسامر فيه إبان فترة شبابنا..

قال:

- فإكر القهوة دي يا إيهاب؟

بتلقائية نظرت حولي في كل اتجاه.. قلت:

- أكيد.

أشار إلى الشاشة العملاقة التي تحتل مكاناً مميزاً داخل المقهى  
وقال:

- كان مكان الشاشة دي تليفزيون ألوان وفيديو.  
وصمت لبرهة ثم أردف:

- اتغيرت كثير.

قلت:

- كل حاجة بتتغير مع الزمن.  
قال وهو يعيد رأسه إلى الوراء:

- صحيح.

قلت بلهجة ذات مغزى:

- حتى الصباح.

نظر في وجهي وهرش لحيته السوداء النامية قائلاً:

- أنا عارف انك زعلان مني.

ثم بصق على الأرض وسحق بصقته بحدائه واستطرد:

- صدقني أنا خدمتك.. هي دي ست تتعاش.

ضغطت على نواجذي ثم قلت:

- عاوز إيه من غير لف ودوران؟

ابتسم ابتسامة واسعة؛ أظهرت سنته الأمامية المصنوعة من الذهب:

- بس هي أم بنتك هبة في الأول والآخر.

## غبار اللؤلؤ

هتفت بحدة:

- اخلص.

أخرج هاتفه وقدمه لي:

- امسك اتفرج.

- على إيه؟

صاح:

- مالك خايف ومهزوز كدا؟.. خد اتفرج على الفيديو ده.

تناولت منه الهاتف ونظرت إلى شاشته.. ارتفع ضغط دمي حين

شاهدت الفيديو الذي يعرضه..

نظرت إلى (فوزي) بغضب ثم إلى الفيديو الذي تظهر فيه (إيمان)

وهي عارية وتمارس الجنس معه.. من زاوية التصوير كان يظهر أنها لا

تعلم بوجود كاميرا.. قلت:

- انت بتصور مراتك؟

بصق على الأرض:

- كانت مراتي.. أنا طلقته من فترة.. بس ده مش موضوعنا.

قلت:

- أمال إيه موضوعنا؟

ضيق حدقتا عينيه:

- الفيديو ده ممكن انشره، وفي خلال خمس دقائق، هيبقى أشهر فيديو سكس في مصر.

قلت محاولاً أن أبدو غير مكترث:

- وأنا يهمني إيه في حاجة زي دي؟

أشعل سيجارة جديدة وقال في شيء من الخشونة:

- يهملك إنها أم بنتك.. تخيل كدا لو بنتك وصل ليها خبر، أو

صحابها شافوه مثلاً.. انسى بعد كدا إن حد يتجوزها أو تعيش عيشة طبيعية.

تراجعت في مكاني بحركة حادة وأنا أفكر في كلامه.. قلت:

- وطبعاً انت عاوز فلوس عشان متشرش الفيديو.

ابتسم:

- يا سلام عليك.. طول عمرك بتفهمها وهي طيارة.

قلت:

- ده ابتزاز.

قال ساخرًا:

- ابتزاز إيه يا عم.. خليك خفيف.. اعتبرها هدية.. أقولك اعتبرها

صدقة وهتاخد عليها ثواب.

حاولت أن أنطق لكنه اقترب بوجهه مني وقال بخبث:



## غبار اللؤلؤ

- وعلى فكره عندي إصدارات كثير من الفيديو ده وبأوضاع نار..  
نار يا إيهاب.

تفرست في ملامحه القبيحة.. سألته بلهجة حاولت أن أجعلها  
هادئة:

- عاوز كام؟

لمعت عيناه في جشع:

- خمسين ألف حلوين قوي.

قلت:

- لكن مش معايا المبلغ ده دلوقتي.

- وماله استناك كمان يومين تلاته.

- تمام.

وناديت على (القهوجي) ثم نقدته حساب المشروبات..

التفت لـ (فوزي) أقول وكأني تذكرت للتو:

- بص انا معايا مبلغ بسيط.. ايه رأيك تركب معايا العربية، وتيجي

تاخده دلوقتي؟

سألني:

- على فين؟

أجبتة:

- على شقتي القديمة.. طبعاً انت فاكرها.

ابتسم:

- طبعًا.

ابتسمت:

- وحشتني قوي يا فوزي.. قوي.

\*\*\*

كان الوقت ليلاً حين توقف (الأسطى منجد) بسيارته الأجرة أمام منزل (قريش) قبل أن يضرب (الكلاكس) عدة ضربات متعاقبة وسريعة..

دقائق، ثم فتح باب المنزل وخرج (قريش) وهو يلف نفسه بمعطف أزرق ثقيل..

ألقي تحية على (منجد) وركب في المقعد الخلفي كما اعتاد، ثم انطلقت السيارة تلتهم الطريق.

بعد نصف ساعة كاملة؛ فتح باب المنزل مرة أخرى لكن هذه المرة خرجت (عيشة) وهي تخفي وجهها بشال أسود مصنوع من الحرير.. كانت تعلم أن (قريش) حين يركب تلك السيارة لا يعود إلا قرب الصباح الباكر وهو منهك، خائر القوى، ويحمل عطر امرأة مجهولة... قطعت (عيشة) معظم الطريق إلى منزل (جلال) ما بين هرولة وركض..

على الناحية الأخرى كان (قريش) قد وصل إلى هدفه..

## غبار اللؤلؤ

إلى فيلا (ليلي) هانم..

ترجل من السيارة ثم طرق باب الفيلا وهو يجز على أسنانه في  
شغف..

نزلت (ليلي) هانم من الدور العلوي وهي تختال في قميص نومٍ  
أحمر شفاف..

تململ (قريش) في مكانه حين شعر أنها تأخرت، فعاد وطرق الباب  
لكن هذه المرة بقوة أكبر..

سمع صوت خطوات (ليلي) تقترب قبل أن تفتح له الباب وتظهر  
على عتبه وهي تتبسم في نعومة.

- اتأخرتني.

قالها (قريش) بحنق فلم ترد عليه.. تركته يحيط خصرها بذراعٍ  
واحد، ثم يغلق الباب وراءهم بقدمه ويصعد بها إلى غرفة نومها..

فوق السرير فكت خيوط قميص النوم فسقط من فوقها دفعة واحدة،  
وأصبحت كتلة واحدة من اللحم الأبيض..

اقترب منها (قريش) وتحسس جسدها الطري، ثم غاص بين  
ذراعيها.

في نفس الوقت كانت (عيشة) قد وصلت إلى منزل (جلال) الذي  
لمحها من فوق برج الحمام، فأسرع يفتح لها الباب حتى لا يلاحظها  
أحد، وسحبها إلى الداخل..

وقبل أن تفتح فمها بكلمة ضمها إلى صدره وقبلها بقوة.  
- لا يا جلال.

حاولت أن تقاومه مقاومة واهنة..

أوقعها على الأرض..

تفجرت مشاعرها كالبركان..

اعتصرت شفثيه حتى كادت أن تلتهمه..

ضمته بلهفة..

وشوق..

وحرمان..

وحين كانا يبدآن جولتهما؛ كان (قريش) قد انتهى ونهض من فوق  
(ليلي)..

ارتدى ملابس على مهل، ثم انصرف بعد أن تحسس بطن (ليلي)  
وقبله قبلة طويلة كلها حنان..

ثم ركب مع (منجد) من جديد..

وانطلقت السيارة في طريق العودة..

لكن هذه المرة كانت (عيشة) عارية بين أحضان (جلال).. كانت لا  
تدرك أن (قريش) قد أوشك على الوصول إلى المنزل..

طلب (جلال) منها الهرب معه..

وافقته بلا تفكير..

## غبار الأموات

لكن أولاً لا بد من أخذ مصادر قوة (قريش).. غبار الأموات،  
وكتاب إينوخ..

أعطاها (جلال) زجاجة بها سائل منوم وطلب منها أن تضعه لـ  
(قريش) في الطعام.. وحين ينام سوف يأتي هو ليسرق الغبار والكتاب..  
عقدا كلاهما العزم على تنفيذ الخطة ليلة الغد...  
نعم ليلة الغد وليكن ما سيكون.

ارتدت (عيشة) ثيابها وانصرفت من عند (جلال) الذي ودعها على  
الباب..

أسرعت الخطى وهي تلهث من فرط النشوة..  
لكن هل ستصل للمنزل أولاً، أم أن (قريش) سوف يسبقها ويعرف  
أنها خرجت.

\*\*\*

- اتفضل.

قلتها لـ (فوزي) بنشوةٍ عجيبة وأنا أفتح له باب شقتي القديمة..  
تقدم للدخل وهو يضع يده داخل جيب بنطاله في ثقة قبل أن يقول:

- حلوة الشقة دي.. تبعها يا إيهاب.

ابتسمت وأنا أشير له بالجلوس:

- لا.. أصلي لها عندي ذكريات جميلة.

أشاح بيده في سخط:

- ذكريات إيه يا عم.. المهم المصاري.  
قلت وأنا أتوجه للمطبخ:
- سيبك من ده دلوقتي.. مقلتلش إيمان راحت فين دلوقتي؟  
سمعت ضحكته:
- راحت في ستين داهية.  
فتحت الثلاجة، ثم أخرجت علبة عصير وصببت بعضاً من محتواها  
في كوب كبير حتى امتلأ إلى آخره..  
أخرجت علبة حبوب منومة؛ تناولت منها حبتين وفركتهما جيداً  
حتى تحولا إلى ما يشبه (البودرة) وأذبتها داخل العصير..  
أملت رأسي قليلاً من وراء باب المطبخ لأتأكد من أن (فوزي) ما  
زال في مكانه..  
حين تأكدت أنه لم يلحظ شيئاً؛ حملت العصير وقدمته له وأنا أقول:  
- طول عمرك بتاع مصلحتك.  
ابتسم وهو يرفع العصير إلى فمه:  
- المصالح بتتصالح يا إيهاب.. بس تعرف حاجة إيمان دي فرسه..  
متعني جامد.  
شرب نصف كوب العصير دفعة واحدة قبل أن يتوقف وييدي بعض  
الامتعاض.. نظر للكوب باستغراب:  
- طعمه غريب.

## غبار الاموال

حاولت أن أبتسم:

- الفاكهة اليومين دول بقت مليانة كيماويات.

هز رأسه:

- الجشع ملئ قلوب الناس بعيد عنك.

ثم عاد ورفع الكوب على فمه.

أخرجت من جيبى رزمة من النقود، ووضعتها أمامه حتى أصرف

انتباهه عن الطعام وقلت:

- دول ١٠ آلاف جنيه.

وضع الكوب على (الصينية) بعد أن شرب منه آخر قطرة وقال:

- حلوين دلوقتي.

ثم اختطف النقود وراح يعدها في لهفة:

- طول عمرك ابن حلال يا إيهاب.

قلت:

- وانت طول عمرك ابن حرام.

توقف عن العد فجأة، ثم تطلع في وجهي لبرهة وقد ارتسم على

ملامحه شيئاً من الغضب.. وضع النقود في جيبه وسألني بحدة:

- بقية الفلوس هتجيبها امتي؟

أجبت:

- قريب.. اعتبرها في جيبك.

- نظر لي نظرة فارغة، وقال بتهديد:
- قدامك يومين بالضبط، وبعدين انت المسؤول عن اللي هيحصل.
- ثم سكت قليلاً، وبدأ تغيير بسيط يظهر على وجهه.. قال:
- الجو حر.
- بالعكس الجو جميل النهارده.
- فك أزرار قميصه العلوية، وهو يتنفس بصعوبة:
- ازاي؟.. أنا حاسس بخنقة.
- وامتقع وجهه حين أردف:
- ولا العصير هو السبب.
- ثم نظر لي وإلى كوب العصير في فزع، وكأنه يتذكر طعمه:
- انت حطيت فيه حاجة؟
- اتسعت ابتسامتي وأنا أرد بخبث:
- احتمال.
- بعينين جا حظتين؛ أمسك بتلابيب ملابسي وهو يصرخ:
- هقتلك.
- لكن قواه خارت دفعة واحدة وسقط على الأرض.. نظر لي بحسرةٍ
- ثم قال بوهن:
- هتعمل فيا ايه؟



## غبار اللؤلؤ

لم أرد عليه.. فقط راقبته حتى همدت حركته وخرجت رغوة بيضاء  
من بين شفثيه..

مددت يدي في جيبه، وأخرجت منه النقود ووضعتها في جيبى..  
بصقت على وجهه، ثم سحبت من قدميه حتى وصلت إلى غرفة  
(الخبزين)..

كان ثقيل الوزن وكاد أن يقسم ظهري.. قلت وأنا أبصق على وجهه  
مرة أخرى:

- طول عمرك مؤذي.

ثم فتحت باب الغرفة..

كانت الغرفة قد أمست أشبه بغابة من خيوط العناكب..

سحبت (فوزي) حتى وضعت أمام المرأة ثم خرجت وأغلقت  
الباب خلفي..

جلست على أقرب مقعد، وانتظرت لوقت بدا طويلاً.. قبل أن  
أسمع أصوات التقطيع والمضغ.

\*\*\*

لم تكد (عيشة) تدخل البيت وتغلق عليها بابها حتى سمعت طرق  
(قريش) ونداءه.. بسرعة بدلت ملابسها وهرعت لتفتح.. توقفت أمام  
الباب لثانية واحدة لتستعيد رباط جأشها وترسم الهدوء على وجهها، ثم

تنفست بعمق وفتحت.. طالعها (قريش) بسحنته وابتسامته الصغيرة..  
نظر لها للحظة وتفرس فيها قبل أن يقول بصوتٍ أجش:

- كنتي نايمة؟

هزت رأسها بالنفي:

- لا.. كنت بنصف البيت.

- في الوقت ده!

ثم ابتسم واستطرد:

- متعرفيش إن التنضيف في الوقت ده بيحضر الجن.

- لا معرفش..

ثم اتجهت نحو المطبخ وأردفت:

- تحب أجهز لك العشاء.

أشاح بيده:

- لا.. أنا اتعشيت بره، نحمد الرب.

التفتت نحوه:

- انت بتتكلم زي المسيحين ليه كذا؟

اقترب منها وقال:

- كل الديانات من عند ربنا.. وأنا لما أحب أكون مسلم أكون،

مسيحي ماشي، يهودي مفيش مشكلة.

ثم رفع يده ناحية السماء:

## غبار الأسوار

- أنا قريش .

وتركها ونزل إلى القبو وأغلق خلفه الباب.

اليوم التالي؛ حاولت (عيشة) أن تتصرف على نحوٍ طبيعيٍّ..  
نهضت من الفراش في ميعادها المعتاد بالرغم من أنها لم يغمض  
لها جفن..

أعدت لـ (قريش) الإفطار وجلست تأكل معه، بعدها حاولت  
الانشغال في أعمال البيت، بينما نزل هو إلى القبو، ولم يخرج منه إلا  
وقت الغداء حيث أكل بسرعة، ثم نزل مرة أخرى.

حين غابت شمس النهار؛ سمعت (عيشة) صوت نقر على زجاج  
نافذة غرفتها..

فتحت النافذة لتجد (جلال) يقف في الأسفل وهو يضع لثامًا على  
وجهه..

وجود (جلال) أعطاها بعض الأمان والثقة.. أشار لها بأنه معها ولن  
يتركها مهما حدث..

ثم حانت اللحظة الحاسمة المنتظرة، وسمعت (قريش) يناديها:

- الأكل يا عيشة.

تحركت للمطبخ وهي تتلمس جدران البيت دون أن تشعر:

- بسرعة.

انتبهت لنفسها ولـ (قريش) الذي استعجلها وهو يتخذ مجلساً له على الأرض.

- حاضر.

قالتها، ثم دخلت المطبخ ووضعت الطعام فوق (صينية) صغيرة..  
أخرجت زجاجة المنوم وصبت السائل على الطعام، ثم قلبته جيداً..  
قدمت الأكل لـ (قريش) ثم ابتعدت.. سألتها:

- مش هتاكلي؟

وضعت يدها على فمها:

- معلىش أصل نفسي غما عليا.

قال باهتمام:

- الدورة جت ليكي الشهر ده؟

قالت كذباً:

- لا.

ابتسم، ثم نظر لبطنها:

- روجي طيب استريحي ونامي على ضهرك.

أخذت منه الكلام، وهرعت إلى غرفتها مسرعة كأنها كانت تنتظر

ذلك..

أغلقت خلفها الباب واستندت عليه بظهرها وهي تتنفس بصعوبة..

كان قلبها ينبض بعنف والعرق يغمر وجهها من فرط الخوف والتوتر.

## غبار الاموات

بعد مدة خرجت ..

سارت إلى حيث كان يجلس (قريش) وهي تنادي عليه بصوتٍ خفيض ..

وجدت (صينية) الطعام في مكانها، ولكنها لم تجد أدنى أثر لـ (قريش) ..

مشت ببطء وهي تتوقع أن يقفز في وجهها ويقتلها ..

شعرت بنبضات ألم في صدرها، ورأت باب القبو مفتوحًا .. نادى:  
- قريش .

لم يصل لها رد ..  
هبطت أولى درجات سلم القبو النصف مظلم وهي تتحسس خطاها ..

في منتصف السلم؛ شاهدت (قريش) ملقى على وجهه فاقد الوعي، وهناك جرح في منتصف جبهته نتيجة سقوطه ..

نكزته في ظهره بيدها، ونادت عليه بخوف من أن يكون قد مات:  
- قريش .

سمعت صوت أنفاسه، فهدأت أعصابها إلى حدٍّ ما ..

أسرعت الخطى وفتحت الباب لـ (جلال) الذي دلف للداخل، وهو يتلفت يمينا ويسارا:

- طميني .

أشارت للقبو:

- هو مغمى عليه هناك.

أوماً برأسه وطلب منها أن تنتظره، ثم انطلق باتجاه القبو وهبط السلالم..

في طريقه عبر فوق (قريش) بقفزة واحدة..

داخل القبو؛ استطاع أن يعثر على كتاب (إينوخ) موجوداً فوق الرف..

بحث عن كيس (غبار الأموات) فلم يجده.. عاد إلى (قريش) يتفحصه.. عثر على الكيس حول عنقه.. فجأة فتح (قريش) عينيه وقبض على يد (جلال):

- جلال.

حاول (جلال) انتزاع الكيس لكن (قريش) رام بغل، ثم ركله في صدره..

تدحرج (جلال) فوق السلالم حتى ارتطم بأرضية القبو في عنف.. نهض (قريش) وهو يستند على الحائط بصعوبة وأنفاسه تكاد أن تضيع..

نظر إلى (عيشة) التي وقفت على باب القبو تتابع ما حدث وهي ترتعش..

## غبار الأموات

تلونت ملامح (قريش) بنار الغضب واحتقن وجهه وهو يصعد

إليها:

- أندال...

ثم فتح كيس (غبار الأموات) وفرك قطعة منه وهو يكمل:

- هقتلكم يا ولاد ال...

بتر جملته على نحوٍ مفرع.. استدار للوراء في ألم.. نظر إلى (جلال)

وإلى الخنجر الذي يحمله وقد اصطبغ بالدماء.. تحسس مكان الطعنة

في ظهره.. أصابعه غارت داخل الجرح.. شهق:

- بتوجع قوي يا جلال.

نبض قلب (جلال).. فكر أن يطعنه مرة أخرى.. لم يجرؤ على فعل

ذلك.. هتف:

- مكتش عاوز أذيك.

أفلت من (قريش) كيس (غبار الأموات) على الأرض لكن تبقى

الجزء الذي في يده.. تحامل على نفسه وحاول أن يستنشقه.. صرخ

(جلال):

- لا.. لا.

حدق فيه (قريش) بشكلٍ مرعب، ثم استنشق الغبار.. لحظة وبدأ

وجهه يتلون وتهتز الأرض من تحت أقدامهم..

(جلال) وبكل ما يملك من قوة؛ اندفع نحوه وأغمد الخنجر في

بطنه:

- سامحني.

جحظت عينا (قريش) وتجمد في مكانه.. حملق في وجه (جلال)

كأنه يراه لأول مرة..

جذب (جلال) الخنجر من بطن (قريش) وهو يردد:

- أنا آسف.

سار (قريش) مترنحًا كالممسوس حتى وصل إلى مدخل البيت..

حاول فتح الباب..

سقطت معدته فجأة من بطنه..

خرجت منه حشرة مكتومة، ثم هوى على وجهه وأمعاه تتلوى

بجانبه على الأرض مثل الثعابين.

\*\*\*

انتظرت حتى توقفت الأصوات داخل غرفة (الخزين) ثم دخلت..

كانت أشلاء (فوزي) منشورة فوق الأرض، وقد اختلط العظم

باللحم.. وسط الأشلاء لمحت سنة (فوزي) الذهبية.. قاومت

شعوري الشديد بالغيثان وأخذتها بأطراف أصابعي، ثم وضعتها في

جيبتي وخرجت:

- النهاردة خدت حقي منك.



## غبار الامور

وانهمكت في تنظيف الشقة وترتيبها بحيث تكون جاهزة لما هو قادم..

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب؛ أعقبه نداء (عبده):  
- أستاذ إيهاب.

تعجبت.. ما الذي أتى به الآن. عاد يكرر:  
- أستاذ إيهاب.

أخذت نفساً عميقاً وفتحت الباب.. لم يكد (عبده) يلمحني حتى قال:

- ازيك يا أستاذ إيهاب.

- أهلاً يا عبده.. خير؟

حاول أن يتسم:

- خير. ممكن ادخل.

انتبهت حينها أنني لم أدعه للدخول.. قلت بسرعة:

- أه.. طبعاً.. طبعاً.. ادخل.

دخل وهو يتجنب النظر فيما حوله، ثم اختار أقرب مقعد وجلس والاكئاب يغمره.. أدركت من حالته أن هناك شيئاً ما.. قلت وأنا أجلس في مواجهته:

- خير يا عبده.. مالك؟

تنحح قليلاً في شيءٍ من الحرج، وقال:

- بصراحة جايلك وعاوز منك خدمة.
- تحت أمرك.. انت ياما وقفت جنبي.
- تعيش.. طبعًا انت عارف اني واخذ تاكسي بالقسط.
- أومأت برأسي:
- آه عارف.
- ثم سألته:
- التاكسي شغال تمام؟
- هز رأسه نفيًا:
- لا.. زي ما انت شايف البلد بقت عامله ازاي، والحالة واقفة على الكل.
- قلت وقد بدأت أفهم:
- محتاج فلوس؟
- غمغم:
- أنا اتكسرت في آخر ٦ إقساط على التاكسي، وممكن ادخل السجن.
- سألته:
- مبلغ كبير؟
- أجاب:
- ٣٠ ألف.

## غبار الفلوس

واستدرك بسرعة:

- عارف إن المبلغ كبير.. ولو مش موجود معاك مش هزعل.

ابتسمت وأنا أربت على كتفه:

- الفلوس هتكون معاك حالاً.

ثم نهضت وتركته لدقائق، وعدت وأنا أحمل المبلغ:

- ال ٣٠ ألف أهم.

أمسك النقود غير مصدق، وعينه ترقصان فرحاً:

- مش عارف أشكرك ازاي.. انت أنقذتني.. جميلك ده في رقبتني.

- عيب يا جدع.

- طيب أكتب لك بيهم شيك أو وصل أمانة.

- انت عبيط يا له.. خد الفلوس وابقى سددها على أقل من مهلك..

ده أنت اخويا.

نهض يصفحني:

- تدوم الإخوة يا أستاذ إيهاب.

وتحرك لينصرف قبل أن أنتبه لشيء، فقلت:

- عرفت اني هنا ازاي؟

رد:

- شفت عربيتك راكنة تحت العمارة؛ قلت أكيد انت فوق.

ابتسمت:

- آه.. تمام.

وودعته على عتبة الباب، ثم أسرع إلى الشرفة أتابعه وهو يركب  
سيارته وينطلق بها حتى غاب بعيداً.. بعدها لم أدر متى أو كيف نمت  
في مكاني!

\*\*\*

ظلت (عيشة) رابضة، وقد هالها كل ما جرى.. لم تلحظ أن دماء  
(قريش) قد تجمعت وزحفت إليها، ثم علقت بقدميها..  
ظل (جلال) ينظر للخنجر الذي طعن به (قريش) وهو في حالة ما  
بين الحياة والموت..

بعد مدة تمالك أعصابه، ثم تحرك بحذر وسط الدماء.. تناول كيس  
(غبار الأموات) من على الأرض، وسار حتى وصل إلى (عيشة) ثم  
جذبها من يدها:

- لازم نمشي من هنا حالاً.

غمغمت:

- هنروح فين؟

- أي مكان.

قالها وهو يسحب جثة (قريش) ويبعدها من أمام الباب حتى يتمكن  
من فتحه.

- أنا خايفة يا جلال.

## غبار اللؤلؤ

احتضنها بين ذراعيه:

- متخافيش.. قولي يا رب.

دفت رأسها داخل صدره ورددت:

- يا رب.

خرج (جلال) مع (عيشة) من المنزل، وهما يستتران بالظلام  
والموت..

(عيشة) كانت تتعثر بحصى الطريق وتسقط بين الحين والآخر..

على قدر ما يستطيع؛ كان (جلال) يحاول الترفق بها..

بعد ساعة من المعاناة؛ وصلا إلى موقف سيارات الأجرة..

كان موقف السيارات شبه فارغ؛ نتيجة الساعة المتأخرة من الليل  
والبرد الرهيب..

لم تكن هناك غير سيارة وحيدة.. سيارة (الأسطى منجد)..

طلب (جلال) من (عيشة) أن تحافظ على هدوء أعصابها وأن تلتزم

الصمت، ثم ذهب إلى (منجد) الذي كان شبه نائم داخل سيارته..

أيقظه (جلال) برفق:

- أسطى منجد.

تهلل وجه (منجد) حين رآه:

- سيدنا الشيخ.

وحاول تقبيل يد (جلال) الذي سحب يده بسرعة وهو يقول:

- بلاش.. بلاش.
- يا سلام على التواضع بتاع الأولياء الصالحين.
- لو انت فاضي أنا محتاج توصيلة.
- ابتسم (منجد) وهو يفتح باب العربة:
- ولو مش فاضي، أفضي نفسي.
- أشار (جلال) إلى (عيشة) بأن تأتي وتجلس..
- جاءت (عيشة) وهي تحاول إخفاء وجهها بيدها..
- ردد (منجد) وهو ينقل بصره إليها:
- نورتوني.
- ثم انتظر حتى احتل (جلال) و(عيشة) مكانيهما وسأل:
- على فين العزم يا مولانا؟
- تردد (جلال) للحظة قبل أن يقول على أول مكان خطر في باله:
- عند فيلا ليلي هانم.
- توكلنا على الحي الذي لا ينام.
- ثم أدار محرك السيارة، وانطلق تاركًا من ورائه شبورة من العادم الأبيض..
- بعد مدة؛ التفت (جلال) إلى (عيشة) التي تظاهرت بأنها نائمة..
- أراد إخبارها أن (قريش) لم يترك لهما خيارًا آخر.

## غبار اللموم

نظر إلى الطريق من خلال زجاج السيارة المتسخ حين مر من أمام  
(معدية رزق) وتذكر الأيام الخوالي.. شعر بألم قاس جدًا كلما عاود  
التفكير بما حدث.. كان الألم مزيجًا من الندم وكرهية النفس.  
وصلت السيارة إلى فيلا (ليلي) وتوقفت عند بابها..  
طلب (جلال) من (عيشة) أن تنتظر في مكانها، ثم نزل وطرق  
الباب..

فتحت له (ليلي) الباب وأثر الأرق في عينيها.

- مساء الخير يا ليلي هانم.

ردت بدهشة:

- مساء النور يا جلال.. خير؟

تنحى قليلاً وقال:

- أنا كنت عاوز منك خدمة.. خدمة هتبقى دين في رقبتى طول

العمر.

وأخبرها بقصة كاذبة حول أنه تزوج (عيشة) دون علم أهلها وأنهما

هربا من القرية، ثم اختتم كلامه:

- يومين.. تلاته نستخبي عندك لغاية لما ادبر سكن لينا.

أفسحت له (ليلي) الطريق:

- البيت بيتك يا جلال.

شكرها بحرارة قبل أن يقول:

- ممكن اقعدي في أوضة الجنائني .

قالت:

- مفيش مشكلة، وهو طبيعي واخذ أجازة الأسبوع ده.

- طيب تمام قوي.

قالها، ثم ذهب إلى (عيشة) وطلب منها النزول..

صافح (منجد):

- ألف شكر.

غمغم (منجد) وهو يغادر:

- تحت أمرك في أي وقت.. بركاتك يا شيخنا.

سار (جلال) برفقة (عيشة) وهو يمسك يدها بقوة حتى يجنبها

السقوط على الأرض..

تفرست (ليلي) في (عيشة) جيداً، وتفحصتها من رأسها حتى

أخمص قدميها، حين قالت بنبرة غامضة:

- ذوقك حلو قوي يا جلال.

ثم ابتسمت.

\*\*\*



## IV

كانت مسألة انتقامي من (فوزي) أشبه بطبقٍ من الحلويات الباردة؛  
أكلت منه على مهل..

الماسة التي حصلت عليها من المسخ بعد ذلك لم أشأ بيعها..  
فضلت الاحتفاظ بها لتذكرني دائماً بتلك النشوة التي شعرتها..

على الناحية الأخرى؛ كانت قد بدأت تظهر بوادر مشاكل بين (هبة)  
و(صفاء).. في البداية لم أقلق وظننت أنه يمكنني احتواءها..

حاولت بقدر ما أستطيع أن أوفق بين (صفاء) و(هبة).. وللأمانة  
كان الخطأ دائماً يسير باتجاه (هبة)..

حاولت استنباط سبب المشاكل، فأرجعته إلى غيرة (هبة)  
وإحساسها بأن (صفاء) قد أخذتني منها..

بدورها (صفاء) حاولت بقدر ما تستطيع امتصاص غضب (هبة)،  
وأن تستخدم عقلها وحكمتها لحل المشاكل..

بمرور الوقت؛ تغلبت كرامة (صفاء) على حكمتها وبدأت في  
مبادلة (هبة) العداة والكراهية..

استحال الأمر بين كليهما إلى حربٍ مستعرة تدور رحاها داخل  
منزلي..

تدريجياً لم أعد أستطيع التحمل، وفقدت قدرتي على الهدوء  
والصبر..

وفي ذات يوم ربما يكون هو أسوأ يوم في حياتي؛ أصابني نوبة  
غضب جعلتني أخرج عن شعوري..

ثم ولمدة عشر دقائق كاملة؛ لم أتوقف عن توبيخ (هبة) وتوجيه  
الاسباب لها..

تدخلت (صفاء) وحاولت أن تهدئ من انفعالي، وخافت أن أقوم  
بأيذاء (هبة) لكنني لم أصغ إليها ولم أفق من ثورتي إلا حين سقطت  
(هبة) على الأرض وبعد أن ضربتها..

توقفت في مكاني وأنا نادم.. شعرت برجفة تسري في ساقي..  
نظرت إلى (هبة).. كانت ترتجف خائفة وتنظر لي بذعر هائل..  
داهمني شعور بالندم..

التفت إلى (صفاء) فوجدت عندها اللوم والعتاب..  
هرعت (هبة) إلى غرفتها باكية..

## غبار الأسوار

طلبت من (صفاء) أن تذهب خلفها وتحاول أن تطيب خاطرها، ثم  
جررت نفسي وخرجت من المنزل..

قضيت بقية اليوم عند (عبده).. لا أعرف كيف مر الوقت.. لكن  
حين عدت في المساء؛ كان المنزل يغرق في الصمت..

توجهت إلى غرفة (هبة).. وجدتها نائمة على جانبها وتوليني  
ظهرها.. كان جزء مني يرغب في الذهاب إليها واحتضانها والاعتذار  
لها لكن كرامتي أبت..

سحبت نفسي من عندها بهدوء، ثم دخلت إلى غرفة نومي..  
كانت (صفاء) تغط في النوم.. ألقيت نفسي بجوارها واستلقيت  
على ظهري أحرق في السقف..

لم أتوقع أنني سأنام لكن مع قرب الفجر غفوت..  
حلمت بكثيرٍ من الكوابيس البشعة التي نهشت في عقلي وروحي..  
استيقظت على صوت (صفاء):

- اصحى يا إيهاب.. هبة مش موجودة في أوضتها.  
لم أفهم في بادئ الأمر تلك الجملة.. فتحت عيني لكن عقلي كان  
ما زال غائبًا.. نظرت في وجه (صفاء) الذي غادرته الدماء.. أصبحت  
شديدة البياض..

ثم وثب قلبي من مكانه حين استوعبت ما قالت..

نهضت مسرعاً نحو غرفة (هبة) وأنا أهتف باسمها.. كان فراشها  
خاوياً ولا أثر لها..

تناولت هاتفي وحاولت الاتصال بها لكن تليفونها كان مغلقاً.. هي  
لا تغلقه أبداً.

قالت (صفاء):

- ممكن تكون خرجت تجيب حاجة.

كنت أعلم أن هذا أمراً مستبعداً لكنني رددت كما الغريق الذي  
يتعلق بقشة:

- ممكن.. عندك حق.

حاولت (صفاء) الاتصال بصديقات (هبة) لربما تكون عند إحداهن  
لكن كل محاولاتها باءت بالفشل.

كنت قاسياً مع (هبة).. هذا ما حدثت به نفسي وأنا أجلس القرفصاء  
على الأرض، وأستند بظهري على الحائط..

وضعت رأسي بين كفي في قلق.. قلت:

- خايف تكون عملت في نفسها حاجة.

سمعت (صفاء) تغمغم:

- متقولش كدا.

## غبار الامور

نظرت لها ولم أردد.. طوال الساعات التي تلت؛ ظل تفكيري يقفز  
من احتمال سيء إلى احتمال أكثر سوءاً.. تخيلت (هبة) وهي تلقي  
نفسها تحت سيارة أو تطفو ميتة فوق الماء.

قررت أنه لا يمكنني المكوث أكثر من ذلك..  
لا بد أن أتصرف..

نزلت الشارع أبحث على غير هدى..

ربما لو استمر الحال هكذا، فسوف أهييم كالمجنون..

فجأة شعرت باهتزاز الهاتف في جيبتي..

تناولته من جيبتي لتجحظ عيناى في لهفة وأمل حين علمت أن (هبة)

هي المتصل..

فتحت الخط:

- هب...

قطعت ندائي.. سمعت صراخها يحمل كل رعب الدنيا:

- الحقني يا بابا.

ارتجفت:

- هبة.. هبة.. انتي فين؟

سمعت صراخها مرة أخرى؛ أتبعه عواء وزمجرة مرعبة.. صرخت:

- هبة.. هبة.

جاءني صوتها مليئاً بالدموع:

- أنا في شقتنا القديمة.. الحقني يا بابا.

ثم انقطع الاتصال.

تسمرت في مكاني. شريط سريع للأحداث يمر أمام عيني؛ أرى فيه (هبة) وهي تتسلل صباحًا وتذهب إلى الشقة القديمة، ثم تلقي أشياءها على الأرض في غضب قبل أن تلاحظ الأقفال التي أضعها على غرفة (الخزين).. الفضول يقتلها فتحطم الأقفال وتفتح الباب ثم تدخل.. أتخيل المسخ وهو يتجسد أمامها فتصرخ من الرعب وتحاول الهرب لكنها تعجز، فتقوم بالاتصال بي لنجدها.

بلا ثانية أخرى من التأخير.. أوقفت أول تاكسي وركبته..

كانت الدقائق تمر كأيام..

كنت أجرب الاتصال بهاتفها..

أتمنى لو ترد..

لكنها لا ترد.

وصلت إلى الشقة، فوجدت بابها مغلقًا ولا صوت يخرج منها..

فتحت الباب ودخلت.. كان الظلام هو السائد.. ناديت:

- هبة.

فتحت الأنوار..

رأيت آثار معركة فوق الأرض، ودماءً وأشياء مهشمة..

## غبار اللؤلؤ

لمحت هاتف (هبة) وهو ملقى بجانب مقعد مهشم، وقد تهشمت  
شاشته وعليه بقعة دماء لم تجف بعد..

قدمي لم تعد تحملني:

- هبة.. انتي فين؟

شاهدت باب غرفة (الخزين) وهو مفتوح.. سرت باتجاهه، وأنا  
أرتعش حتى دخلت..

أمامي مباشرة؛ رأيت المسخ يفترش الأرض وبين يديه (هبة)  
جاحظة العينين ممزقة الأوصال.

استندت على الحائط حتى لا أسقط:

- لا.. لا.. أنا بحلم.. ده أكيد حلم.

يمد المسخ فكيه، ثم يقضم قطعة لحم من عنقها.

كل شيء من حولي تغير بسرعة هائلة.. الألوان تبدلت ما بين  
الأبيض والأسود.. تمددت الغرفة للخارج، ثم عادت وانسحقت  
للدخل..

انسحبت مني الحياة واعتقدت أنني مت..

وضعت يدي على عيني.. لم أعد أرى شيئاً.. فقط ظلام دامس:

- أنا اتعميت.

عاد بصري من جديد.. رأيت المسخ وهو ما زال يلتهم (هبة)

ويمزقها.. صرخت:

- لا اااااااااا.

وانقضضت عليه..

زمجر، ثم أمسكني من رأسي وطوحنني في الهواء بكل سهولة..

ارتطمت بالحائط واهتز المكان من حولي وأظلم وكاد يختفي..

كدت أفقد وعيي..

بصعوبة أبقيت عينيّ مفتوحتين لكنني ظللت على الأرض..

نظرت إلى ما تبقى من جثة (هبة).. أمسكها المسخ بإحدى يديه..

زحفت نحوه..

شعرت بالضعف قبل أن يرتطم وجهي بالأرض.. صحت بتوسل:

- سيبها.

غمس المسخ يده في دمها ولعقه بتلذذ، ثم هشم جمجمتها بضربةٍ

واحدة فاختلطت عظام الرأس بالمشخ والدم.. صرخت:

- كفاية.

مد يده إلى صدرها ومزقه بوحشية، ثم انتزع قلبها ونهشه بأسنانه.

كافحت حتى تمكنت من الوقوف.. تناولت سكيناً قديماً كان

ملقى..

سرت نحوه..

وبكل قوة هويت بالسكين على رأسه.. تحطم النصل الحاد فوقه

ولم يחדشه..

زمجر المسخ دون أن يرفع وجهه نحوي..



## غبار الأموات

سقطت على ركبتيّ بجواره..

لثمت قدميه..

قلت بتوسل وأنا أبكي:

- أبوس رجلك.. كفاية بقي.. سييها.

التفت نحوي ونظر لي بعينين ميتين..

نهض ببطء..

حمل في يده جزءاً من فخذ (هبة) تتقاطر منه الدماء وسار حتى وصل إلى المرأة، ثم اختفى داخلها تاركاً خلفه كومة من اللحم والعظم والدم.

\*\*\*

مكث (جلال) مع (عيشة) داخل غرفة (الجنائني) لمدة يومين متعاقبين.. كانت الغرفة صغيرة لكنها مرتبة جداً ونظيفة..

شيء ما تغير بين (جلال) و(عيشة).. كلاهما لم يعد يستطيع النظر في عيني الآخر..

كانت معاملة (ليلي) لهما جيدة وبها الكثير من الاهتمام، وكانت ترسل لهما الأكل والشرب في مواعيد ثابتة..

خلال هذين اليومين؛ لم يتوقف (جلال) عن البحث ليجد مكاناً آخر ينتقلا إليه.. كانت نقوده قليلة لذا فكر في استخدام (غبار الأموات) ثم تراجع عن الفكرة بسرعة خوفاً من المجهول الذي يحمله..

في اليوم الثالث وبينما كان عائداً من رحلته اليومية في البحث عن سكن؛ استقبله صمت غريب..

كانت الغرفة تغرق في الظلام، ولم يكن هناك صوت لـ (عيشة) عندما نادى عليها..

مد يده يتحسس مفتاح الإضاءة.. حين لامست يده المفتاح شعر بيد قوية تقبض على ساعده.. وقبل أن تتابه الدهشة؛ قبضت يد ثانية على رأسه، ثم دفعته إلى الأمام بعنف فارتطم بالحائط وسقط على الأرض..

شعر بخيطة من الدماء يسيل من مقدمة رأسه وحتى أنفه.. حاول أن ينهض لكن اليد كانت أسرع منه فسحبته من عنقه، ثم هوت ضربة ساحقة على وجهه جعلته يغيب عن هذا العالم.. ظل فاقد الوعي لمدة طويلة..

حين أفاق داهمه شعور مروع بالذعر.. كان ملقى على الأرض والظلام الدامس يحيط به..

تحسس الأرض بيده.. كانت صلبة باردة.. حاول النهوض.. كاد أن يسقط نتيجة تأثير الضربة التي لم يزل أثرها بعد.. صرخ:

- أنا فين؟

صرخ من جديد:

- عيشة.

تردد صدى صوت ندائه دون رد.

## غبار اللؤلؤ

حديق في الظلام وجلس ينتظر.. مرت الدقائق مثل ساعات وأيام وشهور.. استطاعت عيناه أن تعتاد الظلام.. أدرك أنه محتجز داخل غرفة صغيرة.. ربما تكون قبواً في منزلٍ ما نظراً لعدم احتوائها على نوافذ..

بعد وقت سمع حركة وصوت أقدام قبل أن يتزحزح الباب من مكانه، ثم يظهر من ورائه خمسة رجال ضخام الجثة، ويرتدون عباءات واسعة سوداء. أربعة منهم يحملون (سواطير) كبيرة بينما الخامس يحمل قنديلاً..

كان الخامس (منجد).

هتف (جلال):

- منجد.

ابتسم (منجد) بخبث..

تبادل مع (جلال) النظرات الحاقدة حتى بدت أنها ستستمر إلى الأبد.

- قتلته ليه؟

لم يكن هذا صوت (منجد).. كان هذا صوت أنثوي ميزه (جلال) بسرعة لكنه كذب أذنيه..

من الخلف؛ ظهرت (ليلي) وهي ترتدي بنطالاً من الجينز الأزرق وفوقه جاكيت جلد أسود فبدت شرسة، وهي تمسك (كرباج) بين يديها.  
ردد (جلال) بذهول:

- ليلي هانم.. انتي.  
سألته مرة أخرى بصرامة، وهي تقترب منه:  
- قتلته ليه؟  
- عيشة فين؟  
ثم خطا خطوة للوراء؛ بحثًا عن شيءٍ يستخدمه للقتال.  
أحاط به الخمس رجال في دائرة وحاصروه جيدًا.  
صرخ (جلال):  
- عاوزين مني ايه؟  
قالت (ليلى):  
- الحق.  
هتف:  
- وكان فين الحق لما اتجوزها وهو عارف اني بحبها.  
أخرجت (ليلى) خنجرًا من طيات ملابسها.. نفس الخنجر الذي  
قتل به (قريش).. نادت:  
- هاتوها.  
ذهب (منجد) لدقائق، ثم عاد وهو يجر في يده (عيشة) وقد تورم  
وجهها من الضرب وتمزقت ثيابها.  
صاح (جلال):  
- هي مالهاش ذنب.

## غبار اللؤلؤ

كبل حركته رجلان بينما اقتربت منه (ليلى) ومررت الخنجر على عنقه.

هتف (جلال) بتوسل:

- أرجوكي.. هي ملهاش ذنب أنا ال... ..

بتر جملته..

وتراجعت (ليلى) للوراء، ثم نظرت إلى الخنجر الذي أغمده حتى المقبض في قلبه..

توقف المشهد لمدة قرن من الزمن..

فجأة خرجت شهقة من (جلال):

- آه.

شهقة بشعة مشحونة بالألم والذعر قبل أن يسقط على ركبتيه، ثم يهوي على وجهه فوق الأرض.

خلصت (عيشة) نفسها من قبضة (منجد) وهرعت نحو (جلال) ثم

احتضنته، وهي تصرخ وتبكي:

- لا يا جلال.. لا متموتش.

حاول أن يفتح فمه لينطق لكنه لم يستطع.. سالت دمعة صغيرة من

طرف عينيه.. حملق فيها للمرة الأخيرة، ثم أغمض عينيه عليها ومات.

\*\*\*

# 18

توقفت طويلاً بلا حراك..

أمامي مباشرة كانت تقبع مقبرة أسرتي والتي فتحت بابها للتو..  
كنت أحمل في يدي كيساً ضخماً به بقايا (هبة) ومن ورائي يقف  
(عبده) وهو يتلفت حول نفسه في توتر:

- بسرعة يا أستاذ إيهاب.. الدنيا هتتقلب علينا لو حد شافك.  
كدت أفرغ فيه كل وجعي، وأدك رأسه بالأرض لولا أن تماكنت  
نفسي..

حدقت في داخل المقبرة الباردة المظلمة، وبصعوبة وجدت  
الشجاعة لكي أخطو إلى الأمام ثم أجتاز بابها..  
في الأسفل؛ زحفت حتى وصلت إلى ركن خلا تماماً من عظام  
الموتى..

حفرت في الرمال حفرة مناسبة، ثم أخرجت البقايا من الكيس  
بحرص..

## غبار الرمال

شعرت برجفة قاسية في بدني حين وضعت البقايا داخل الحفرة،  
وأنا لا أعلم هل كنت أبكي أم أصرخ أم ماذا!!.. الآن أدركت أن الكون  
قد اختل من حولي.

وصل إلى أذني؛ نداء (عبده) وهو يحاول أن يطمئن عليّ.  
نثرت الرمال فوق الحفرة وغطيتها، ثم جررت نفسي إلى الخارج..  
فجأة أغلق باب المقبرة في وجهي وسمعت صوت (الجاروف)  
وهو يحمل الرمل، ثم يلقيه على الباب ويردمه..

صرخت وحاولت الخروج..  
ضربت بيدي في الباب وحاولت تهشيمه..  
لا فائدة.. كان صلب كالحديد.. صرخت من جديد..  
استلقيت على ظهري وأسبلت نفسي للمجهول..  
بعد مدة؛ شاهدت فتحة في السقف تخلل منها خيط من النور  
الأزرق..

تسلقت حتى وصلت للفتحة، فوجدت نفسي أقف وسط صحراء  
ممتدة إلى ما لا نهاية ومئات من الكثبان الرملية التي تحيط بي بينما  
الظلام حالك لا يبده غير ضوء قمر هزيل..  
سمعت صوت بكاء يأتي على مقربة مني.. سرت تجاهه مدفوعاً  
بإرادة وهمية.. خلف أحد الكثبان؛ وجدت تبكي وهي توليني ظهرها..  
وبهدوء وكأنها استشعرت بي التفتت نحوي..  
كانت (هبة).

لم أتردد وهرعت نحوها كطفل فقد أمه..  
حين اقتربت منها؛ ميزت تلك الأخيوط السوداء التي ملأت وجهها..  
قبل أن ألمسها؛ أولتني ظهرها وسارت بحركة مهزوزة نحو كهف  
حجري.. ناديت:

- هبة.

وصلت (هبة) إلى مدخل الكهف، ثم اختفت داخله..  
بلا تردد دخلت خلفها..  
في الداخل؛ كان هناك ضوء أحمر يأتي من مصدر مجهول ولا أثر  
لـ (هبة)..

أعلم أنها ماتت.. لكن ربما عادت.. ربما استجاب الرب لتوسلاتي  
ودعائي.

لمحت ممرًا جانبيًا..

كان الممر ضيقًا..

ولسبب وجدت نفسي أسير باتجاهه..

ثم عثرت على (هبة) تقف في نهاية الممر ساكنة كالصنم..

من خلفها؛ كانت توجد ظلال لأجساد آدمية لكنها طويلة..

رفعت (هبة) وجهها باتجاهي..

تحركت الظلال وتجمعت كلها حولي.. ميزت وجه أخي (صلاح)

من بينها.. كان يملك شحوب مصاصي الدماء..

أنا في عالم أموات ولا ريب.

\*\*\*



## غبار المعول

منتصف الليل..

حيث الظلام والموت..

سارت (عيشة) إلى (الجبانة) وهي تجر خلفها بغلة صغيرة،  
ويطاردها صوت فحيحٍ مخيف يشبه همس الجن وممتزج بنباح كلاب  
لا ينتهي..

توقفت أمام (بوابة) المقابر الحديدية، ثم دفعتها بكل ما أوتيت من  
قوة..

أحدثت (مفاصلات البوابة) وهي تتحرك صوتًا حادًا؛ جعل أسنان  
(عيشة) تصطك ببعضها..

مشت (عيشة) حتى وصلت إلى مقبرة كبيرة تتسلقها نباتات الصبار  
ولها ثلاث عيون..

العين اليمنى واليسرى مغلقتان بينما الوسطى مفتوحة..

إلى حيث العين اليسرى توجهت، ثم تناولت معول وراحت تكسر  
بابها..

فوق رأس (عيشة) كانت السماء تومض والرعد يدوي بلا توقف،  
وقد امتزج بصوت التكسير..

ألقت (عيشة) المعول جانبًا حين انتهت من صنع فتحة تكفي  
لمرورها..

تناولت (كشاف) صغير وأشعلته، ثم عبرت للداخل وهي تقا تل  
أوهامها وخيالاتها حتى استطاعت الوصول إلى جثة انتفخت بطنها  
فكادت أن تمزق الكفن.

(عيشة) سلطت الضوء على وجه الجثة..

وجه (جلال).

كانت (ليلي) قد جعلت رجالها يذفنون جثة (جلال) في تلك  
المقبرة، ثم أطلقت سراح (عيشة) التي عقدت العزم على فعل  
المستحيل.

خارج المقبرة؛ كان المطر قد بدأ ينهمر بقسوةٍ وعنف، ويصدر  
صوتًا كالطلقات فوق رأس (عيشة) جعلها تنتفض في ذعر..

ودون أن تنتبه؛ تسلل سيل من الماء إلى داخل المقبرة وجرى  
كالثعبان حتى بلل الأرض وجعلها زلقة ولزجة..

أحكمت (عيشة) أربطة الكفن حول (جلال) جيدًا، ثم أخرجت  
حبلًا غليظًا مصنوعًا من الوبر وربطت أحد أطرافه في قدم جثة (جلال)  
ولفت الطرف الآخر حول وسطها، وعقدت عقدة قوية..

بمجهودٍ شاقٍ وصبر؛ بدأت تزحف وتسحب من خلفها جثة  
(جلال) حتى استطاعت إخراجها من القبر.

حين خرجت (عيشة) تعثرت وسقطت على أحد جنبيها في الوحل..  
دخل الطين فمها..

ولوث وجهها..

## غبار اللؤلؤ

وأعماها..

ثم دارت بها الدنيا لثوانٍ وكادت تفقد الوعي..  
أوشكت الجثة أن تفلت منها وتسقط من جديد داخل القبر..

تشبثت (عيشة) بطرف المقبرة..

وسحبت من جديد..

تحملت وكتمت صراخها حتى لا يكشفها أحد..

وأخيراً استكانت على الأرض والعرق والطين يكادان أن يبتلعها..

ارتاحت قليلاً حين تأكدت أن الجثة صارت معها وفي أمان..

بصقت الطين من فمها قبل أن تمسح وجهها بطرف فستانها

وتنهض..

استنفرت قواها مرة أخرى ووضعت الجثة فوق البغلة، ثم غطتها

ببطانية سوداء قديمة؛ يأكلها الحقد.

\*\*\*

اقترب مني (صلاح)..

أحاطت بي الظلال على هيئة نصف دائرة.. كنت أريد أن أصرخ

لكنني لم أفعل.. لم يعد هناك ما يضرني بعد موت (هبة)..

تركت (صلاح) يضع يده الباردة على وجهي، ثم يمسح فوقها..

قلت:

- أنا مت؟

قال بصوتٍ خفيضٍ:

- حاولتٍ أحذرك.

هتفت:

- انت حذرتني متأخر.

ثم نظرت لـ (هبة) والدماء تقطر من رأسها:

- أنا فين؟

قالت بصوتٍ عميقٍ:

- أنت في عالمنا.

وأمسكت بكف يدي فشعرت أن قبضتها باردة كالصقيع.. قلت:

- عالم الأموات؟

- لا.

قالها بحدة..

سمعت صرخة تردد صداها على الجدران..

صرخة المسخ..

ردد (صلاح):

- إحنا في العالم بتاعه.

اختلفت الكلمات في حلقي:

- مستحيل.

ثم سمعت صوت خطواته المرعبة تهز الأرض من تحتي..

أمسكت (هبة) عنقي بقسوة وراحت تعتصره..

## غبار اللؤلؤ

شعرت باختناق.. لم أقاومها..  
هتفت بصعوبة وأنا أنظر في عينيها الممتلئة بالكرهية:  
- أنا آسف.  
لكنها لم تتكلم..  
فقط ظلت تعصر عنقي..  
رأيت الجحيم يتشكل على وجهها..  
اقتربت مني بقية الظلال أكثر..  
ثم تشكلت بسرعة وتحولت إلى أشكال آدمية..  
أشكال كنت أعرفها من قبل..  
رأيت كل من تسببت في قتله.. كانوا جميعًا ينزفون الدماء من  
رؤوسهم مثل (هبة).. عبد الرحمن.. بيومي.. منى.. سيد.. فوزي.  
نظروا لي جميعًا نظرة ميتة..  
ثم أمسكوا بي..  
ورفعوني عاليًا في الهواء، وبأقصى امتداد تسمح به أذرعهم..  
كدت ألمس السقف الذي راح يتحرك من فوقني..  
بعدها أدركت أن العكس هو الصحيح..  
وأن من يحملونني كانوا يتحركون بي.  
السقف كان ممتلئًا بالجماجم السوداء والعظام..  
ثم خرجت منه أذرع طويلة..  
جدًا..

حاولت الإمساك بي..  
نجحت..  
وأمسكت برأسي..  
جذبوني إليهم..  
ربما لأصير جمجمة أخرى معلقة..  
أو ربما..  
لا أعلم..  
لكن (صلاح) والآخرون عادوا وسحبوني..  
الكل يحاول الظفر بي..  
ساروا بي في طريقٍ حجريٍ يمتلئ بحفرٍ ناريةٍ تخرج منها أدخنه  
سوداء..  
أمام حفرةٍ واسعة وعميقة؛ توقفوا..  
من أعلى؛ نظرت إلى الحفرة والنيران التي تخرج منها.. لم أرَ للحفر  
قعر.. كانت تمتد ربما إلى باطن الأرض..  
أو باطن الجحيم..  
لم أجد رغبة في المقاومة..  
أغمضت عينيّ وسلمت نفسي..  
سمعت صراخهم، ثم ألقوني في الحفرة..  
كانت حارقة..  
ظللت أسقط..

## غبار الاموات

وأهوي..

وأحترق..

وأموت..

ثم فتحت عيني..

أفت لأجد نفسي ما زلت داخل المقبرة و(عبده) يهزني بعنف..

هتف حين رأني أحرك يدي:

- أنا فكرتك مت.

قلت بوهن وحيرة:

- إيه اللي حصل؟

أجاب:

- تقريباً أغمى عليك وانت جوه.

نظرت إلى فتحة القبر:

- اقفل الفتحة.

أسرع يغلق الفتحة، وحين انتهى عاونني على السير حتى وصلت

إلى سيارتي القابعة خلف المقابر.. قال:

- تحب أجي أوصلك لبيتك.

لم أكن أستطيع الوقوف بمفردي لكنني تحاملت على نفسي،

واستندت على باب السيارة:

- لا.. أنا هروح لوحدي.

قال بقلق:

- هتعرف تسوق وانت بحالتك دي؟

- متقلقش عليّ.. أنا بقيت كويس.

- متأكد؟

أومأت له برأسي.. سألني:

- هتروح شقتك الجديدة؟

- لا.. القديمة.

وركبت سيارتي وانطلقت بها..

حان وقت القضاء على الشر..

كل الشر..

ثم دوى صوت الرعد..

يمزق السماء.

\*\*\*

تسترت (عيشة) برداء الليل حتى وصلت إلى منزل (جلال) القديم..

دفعت الباب بحرص، ثم ولجت..

في الداخل؛ كانت هناك رائحة عفونة وقذارة ومياه (مجارى) سوداء

تملاً الأرضية..

أمام (عيشة) مباشرة؛ ظهر (بدير) من وراء الباب وهو يرتدي جلباباً

أسوداً ويحمل في يده دلوّاً أزرق اللون مصنوعاً من البلاستيك ومغطى

بقطعة شاش بيضاء ملطخة بالدم..



## غبار الأموات

وضع (بدير) الدلو جانبًا، ثم عاون (عيشة) في إنزال (جلال) على الأرض، وهو يقول بصوتٍ مبحوح ويحاول أن يكتم أنفاسه بسبب رائحة الجثة:

- برضه لسه مش فاهم انتي هتعملي ايه؟

ردت بغموض:

- هتفهم دلوقتي.

أشعلت شمعة كبيرة، ثم تناولت سكينًا حادًا وشقت كفن (جلال) وأخرجت جثته منه.. كانت الجثة قد تفسخت وأصابها العفن في الصدر والبطن والساقين، وسال منها سائل أزرق لزج.

- اصبر يا حبيبي.

قالتها وجرحت يدها بنفس السكين، ثم رسمت دائرة بدمائها حول الجثة والشمعة.

أخرجت من طيات ثيابها كتاب (إينوخ) وكيس (غبار الأموات) وأشارت لـ (بدير) أن يفعل شيئًا ما..

تحرك (بدير) إثر إشارتها وتناول الدلو، ورفع قطعة (الشاش) التي تغطيه، ثم ألقاها بعيدًا وكأنه يلقي خوفه وراءها..

تطلع (بدير) إلى ما يحتويه الدلو في اشمئزاز وتردد، ثم رفع وجهه لـ (عيشة) كمن يرغب في التراجع عن فعلته..

مدت (عيشة) له يدها:

- مفيش وقت.. يلا بسرعة قبل أدان الفجر.

أخرج (بدير) ما هو موجود بالدلو وناولها.. كان عبارة عن جنين لطفل ميت في الشهر السادس.  
تناولت (عيشة) الجنين، ثم شقت بطنه بالسكين.. سقطت أمعاء الجنين دفعة واحدة فوق جثة (جلال) وأصدرت صوتاً يشبه اللطمة..  
أشاح (بدير) بوجهه إلى الناحية الأخرى بينما قطعت (عيشة) رأس الطفل ووضعتها فوق رأس (جلال)..  
قطعت اليدين، ثم وضعتها بالترتيب على يديّ (جلال) وكذلك فعلت بالساقين..  
حين انتهت؛ أمسكت كيس (غبار الأموات) ثم فرسته فوق الجثة ونثرته عليها..  
تجمد (بدير) عندما هبت عليهما ريح باردة وسمع أصوات أقدام غير مرئية..  
فتحت (عيشة) كتاب (إينوخ) وراحت تقرأ الطلسم الأعظم الذي بدايته:  
- أقسمت عليك يا ناصور...  
ونهايته:  
- أطع واسمع وأجب وأسرع بحق ما أقسمت به عليك وأنه قسم لو تعلمون عظيم.  
ثم صمتت..  
ولم يحدث شيء..

## غبار الأمل

نظر كل من (عيشة) و(بدير) إلى بعضهما.. قالت (عيشة) بحيرة  
وعدم فهم:

- أنا عملت كل الخطوات اللي قررتها في الكتاب عشان ارجع  
جلال من الموت.

فجأة.. ارتفع لهيب الشمعة حتى لامس السقف.  
شهقت (عيشة)..

ثم انطفأت الشمعة وكل الأنوار وغرق المنزل في ظلام عميق لا  
ينتهي..

أبواب المنزل والنوافذ كلها راحت تفتح وتغلق بلا توقف..  
نادت (عيشة) وهي تحاول أن تستدل على مكان (بدير) في العتمة:  
- بدير.

جاءها صوت (بدير) مليئاً بالخوف:

- إيه اللي بيحصل؟

وقبل أن تفكر في الرد عليه؛ سمعت صوتاً حاداً مثل السكين في  
الصدر يقول:

- أنا فين؟

كان هذا صوت (جلال).

\*\*\*

توقفت بسيارتي مع ظهور الخيط الأول لشروق الشمس أمام مدخل  
عمارة شقتي القديمة..

فتحت صندوق قفازات السيارة وأخرجت منه خنجرًا ومسدسًا  
كنت أحفظ بهما للظروف.. كان الخنجر معقوفًا ذو نصل حاد لامع،  
والمسدس قديم ذو ساقية دوارة تحوي خمس رصاصات، وله مقبض  
دائري صغير..

فتحت المسدس ونظرت إلى خزانته وما تحويه من رصاصات، ثم  
أغلقتها وأدرت الساقية بيدي فأصدرت صوتًا معدنيًا قبل أن أدسه مع  
الخنجر وراء ظهري..

صعدت إلى الشقة، ثم دخلت وسرت حتى بلغت غرفة (الخزين)..  
دفعت المفتاح في القفل لكن الباب لم يفتح..  
تراجعت قليلًا إلى الخلف، ثم ضربت كتفي بالباب فحطمته  
وعبرت..

أسرعت باتجاه المرأة..

نظرت إليها..

وارتجفت..

توقعت أن يخرج المسخ منها لكنها ظلت على وضعها..

لم تهتز صفحتها اللامعة..

كان وجهي يبدو من خلالها شاحبًا أصفر اللون كمن امتصت منه

الحياة.

## غبار الامور

ثم تحسست سطح المرأة..  
ومرة أخرى ارتجفت..  
حملتها بين ذراعيّ، ثم خرجت بها..  
توجهت إلى شرفة المنزل..  
ورميتها..  
تابعتها وهي تسقط في الهواء..  
ترتطم بالأرض..  
تحولت إلى شظايا..  
وتناثرت في كل الاتجاهات..  
سمعت صراخ المارة..  
وغضبهم..  
لم أصدق أن الأمر تم بمثل تلك السهولة..  
عدت للدخل..  
لكنني وجدت المرأة أمامي..  
في منتصف الغرفة..  
قابعة في تحدّ..  
هرعت إلى الشرفة أنظر..  
لا أثر للشظايا..  
لا أثر مطلقاً..  
ليكن..

عدت وحملتها من جديد..  
ورميتها..  
تسقط في الهواء..  
ترتطم بالأرض.. ومثل السابق تتناثر شظاياها..  
ثم أعود..  
وأجدها من جديد أمامي..  
حملتها بإصرار..  
وغضب..  
كررت الأمر..  
كررته عشرات المرات..  
وربما المئات..  
في النهاية؛ سقطت أمامها وأنا ألهث من التعب..  
فجأة تكاثرت المرأة وامتلات الغرفة من حولي بالعشرات منها..  
من بين واحدة؛ خرج ظل أسود..  
ظل وحيد..  
صعد إلى سقف الغرفة، ثم بدأ ينقسم وتخرج منه ظلال أخرى..  
كثيرة..  
لحظة، ثم أحاطت بي وغرقت داخل ظلام هائل..  
ظلام مرعب..  
بارد..

## غبار اللؤلؤ

لكن ظلت هناك المرأة على وضعها..  
تلمع..  
وانطلقت من داخلها ضحكة مخيفة..  
ثم لمحت المسخ يبدو داخلها قزماً صغيراً في حجم كف اليد..  
وتحرك في الداخل كمن يسرع الخطى..  
ومع كل خطوة يخطوها؛ كان حجمه يتعاظم وينمو داخل المرأة..  
وكان يقترب..  
ثم تجسم أمامي بغتة..  
وزمجر..  
كنت خائفاً..  
لكنني كنت خائفاً أكثر أن أظهر له مقدار ضعفي..  
تعاظم حجم المسخ حتى صار هائلاً..  
برقت عيناه ببريقٍ ناريٍ مخيف..  
وقبض على رأسي بيدٍ واحدة..  
ثم رفعني في الهواء..  
عالياً..  
عالياً جداً.  
صوته يتردد داخل عقلي.. كان يعلم أنني جئت لتدميره.. يتوعدني  
بالعذاب.. والموت.

زاد من ضغط أصابعه فوق رأسي.. أحسست أنها ستتحطم تحت قبضته..

سال خيط من الدماء من فروة رأسي حتى أغرق وجهي وطمس عيني، فصبغ كل ما حولي باللون الأحمر الداكن..  
خيل إليّ أن كل قطع الأثاث تتحرك وتتمايل كمن دبت فيها الروح.  
شعرت أن أنفاسي تضيع وشعرت أيضًا بقطعة في عظام جمجمتي..

حاولت مقاومة تلك الغيبوبة التي أحاطت بي وراحت تسحبني باتجاه الجحيم.

- انت حكمت على بنتك بالموت من يوم ما وافقت تاخذ مني أول ماسة.

كان ينطق هذه المرة، ولم يصل الصوت إلى عقلي بل إلى أذني..  
كان صوته خشنًا خاليًا من الإحساس.. لكنه وبالرغم من ذلك كان صوت إنسان يخرج من حنجرة بشرية..  
تفرست في ملامحه..

تدرجيًا تحركت مقدمة جبهته إلى الأمام وتلاشى الشعر الكثيف الذي يحيط بجسده.. انتقلت عيناه إلى مكانهما الطبيعي واختفى قرناه..

استحال في لحظة إلى إنسان..  
إنسان مثلي..



## غبار الأنوار

لكنه صارم الملامح..

طويل الذقن..

ظننت أنني رأيته من قبل.. هتفت:

- انت مين؟

\*\*\*

- جلال.

صرخت (عيشة) باسمه حين عادت الأنوار، ورأته يقف أمامها

يتحسس جسده ويتلفت حول نفسه باستغراب..

كادت أن تهرع نحوه وتلقي نفسها داخل صدره لولا أن استوقفها

(بدير) بيده..

سحبها (بدير) إلى الخلف حتى التصقا بالحائط، وأشار إلى (جلال)

الظاهر أمامهما ثم إلى جثته التي ما زالت موجودة..

قال (بدير) بصوتٍ خافتٍ محدثاً (عيشة):

- إحنا مش عارفين إيه الشيء اللي ظهر ده.

هتفت بحده وهي تحاول تخليص يدها من قبضته:

- ده جلال.

أشار إلى جثة (جلال):

- أمال إيه اللي على الأرض؟

لم تملك إجابة..

نظرت إلى الشيء الذي تجسد على هيئة (جلال)..  
حين استوعب هذا الشيء الأمر؛ سار باتجاهها..  
لا..

لم يسر..

بل سبح في الهواء مثل ريشة لا وزن لها..  
اقترب منها..

ميزت تلك الهالة الزرقاء التي تحيط به.. هتفت:  
- روح.. دي روح جلال.

مدت الروح يدها ولمست وجه (عيشة) بشغف..

اخرقت اليد الوجه وعبرت إلى الناحية الأخرى مثل الظل..  
شهقت (عيشة)..

شعرت أن سكيناً بارداً اخترق وجهها..

لكنها لم تتألم..

فقط..

مدت يدها وحاولت أن تلمسه بلهفة..

هتفت الروح:

- عيشة.

- جلال.

نظرت الروح إلى الجثة، ثم إلى نفسها:

- لكن.. ازاي؟

## غبار الأموات

قالت (عيشة) وهي تفلت نفسها من (بدير):

- استخدمت غبار الأموات.

رددت الروح:

- غبار الأموات!

ثم ابتعدت عنها..

سبحت في الهواء بليونة حتى وصلت للسقف..

نظرت إلى (بدير) و(عيشة) من أعلى..

تجمدت قليلاً كأنها تدرس الموقف..

نزلت ببطء إلى الأسفل..

دارت فوق الجثة عدة دورات..

هبطت على الأرض..

قالت الروح وهي تشير إلى الجثة:

- هحتاج جسم أعيش فيه.. الجسم ده مبقاش يصلح لي.

اقتربت (عيشة):

- هنفذ كل اللي هتطلبه مني.

همس (بدير) في أذنيها:

- عيشة.. ده ممكن يكون شيطان متجسد على هيئة جلال.

ضربت بذرة الشك صدر (عيشة) ونبتت داخلها بسرعة.. ابتلعت

ريقها بصعوبة.. نادت:

- جلال.



## غبار اللؤلؤ

ارتفعت اليد عاليًا..  
تحركت الرقبة والرأس..  
اهتزت الأجنان..  
وفتح (جلال) عينيه أخيرًا..  
مزق الكفن الذي يحيط به..  
نهض عاريًا..  
تحرك..

منظره كان مرعبًا ومقززًا في آن واحد..  
لحمه راح يتساقط على الأرض كلما مشى خطوة إلى الأمام..  
تراجع (بدير) وصرخ من هول ما يرى:  
- أعوذ وألوذ.

رماه (جلال) بنظرة شيطانية، ثم لطمه لكمة قوية فطوحته بعيدًا في  
الهواء عدة أمتار قبل أن يهوي على وجهه فاقد الوعي..  
امتقع وجه (عيشة) وهي ترى ذلك.. سقطت على ركبتيها وصرخت  
في رعب هائل:

- لا.. مستحيل.. مستحيل..  
اقترب منها (جلال)..  
أمسك ذراعها بقسوة هائلة..  
شعرت أنها تحترق..  
وتذوب..

وتموت.

\*\*\*

- اسمي جلال

قالها المسخ حين استعاد طبيعته البشرية..

أرخی قبضته من حول رأسي وعنقي وتركني أسقط على الأرض..

شهقت وأنا أبتلع كل الهواء الذي يتسع له صدري..

استندت بظهري إلى الحائط بينما صدري يعلو ويهبط مثل كرة

مطاطية..

قلت وأنا أمسح الدماء التي على وجهي:

- إنس ولا جن؟

لاح شبح ابتسامة على طرف شفثيه حين قال:

- تفرق معاك؟

ثم استدار باتجاه المرأة واستطرد:

- أنا هر حمك وأعطيك فرصة ثانية تكمل خدمتي.

هتفت:

- أول مرة أعرف إن الشيطان بيرحم.

ثم قفزت من مكاني..

وقبل أن يلتفت نحوي؛ اعتليت ظهره وأخرجت خنجري وأغمدته

في عنقه..

## غبار اللؤلؤ

غاب الخنجر حتى مقبضه داخل العنق..  
صرخ..  
حاول أن يلقيني من فوق ظهره..  
تشبث به أكثر وأكثر..  
انترعت الخنجر، ثم هويت به مرة ثانية..  
وثالثة..  
وحتى العاشرة..  
ثم سقط على الأرض بلا حراك..  
نهضت من فوقه؛ أنظر إلى عنقه الذي تمزق وبركة الدماء التي  
أحاطت به..  
قتلته..  
قتلته أخيراً..  
سرت قشعريرة باردة في جسدي..  
لكنه تحرك..  
ونهض..  
كدت أعيد الكرة وأطعنه من جديد..  
جسده تلوى بسرعة بالغة..  
وفي لمح البصر؛ عاد إلى هيئة المسخ..  
ثم زمجر..  
طعنته بالخنجر، فتحطم النصل على جسده ولم يخترقه..

نظرت له في مرارة..  
تراجعت إلى الوراء بينما اقترب مني والزبد يتساقط من بين شذقية..  
هذه المرة ينوي قتلي بلا ريب..  
لم يعد هناك مفر..  
هناك فقط الموت..  
طار باتجاهي وهو يطلق صرخة مخيفة أشبه بصراخ عشرات الذئاب  
الجائعة..

أنيا به ومخالبه تتجه نحوي لتمزيقي..  
انتزعت المسدس من وراء ظهري..  
استجمعت كل ما بقي في جسدي من إرادة وقوة..  
لم أصوب عليه..  
صوبت نحو المرأة..  
شعرت بأنيا به تخترق عنقي وبمخالبه تمزق صدري..  
لكنني ضغطت الزناد..  
عدة مرات.

\*\*\*

أفاق (بدير) فجأة..  
قفز من على الأرض وبحث بعينه عن (عيشة)..  
لمحها ملقاة في وسط الغرفة..



## غبار الأسوار

اقترب منها وهو يرتعد..

جسده يكاد يحترق من فرط الخوف الذي شعر به..

رأى (عيشة) مقتولة، ولسانها يتدلى خارج فمها على نحو بشع، وقد كسر عنقها فخرجت منه الفقرات، والتوت كل أطرافها بشدة كأنها من المطاط.

هتف بألم:

- عيشة.

ثم سمع صوت بكاءٍ ونحيب..

التفت إلى مصدره..

وجد (جلال) منكمشًا على نفسه؛ يختبئ وراء أحد الأبواب، وقد

تساقط معظم لحمه، وظهر هيكله العظمي..

على الرغم من ذلك؛ وجهه كان يحمل ملامح آدمية هذه المرة..

وكانت الدموع تسيل على وجنتيه..

هتف (بدير) بإشفاق:

- بتعيط ليه دلوقتي؟

ردد (جلال) بحسرة:

- أنا مكنتش في وعيي.. كنت شايف اللي بيحصل ليكي مكنتش

قادر أتحكم فيه.. كنت عاوز...

وقبل أن يكمل جملته؛ صرخ صرخة ترتعد لها القلوب؛ وارتجت

لها الجدران..

اندلعت في (جلال) نيران حمراء لكنها لم تكن تحرقه..  
فقط كانت تخرج منه..  
ثم انسحق وجهه بغتة كأن يداً خفية تشكله كالصلصال..  
بدأ يتحول إلى مسخ..  
قصرت قامته وتضخمت.. طالت أذرعته حتى لامست الأرض..  
ملاً الشعر كامل جسده.. ظهرت له أنياب ومخالب.. نبت له قرنان  
وسط رأسه..  
حاول أن ينطق..  
خرجت منه صرخة كلها حسرة..  
النيران بدأت تأكله..  
كان يحترق..  
حاول إنقاذ نفسه..  
هرول بسرعة..  
كان يبحث عن مأوى له في العالم الآخر..  
توقف أمام مرآة كبيرة مشروخة من المنتصف..  
قفز نحوها..  
ثم اختفى داخلها..  
ارتعشت المرآة قليلاً وتغيرت صفحتها العاكسة إلى صفحة سوداء..  
خرج منها دخان كثيف..

## غبار اللؤلؤ

فوق سطحها؛ ظهر (جلال) على هيئته الآدمية وهو يدور حول نفسه  
في ذهول كأنه حبيس عالم آخر فسيح..  
مد يده إلى المرأة من الداخل كمن يحاول الخروج..  
تجمعت من حوله ظلال سوداء كثيرة..  
جسده عاد يتغير بسرعة..  
تحول من الشكل الآدمي إلى شكل المسخ.. ثم وبكل قوته أطلق  
صرخة..  
صرخة تردد صداها عبر المكان والزمان.

\*\*\*

انطلقت الرصاصات من مسدسي تشق فراغ الغرفة وترتطم بالمرأة..  
أطلق المسخ صرخة غاضبة حين أدرك ما فعلت، ثم تجمد في  
مكانه..  
الرصاصات حطمت المرأة إلى قطع ونثرتها إلى شظايا..  
في المقابل؛ تحطم أيضاً المسخ وتناثرت أجزاؤه في الهواء كأنه  
صورة معكوسة لما جرى للمرأة..  
أجزاء جسده ظلت لدقائق تتلوى على الأرض مثل أذرع  
الأخطبوط..  
اقتربت من رأسه.. ما زالت عيناه مفتوحتان تنظر لي بغضبٍ  
وكراهية..

رفعت قدمي واستعددت لسحقها لكن قبل أن أفعل؛ شعرت بالحياة  
تنسحب منها..

سقطت على الأرض وأنا أصرخ من الألم والفرع..  
حاولت تحريك قدمي..  
عدت مشلولاً..

لمحت ابتسامة انتقام ترسم على وجه المسخ..  
أمسكت رأسه، ثم طوحتها بعيداً في الهواء..  
فجأة اهتزت الشقة كأنما ضربها زلزال عنيف، ثم انتقلت لجسدي  
حرارة مفاجئة، وشاهدت النيران تندلع في السقف والجدران..  
زحفت على الأرض باتجاه باب الخروج.. كانت النيران تنتقل  
بسرعة في المكان.. شعرت بالسخونة تلهب ذراعي وصدري..  
أجزاء من شعر رأسي لمستها النار وحرقتها..  
شممت رائحة لحم محترق.. التفت ورائي فوجدت النار قد علقت  
بساقي وراحت تأكلها.. حاولت أن أطفئها بيدي فعلقت بها النار هي  
الأخرى..

صرخت من الألم..  
أحاطت بي النيران من كل اتجاه ولم أعد أرى غيرها..  
تساقطت أجزاء من السقف وكادت تسحقني..  
وفي غمرة خوفي وألمي ويأسي؛ ناديت بأعلى صوتي:  
- يارب.

## غبار اللؤلؤ

ثم سمعت صوت تهشم باب الشقة؛ أتبعه نداء محموم:  
- أستاذ إيهاب.

صرخت:

- أنا هنا.

رأيت (عبده) يهرع نحوي وهو يحمل (بطانية) قديمة..  
جاهد حتى استطاع المرور من خلال النار، ثم لفني داخل (البطانية)  
وحملني على ظهره، وهو يهتف:  
- كنت متأكد أنك هتعمل مصيبه.

خرج بي من الشقة التي تحولت إلى كتلة من النار التي لا تنطفئ،  
وامتدت إلى بقية شقق العمارة في سرعة كبيرة..  
نزل بي على السلالم التي ارتجت تحت أقدامه، فكاد يسقط لولا أن  
تمالك نفسه حتى خرجنا..

خارج العمارة؛ كان المشهد أقرب لفيلم سينمائي..  
النيران تخرج من النوافذ، وهناك عربة إطفاء حمراء.. يحاول  
رجالها أن يخمدوا الحريق باستخدام (خراطيم) المياه..  
الجيران كانوا يجرون في مشهد عبثي مليء بالفوضى والصراخ،  
وهم يحملون أمتعتهم وأطفالهم الذين لا يتوقفون عن البكاء..  
ظهرت عربة إسعاف في الأفق تسبقها سرعتها المميزة، ثم سرعان  
ما لبثت أن توقفت خلف عربة الإطفاء.

هرع بي (عبده) نحو سيارة الإسعاف وهو ينادي على من فيها..

ظهر اثنان من المسعفين وأسرع أحدهم يضع قناع أكسجين على وجهي، ثم أدخلني بمساعدة الآخر داخل السيارة.  
ربت (عبده) على كتفي وهو يهتف:  
- متقلقش.. هتكون كويس.  
أغلق عليّ المسعف باب الإسعاف من الداخل، وصرخ في السائق:  
- بسرعة.. بسرعة.. اطلع بسرعة.  
شعرت ببردٍ شديد وبأن أنفاسي تضيع وتتلاشى، ثم لمحت المسعف وهو يتابع إشارات جهاز نبضات القلب بقلق بينما الخيط الفضي للجهاز يتأرجح على الشاشة الخضراء بلا انتظام وبيطء..  
كان آخر ما رأيته هو توقف إشارات نبض القلب، ثم ذلك المحقن الضخم الذي أغمدته المسعف في منتصف صدري.

\*\*\*

# ١٩

فيما بعد..

دعونا نجلس قليلاً نلتقط الأنفاس..

نتابع هذا العصفور الملون الصغير الذي يقف على غصن شجرة عالية.. أعلم أنكم تحبون العصافير الملونة.. هي مخلوقات عن جد رائعة..

العصفور يتقافز فوق الأغصان برشاقة حتى يصل إلى قمة الشجرة، ومنها ينتقل إلى حافة نافذة مفتوحة لغرفة تخرج منها موسيقى خافتة.. داخل الغرفة نرى (إيهاب) فوق فراشه، والضمادات تحيط به حتى صار أشبه بمومياء ضامرة، بينما (صفاء) تحاول أن تضع ملعقة حساء في فمه، وهو يرفض.

نتركهما ثم نعود..

لكننا لا نعود في المكان فقط، ولكن في الزمان أيضاً..

نعود إلى لحظة احتراق العمارة، ونرى (عبده) وهو يجري حاملاً  
(إيهاب) ثم يضعه داخل سيارة الإسعاف..  
من بعيد؛ نشاهد الرجل العجوز الذي أعطى لـ (إيهاب) المرأة،  
وهو يقف يراقب ما يحدث في اهتمام وترقب..  
نقترب من الرجل ونتفرس في ملامحه جيداً هذه المرة..  
ننظر بدقة شديدة..  
نزيل تلك التجاعيد والحفر التي تغزو وجهه..  
نقص شعر رأسه ونهذب لحيته وشاربه..  
نكتشف أنه (بدير).

نعود أكثر..  
إلى عام مظلم..  
وليلة أكثر ظلاماً..  
وتحديداً حين ماتت (عيشة) وأصبح (جلال) سجيناً داخل المرأة..  
نرى (بدير) يتحدث مع المسخ، ثم يشعل النار في المنزل ويغادر  
حاملاً المرأة بين ذراعيه، وهو يقسم على تنفيذ انتقام رهيب.  
نعود أكثر وأكثر..

هذه المرة نقفز فوق أسوار عالية، ونسير خلال حديقة واسعة، ثم  
نمر من صالة استقبال أنيقة داخل إحدى المستشفيات الخاصة..



## فبار الأمل

نصعد بسرعة إلى الطابق الثاني، ونقف أمام باب غرفة العمليات..  
نسمع صراخًا هائلًا يأتي من الجانب الآخر للغرفة..  
نخترق الباب ونعبر إلى الداخل..  
نقترب من صاحبة الصراخ.. (ليلى) هانم وهي تلد..  
الطبيب يرفع طفلين توأم..  
تنهد (ليلى) هانم في ارتياح، وهي تنظر للولدين، وتمد يديها  
لتحملهما..  
يسألها الطبيب؛ ماذا تنوى أن تطلق عليهما؟.. تغمض عينيها، ثم  
تجيب:  
- صلاح.. وإيهاب.

مست

محمود الجعيدي